الفرقان

في تفسير القرآن بالقرآن

الجزء الرابع و العشرون

آیة الله العظمی الدکتور محمد الصادقی الطهرانی

[www.hakim-elahi.mihanblog.com](http://www.hakim-elahi.mihanblog.com)

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 5

الجزء الرابع و العشرون‏

سورة الأحزاب مدنيّة و آياتها ثلاث و سبعون‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 7

[سورة الأحزاب (33): الآيات 1 الى 8]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ‏

يا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَ لا تُطِعِ الْكافِرِينَ وَ الْمُنافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً (1) وَ اتَّبِعْ ما يُوحى‏ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً (2) وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَ كَفى‏ بِاللَّهِ وَكِيلاً (3) ما جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَ ما جَعَلَ أَزْواجَكُمُ اللاَّئِي تُظاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهاتِكُمْ وَ ما جَعَلَ أَدْعِياءَكُمْ أَبْناءَكُمْ ذلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْواهِكُمْ وَ اللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (4)

ادْعُوهُمْ لِآبائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آباءَهُمْ فَإِخْوانُكُمْ فِي الدِّينِ وَ مَوالِيكُمْ وَ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ فِيما أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَ لكِنْ ما تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (5) النَّبِيُّ أَوْلى‏ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ أَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى‏ بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُهاجِرِينَ إِلاَّ أَنْ تَفْعَلُوا إِلى‏ أَوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفاً كانَ ذلِكَ فِي الْكِتابِ مَسْطُوراً (6) وَ إِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ وَ مِنْكَ وَ مِنْ نُوحٍ وَ إِبْراهِيمَ وَ مُوسى‏ وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَ أَخَذْنا مِنْهُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً (7) لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَ أَعَدَّ لِلْكافِرِينَ عَذاباً أَلِيماً (8)

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 8

الحزب جماعة فيها غلظ و تماسك مهما قلّت أو كثرت فعدّة التماسك هي ركنها دون عدّة المتماسكين فإنها زيادة في عدّتهم، فقد تكون جماعة كثيرة و ليست حزبا لعدم الغلظة التماسك، أو قليلة هي حزب للغلظة التماسك، فهذه حزب دون تلك مهما كانت حزب الرحمان أم حزب الشيطان و لم يأت الحزب في سائر القران السبعة بخير إلّا في المائدة: «وَ مَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغالِبُونَ» (56)

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 9

و المجادلة: «رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ أُولئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (22) و في الكهف: «ثُمَّ بَعَثْناهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصى‏ لِما لَبِثُوا أَمَداً» (12).

و لم يأت الأحزاب الإحدى عشر فيه إلّا بشرّ «كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ الْأَحْزابُ مِنْ بَعْدِهِمْ» (40: 5) مما يدل على أن في عديد الأحزاب شرا قضية الاختلاف و إن كانوا من حزب اللّه: «فَاخْتَلَفَ الْأَحْزابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ» (42: 65) فإنما الاختلاف و الاختلاق في حزب الشيطان، و حزب اللّه واحد: «وَ أَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَ لا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ» (6:) 153) «... وَ لا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَ كانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِما لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ» (30: 32) «فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِما لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ» (23: 53)! و هؤلاء هم أهل كتاب واحد و أمر واحد فتقطعوا أمرهم بينهم ..

و الأحزاب ثلاثة، هنا في الأحزاب كلها حزب الشيطان، و لذلك تتسمى سورة الأحزاب مستعرضة سيرة الأحزاب و ثورتهم و سريرتهم، و لكي ينتبه المؤمنون فيتماسكوا قدر المستطاع في حزبهم الواحد «حزب اللّه»: «وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَ لا تَفَرَّقُوا ...»! و أهم تماسك بين أفراد يجعلهم حزبا هو العقائدي الذي يحلّق على كافة الوحدات و الطبقات سياسيا و اقتصاديا و ثقافيا أماذا، و في قمتها التوحيد حيث يوحد بين قطاعات عظيمة بشرية يجعلها حزب التوحيد، و من ثم الرسالة الإلهية، فأحرى بالمسلمين أن يكونوا حزبا واحدا هو حزب اللّه مهما اختلفت درجات إيمانهم و سائر ميزّاتهم و فوارقهم حيث تظل تحت ظل الإسلام وحدة متماسكة وصفا متراصّا لهم قوتهم الصارمة ضد الأحزاب الكافرة، و حين لا نجد أي حزب في صارم الوحدة من كل الجهات إلّا وحدة جانبية

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 10

سياسية أو اقتصادية، و هم احزاب لهم قوّاتهم بما تجمّعوا، فلما ذا لا نتوحّد نحن المسلمين في حزب اللّه، و كل اختلاف وراء العقيدة تتوحد على ضوئها أم تذوب؟! و لماذا نختلف في أحزاب متعارضة متباغضة لأهداف سياسية مختلفة أما هيه، تحليقا لسائر الوحدات على الوحدة العقيدية الإسلامية؟ تلك إذا قسمة ضيزى!.

فلأن اللّه واحد و شرعته واحدة فحزب اللّه واحد، و عديد الأحزاب بين المسلمين دليل تخلّفهم عن شرعة اللّه، أو تفضيلهم سائر الوحدات على الوحدة الإسلامية السامية، ألا «وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَ لا تَفَرَّقُوا ..» فلا مبرّر لأي اختلاف بعد الوحدة الإسلامية:

هذه السورة تبدء بتحذير الرسول «صلى الله عليه و آله و سلم) عن الأحزاب الكافرين و المنافقين، و أمره باتباع ما يوحى إليه و التوكل على الله، ثم تتناول قطاعا واقعيته من حياة الكتلة المؤمنة في فترة تمتد بعد بدر الكبرى إلى ما قبل صلح الحديبية، بازدحام الأحداث خلال هذه الفترة، و التنظيمات التي انشأها الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) لتبني الدولة المجيدة الإسلامية و استمراريتها المعصومة بعد الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) إلى القائم المهدي (عجل الله تعالى فرجه) كما تتبناها آية التطهير، و بطيات سرد النظم الحديثة يستطرد الحديث عن غزوة الأحزاب و بني قريظة و مواقف الكفار و المنافقين و اليهود و المرجفين في المدينة و دسائسهم وسط الجماعة المؤمنة! ثم و في السورة نبذات هي نبضات في هذه الحياة الجديدة تثبتا لبعض التقاليد مع إصلاحها، و تبديدا لأخرى كالمظاهرة و التبني، و إخضاعا للأمة للشرعة الجديدة الجادة.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 11

و سورة الأحزاب هي هذه الحاضرة لدينا، دونما زيادة عليها أو نقيصة عنها، أو تقديم لآية أو بعضها أو تأخير كسائر السور بأسرها في حصرها لآياتها جملات و آيات، خلاف ما يهرف به من لا يعرف، تحريفا فيها بنقيصة أماهيه؟ «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

نور الثقلين 4: 233 ح 1 في كتاب ثواب الأعمال باسناده الى أبي عبد الله (عليه السلام) قال: من كان كثير القرائة لسورة الأحزاب كان يوم القيامة في جوار محمد (صلى الله عليه و آله و سلم) و أزواجه ثم قال: سورة الأحزاب فيها فضائح الرجال و النساء من قريش و غيرهم يا ابن سنان سورة الأحزاب فضحت نساء قريش من العرب و كانت أطول من سورة البقرة و لكن نقصوها و حرفوها».

أقول: ليضرب هذه و اضرابها عرض الحائط لمخالفتها في بعدين بعيدين لكتاب اللّه، آية الحفظ و اضرابها، و انها تخالف القرآن المتواتر الموجود، و أحاديث العرض تضربها عرض الحائط، و ترى كيف بالإمكان أنها (73) كانت أطول من البقرة و هي (286) آية فتنقص منها اكثر من مائتين ما عرفها إلّا ابن سنان دون المسلمين الحضور زمن تأليف القرآن، و لم يكن يجرأ مثل الخليفة عمر أن يترك الواو الثاني في‏ «مِنَ الْمُهاجِرِينَ وَ الْأَنْصارِ وَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ» حيث صرخوا عليه اين الواو يا خليفة رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، فلم تكن تهمة التحريف و بهذه الوسعة الشاسعة إلّا الأهرطقة إسرائيلية و ما شاكلها! و في الدر المنثور 5: 179 مثله كالتالي: و اخرج عبد الرزاق في المصنف و الطيالسي و سعيد بن منصور و عبد اللّه بن احمد في زوائد المسند و ابن منيع و النسائي و ابن المنذر و ابن الانباري في المصاحف و الدار قطني في الافراد و الحاكم و صححه و ابن مردويه و الضياء في المختارة عن زر قال قال لي أبي بن كعب كيف تقرء سورة الأحزاب او لم تعدها؟ قلت ثلاثا و سبعين آية فقال أبي: قد رأيتها و انها لتعادل البقرة و اكثر من سورة البقرة و لقد قرأنا فيها «الشيخ و الشيخة إذ زينا فارجموهما البتة نكالا من الله و الله عزيز حكيم» فرفع منها ما رفع، و اخرج عبد الرزاق في المصنف عن ابن عباس قال: امر عمر ابن الخطاب مناديا فنادى ان الصلاة جامعة ثم صعد المنبر فحمد اللّه و اثنى عليه ثم قال: يا ايها الناس لا تجزعنّ من آية الرجم فانها آية نزلت في كتاب اللّه و قرأناها و لكنها ذهبت في قرآن كثير ذهب مع محمد و آية ذلك ان النبي (صلى اللّه عليه و آله‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 12

بدايتها مسك بمسك التقوى‏ «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ ...» و ختامها مسك بمسك التوبة» و يتوب اللّه على المؤمنين و المؤمنات و كان اللّه غفورا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

و سلم) قد رجم و ان أبا بكر قد رجم و رجمت بعدهما و انه سيجي‏ء قوم من هذه الأمة يكذبون بالرجم.

أقول: لو كانت آية الرجم من كتاب اللّه و عمل بها منذ الرسول الى عمر فكانت- إذا- معروفة لدى حفاظ القرآن و سواهم فلما ذا لم يثبتها عمر، و فيه أخرج احمد و النسائي عن عبد الرحمن بن عوف ان عمر بن خطاب خطب الناس فسمعته يقول: الا و ان أناسا يقولون ما بال الرجم و في كتاب اللّه الجلد و قد رجم النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و رجمنا بعده و لولا ان يقول قائلون و يتكلم متكلمون ان عمر زاد في كتاب اللّه ما ليس منه لأثبتها كما نزلت.

أقول: أضحك به و أغرب و من الغريب أنهم ينسبون إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) تحريف آية الرجم، كما أخرج النسائي و ابو يعلى عن كثير بن الصلت قال: كنا عند مروان و فينا زيد بن ثابت فقال زيد ما تقرء «الشيخ و الشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة»؟

قال: جاء رجل الى النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فقال يا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) انبئني آية الرجم قال: لا أستطيع الآن، هذا

و

قد أخرج ابن الضريس عن أبي امامة بن سهل بن حنيف ان خالته أخبرته قالت‏ لقد اقرأنا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) آية الرجم «الشيخ و الشيخة إذا زينا فارجموهما البتة بما قضيا من اللذة»!

ثم نرى نقيضه فيما

اخرج ابن الضريس عن عمر قال‏ قلت لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) لما نزلت آية الرجم أكتمها يا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قال لا أستطيع ذلك،

و اخرج ابن الضريس عن زيد بن اسلم ان عمر بن خطاب خطب الناس فقال: لا تشكوا في الرجم فانه حق قد رجم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و رجم ابو بكر و رجمت و لقد هممت ان اكتب في المصحف فسأل أبي بن كعب عن آية الرجم فقال أبي: الست أتيتني و انا استقرئها رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فدفعت في صدري و قلت أ تستقرئه آية الرجم و هم يتسامرون تسامر الحمر؟» أقول فاقض العجب من هذه الهرطقات المتناقضة و تبرء منها الى اللّه!

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 13

رحيما» و بينهما رائحة المسك في توجيهات تتبنّى تقوى اللّه و التوبة عن الطغوى! يا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَ لا تُطِعِ الْكافِرِينَ وَ الْمُنافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً. 1 وَ اتَّبِعْ ما يُوحى‏ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً 2. وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَ كَفى‏ بِاللَّهِ وَكِيلًا (3).

يرسم في هذه الثلاث تخلية السلب: «اتَّقِ‏ ... لا تُطِعِ» و تحلية الإيجاب: «و اتبع» ثم يتبعهما بسياج التوكل على اللّه في كل سلب و إيجاب، ليرسم حياته الرسالية كلها بكلمة الإخلاص‏ «لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ»! و إنها آية فريدة منقطعة النظير، آمرة بتقوى البشير النذير، لأن موقفه من الكافرين و المنافقين خطير خطير، و هذه تقوى سياسية تجنبا عن أن يدلوه بمواعيدهم العسلة، كأن يرفض ذكر آلهتهم حتى يدعوه و ربه‏ «1»

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

في المجمع‏ نزلت في أبي سفيان بن حرب و عكرمة بن أبي جهل و أبي الأعور السلمي قدموا المدينة و نزلوا على عبد اللّه بن أبي بعد غزوة احد بأمان من رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ليكلّموه فقاموا و قام معهم عبد اللّه بن أبي و عبد اللّه بن سعيد بن أبي سرح و طعمة بن أبيرق فدخلوا على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فقالوا: يا محمد! ارفض ذكر آلهتنا اللات و العزى و مناة و قل: ان لها شفاعة لمن عبدها و ندعك و ربك، فشق ذلك على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فقال عمر بن الخطاب ائذن لنا يا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) في قتلهم فقال:

إني أعطيتهم الأمان و امر (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فاخرجوا من المدينة و نزلت الآية «وَ لا تُطِعِ الْكافِرِينَ» من اهل مكة أبا سفيان و أبا الأعور و عكرمة و المنافقين ابن أبي و ابن سعيد و طعمة.

و في الدر المنثور 5: 180- اخرج ابن جرير من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال: ان اهل مكة منهم الوليد بن المغيرة و شيبة بن ربيعة دعوا النبي (صلى اللّه‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 14

معاملة التهاتر بعملة الوعد الكذب، ما لو كان صادقا لكان صادا للدعوة الإسلامية لفترة، مما يدل على تسرّب المصلحية السياسية في هذه الدعوة فتبوء بالفشل و الخسار و الدمار، فظاهره فيه الرحمة و باطنه من قبله العذاب! فلذلك «يا ايها ..» لا «يا» فقط أو «أيها» تدليلا على خطورة المنادى له و تنبيه المنادى.

أ ترى أن النبي كان متلبسا بطاعة الكافرين و المنافقين حتى يتقيها؟ كلّا و التقوى هي الابتعاد عن المحظور، و أصلها ما لم يتلبس و هو على أشرافه، و أوامر اللّه و نواهيه الموجهة إلى شخص النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) تنقسم إلى تشريعية لو لولاها لم يعرف النبي إيجابا او تحريما، كالأحكام التعبدية غير الضرورية، و إلى تأكيدية فيما هو ضروري معلوم ك- «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ» و «لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ» و إلى سياسية ظاهرها غير باطنها فهي تنبيهية كهذه: «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ ...».

«اتق اللّه» للنبي التقي في القمة، تنبيهة لاستمرارية التقوى، و لتقوى تقواه كل حين أقوى مما مضى، فلانه يزداد علما «وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً» فليزدد على ضوءه و تباعا له تقوى: «وَ اعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ» و ليس لذلك اليقين حدّ يقف عليه، فلا وقفة لعبادته و تقواه، ثم للتقوى واجهتان: أن تتقي بنفسك عن الحق و هو الاتقاء بإسناد النقائص كلها إليك عن إسنادها- أيا كان- إليه، فتجعل نفسك وقاية له تعالى.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

عليه و آله و سلم) الى ان يرجع عن قوله على ان يعطوه شطر أموالهم و خوفه المنافقون و اليهود بالمدينة ان لم يرجع قتلوه فانزل اللّه‏ «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ» أقول: هذا يناسب جوّ مكة و قد مضى، و اما المدينة فلا يناسبها هذا الاقتراح و قد يئسوا من تطميعه بمال او منال!

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 15

أو تتقي بالحق عن نفسك و هو الاتقاء بإسناد الكمالات كلها إليه تعالى عن إسنادها إليك فتجعله وقاية لك، و هما كمال التقوى أن تتخلى عن كلما يختص باللّه و تخلّيه تعالى عن كلما تختص بك، و كلما وراءهما طغوى بدركاتها، كما هما تقوى بدرجاتها.

و أما «لا تطع» فهو متكرر له في الذكر الحكيم، نهيا عن المسايرات السياسية فيما ظاهرها مصلحة، لولا العصمة الإلهية لتفلت النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بالتفاتها «وَ لا تُطِعِ الْكافِرِينَ وَ الْمُنافِقِينَ وَ دَعْ أَذاهُمْ وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ» (33: 48) لا تؤذهم و إن يؤذوك، و لا تطعهم وعد ألّا يؤذوك! «فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَ لا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً» (76: 24) «فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ. وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ» (68: 8) «فَلا تُطِعِ الْكافِرِينَ وَ جاهِدْهُمْ بِهِ جِهاداً كَبِيراً» (25: 52) «وَ لا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا وَ اتَّبَعَ هَواهُ وَ كانَ أَمْرُهُ فُرُطاً» (18: 28) و على الجملة:

«وَ إِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» (6: 116) كل ذلك نهي عن طاعتهم و لمّا يقترف، و لكي يبقى مفارقا غير مقارف، و كل ذلك في التلبيسات السياسية التي تزلّ فيها الأقدام، و اللّه يعصم رسوله فيها عصمة كاملة كافلة للدعوة الرسالية المعصومة العاصمة للأمة! إنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قطعا لم تخلد بخلده لهم طاعة، و لم تحصل في أي من هذه الموارد، فالنهي تأكيد للترك، و التداوم على الترك، و لكي يسمع الكافرون و المنافقون الطامعون طاعته، يسمعوا تحذيره من الإذاعة القرآنية فيتركوا اقتراحاتهم التي تشق عليه و تؤذيه! «لا تطع ..» ل «إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً» بك و بهم «حكيما» بما يصلح لك كرسول، و عليهم كمتربصي الدوائر بالرسالة و الرسول، فاللّه‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 16

عليم بما يجهلونه و ما تجهله، حكيم بما لا تحكمه، و أنت كرسول دائب إلى قمم من العبودية.

و الرسالة بما أراك اللّه، و لا تكن للخائنين خصيما، فمهما أرادوا ليكيدوك و يغروك أن في إجابتهم اخمادا لنائرة الحرب، و تقربا لهم إلى الإسلام بتلك الاستمالة و التقارب، و لكنه أمر ظاهره فيه الرحمة و باطنه من قبله العذاب‏ «إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً»! «وَ اتَّبِعْ ما يُوحى‏ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ» فلأنه ربك في كل صغيرة و كبيرة، ظاهرة و باطنة، و لكي تكون رسول ربك بما رباك- ف- «اتَّبِعْ ما يُوحى‏ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ» و قد أحاط علما بما يعمله الكافرون و المنافقون من شيطنة السياسات، و تهاترات المعاملات، التي تبوء بالخساء للرسول، و بالدمار للرسالة «إِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً» و كما أحاط خبرا و علما بما تعمله أنت و من معك، ف- «بِما تَعْمَلُونَ» تشملها، تنديدا بأعمالهما و حيطة على أعماله بمن معه.

و لكي تكون على اهبة كاملة كافلة لتقوى مطلقة، و ترك لطاعتهم مطلقا، رغم المناوئات و العرقلات التي لا تملك صدها، بعد ما وفيت و كفيت جهودك كلها:

وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَ كَفى‏ بِاللَّهِ وَكِيلًا (3) فلا توكّل على سواه إذ لا وكيل في المخاطر و الضرورات إلّا اللّه، فتوكل على اللّه لا سواه، في أن:

«اتَّقِ اللَّهَ» لا سواه و في أن: «لا تطع ..» إلّا إياه! أصل السلب: «لا إله» و أصل الإيجاب: «إلا الله» محوّل إلى محاولة العبد، ثم المطلق فيهما موكل إلى حول اللّه، ف- «اتَّقِ اللَّهَ‏ .. وَ لا تُطِعِ‏ .. وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ» «وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ‏ ... قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْ‏ءٍ قَدْراً».

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 17

و هلّا يطع الكافرين- فقط- و المنافقين- إذا- فله ان يطيع غيرهما من المسلمين و المؤمنين؟! كلّا! فلا طاعة لغير اللّه، و عل تخصيصهما بالذكر هنا لأنهما اراداها منه دون غيرهما، و أن طاعتهما طاعة كافرة او منافقة، و طاعة غيرهما طاعة فاسقة، أو أن كل من طلب منه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) طاعته من دون اللّه او مع اللّه فهو بذلك يصبح في صف الكافرين او المنافقين، و لا طاعة لخصوص الرسول إلّا طاعة اللّه و لا اتباع له (صلى اللّه عليه و آله و سلم) إلّا لوحي اللّه، إذ ليس يتأمر عليه ولي إلّا اللّه، فمهما صحت طاعة لغير الرسول غير اللّه، من رسول او امام معصوم امّن ذا من الدعاة الى اللّه، فلا تصح للرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) إلّا طاعة اللّه و اتباع وحي اللّه!.

و لو لم تدلنا «لا تُطِعِ الْكافِرِينَ وَ الْمُنافِقِينَ» على الّا يطع غيرهما، فقد يدلنا «وَ اتَّبِعْ ما يُوحى‏ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ» اضافة الى سائر الآيات في طاعته و اتباعه (صلى اللّه عليه و آله و سلم).

فهذه الثلاث رصيدات لهذه الداعية حيث تقيم و تقّوم دعوته على المنهج الواضح الناصح: تقوى اللّه و ترك طاعة من سوى اللّه، و التوكل فيهما على اللّه! مهما كان من باب إياك اعني و اسمعي يا جاره، يسمعانه فيقطعان آمالهم عن طاعته و يسمعه المؤمنون فيتقون! ما جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَ ما جَعَلَ أَزْواجَكُمُ اللَّائِي تُظاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهاتِكُمْ وَ ما جَعَلَ أَدْعِياءَكُمْ أَبْناءَكُمْ ذلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْواهِكُمْ وَ اللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ‏. (4)

هنا امور ثلاثة ما جعلها اللّه من تكوينية تحيل ان يجعلها غير اللّه، و من تشريعية تحرّم عليهم جعلها، أ ترى ان بينها في سلبها او إيجابها صلة و رباطا؟ ثم ترى أن لها أم لأولاها رباطا بما سلفها؟

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 18

ان لأولاها رباطا عريقا سالفها و لا حقها، فطاعة اللّه و طاعة الذين يحادون اللّه تتطلب قلبين اثنين إذ لا تجتمعان في قلب واحد، فالذي يمزج بينهما- ضغث من هذا و ضغث من ذاك- لا يطيع إلّا هواه، دون اللّه و سواه، حيث الطاعة المطلقة التي هي الطاعة لا سواها، تحيل كونها بين اتجاهين متناحرين، إلّا ان يكون للمطيع قلبان اثنان فيصبح كشخصين يطيع و يهوى بأحدهما اللّه، و بثانيهما من سواه.

كما و لم يجعل لرجل من امّين اثنين، التي ولدته و التي ظاهر منها، لا جعلا تكوينيا و لا تشريعيا، ان تنزّل الزوجة المظاهرة منزلة الام، و ان أمكن في غيرها كالام الرضاعية، و كذلك الأمر في الأدعياء فهم ليسوا أبناء و لا بمنزلة الأبناء.

و ليس لقلب واحد ان يتجه و يهوى الى أمّين على سواء، و لا الى ابنين على سواء، و أحدهما مجازي مجعول بحق او باطل، اللهم إلّا ان يكون لرجل من قلبين في جوفه! فالضابطة الرئيسية في هذا البين‏ «ما جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ» أن يصبح كشخصين يتجه كل الى وجهة، مضادة او مناقضة للأخرى في حب مطلق و هوى او بغض مطلق أما ذا؟

فالجمع بين اثنين في قلب واحد مستحيل في متناقضين، او ناقص في مختلفين، فانه بكماله مستحيل كتمام الحب لهذا و تمامه لعدوّه، و اما ان تجتمع في قلب واحد امور عدة لحالة واحدة و اتجاه واحد مع الغض عن حب و بغض و طاعة و عصيان، و كلما يستحيل جمعه في تصديق ام حب و بغض، فانه من مقام جمع الجمع، يختص بالمقربين كقلب محمد و قلوب المحمديين المعصومين، فلهم الحيطة العلمية بما يتلقون من اعمال، هم‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 19

من الشهداء فيها إلقاء يوم اللّه، و اللّه تعالى فوقهم‏ «كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ» لا يشغله شان عن شان، دون من سواه و من سواهم.

و لقد ورد في شأن نزول آية القلبين منازل عدة و من ذلك قلب المصلي:

«فمن كان قلبه متعلقا في صلاته بشي‏ء دون الله فهو قريب من ذلك الشي‏ء بعيد عن حقيقة ما أراد الله منه في صلاته» «1»

فانها حقيقة التعلق باللّه فلا تجمعها تعلق بغير اللّه ف- «ما جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ» و لقد كان قلب الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و ذويه متعلقا متدليا باللّه، و مهما خطر خطره في الصلاة و غيرها تدليلا على امر مّا فهو ايضا من اللّه و ان أخطأ في أمره خاطئون‏ «2».

و مهما كان من شئون نزولها تكذيب رجل ادعى ان له قلبين‏ «3»

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 4: 234 ح 5 في مصباح الشريعة قال الصادق (عليه السلام) في كلام طويل له: .. قال اللّه عز و جل: ما جعل اللّه ...

(2)

الدر المنثور 5: 180- اخرج احمد و الترمذي و حسنه و ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبي حاتم و الحاكم و صححه و ابن مردويه و الضياء في المختارة عن ابن عباس قال‏ قام النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يوما يصلي فخطر خطره فقال المنافقون الذين يصلون معه الا ترى ان له قلبين قلبا معكم و قلبا معهم فانزل اللّه‏ «ما جَعَلَ اللَّهُ ...»

و

فيه اخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال صلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) صلاة فسها فيها فخطرت منه كلمة فسمعها المنافقون فأكثروا فقالوا ان له قلبين الم تسمعوا الى قوله و كلامه في الصلاة ان له قلبا معكم و قلبا مع أصحابه فنزلت يا ايها النبي اتق اللّه .. ما جعل اللّه ..

أقول: ظاهر قولهم «قلبا معكم» انه لم يكن سهوا و انما قرء آية تندد بالمنافقين و اخرى تبشر المؤمنين فظنوا ظنهم و خيل الى ابن عباس انه سهى و لم يكن الا سهوا منه لا منه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)!

(3) الدر المنثور 5: 180 عن مجاهد قال ان رجلا من بني فهر قال: ان في جوفي قلبين اعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد فنزلت و في المجمع نزلت في أبي معمر

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 20

فليست لتكذب من جعل اللّه له مقام جمع الجمع ان يحيط علما بأمرين امّا زاد، و لا يجمع صاحب هذا المقام بين متناقضين، ام حبين لمتباغضين، كمن سواه من العالمين و كما اللّه رب العالمين- و ليس له قلب- فليس ليجمع حب المؤمن الى حب الكافر ام بغضهما و هو لا يشغله شأن عن شأن!.

و لان الواجب من حب اللّه و طاعته هو توحيده فيهما دونما ند و لا شريك، فالجمع بين هكذا حب و طاعة، و حب الغير و طاعته لا يمكن في قلب واحد، إلّا ضغث من هذا و ضغث من ذاك و هو من حب الهوى و طاعتها، اللهم إلّا في قلبين، هذا يحبه تماما و هذا يحب غيره، فممكن الجمع بين حبين في قلب واحد غير مطلوب، و مستحيله يمكن في قلبين و «ما جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ»! ف- «لن يحبنا من يحب مبغضنا إن ذلك لا يجتمع في قلب واحد» «1»

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

حميد بن معمر بن جيب الفهدي و كان لبيبا حافظا لما يسمع و كان يقول ان في جوفي لقلبين اعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد و كانت قريش تسميه ذا القلبين فلما كان يوم بدر و هزم المشركون و فيهم ابو معمر تلقاه ابو سفيان بن حرب و هو آخذ بيده احدى نعليه فقال له يا معمر ما حال الناس؟ قال: انهزموا قال: فما بالك إحدى نعليك في يدك و الاخرى في رجلك؟ فقال ابو معمر: ما شعرت الا انهما في رجلي فعرفوا يومئذ انه لم يكن له الا قلب واحد لما نسي نعله في يده.

(1).

نور الثقلين 4: 234 ح 6 في امالى الطوسي باسناده الى صالح بن ميثم التمار قال وجدت في كتاب ميثم يقول: تمسينا ليلة عند امير المؤمنين (عليه السلام) فقال لنا: ان عبدا لن يقصر في حبنا لخير جعله في قلبه و لن يحبنا من يحب مبغضنا ان ذلك لا يجتمع في قلب واحد و ما جعل اللّه لرجل من قلبين في جوفه يحب بهذا قوما و يحب بالآخر عدوهم و الذي يحبنا فهو يخلص حبنا كما يخلص الذهب لا غش فيه‏

و

القمي في رواية ابن الجارود عن أبي جعفر (عليه السلام) في الآية قال علي بن أبي طالب (عليه السلام) لا يجتمع حبنا و حب عدونا في جوف انسان ... فمن أراد ان يعلم فليمتحن قلبه فان شارك في حبنا عدونا فليس منا و لسنا منه و اللّه عدوهم و جبرئيل و ميكائيل و اللّه عدو للكافرين.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 21

إن شرعة الحب و الطاعة الالتقاطية شرعة منافقة لا تنبو و لا تنبئ عن ايمان مهما كان ايمانا بالحق او بالباطل، فانه قلب واحد، فلا بد له من تعلق واحد و منهج واحد، تصورا كليا للحياة كلها، و إلّا تمزق و نافق، فإما اتباع الهدى، أو الهوى حيث الخلط بينهما اتباع للهوى إذ لا تعتبر هداه هدى‏ «أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخالِصُ»! و كما لا ينقسم شخص الى اشخاص، كذلك لا ينقسم قلب الى قلوب، يستمد آدابه في كل حقل عما يهواه من معين و عقل بينها تناحر و تشاجر، فأخلاقه و آدابه من معين، و شرائعه من ثان و لاجتماعياته من ثالث، و لاقتصادياته من رابع، و سياساته من خامس، و ثقافاته من سادس، و لعقائده من سابع، فيصبح كالجحيم‏ «لَها سَبْعَةُ أَبْوابٍ لِكُلِّ بابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ» ممزّقا مشلاة بين ارباب متشاركين مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء و لا إلى هؤلاء، و انه لشر مكانا ممن يأخذ كلّ جنباته من واحد كافر!.

ان كلّ انسان هو شخص واحد له قلب واحد لا يملك ان يتقسم في شخصيته و حالاته، يقول: انا في كل حقل غيرى في حقل آخر، فانا بصفتي مسلما اصليّ و أحج و .. و بصفتي سياسيا اعمل وفق مصلحيات السياسة، و بصفتي تاجرا اعمل كرجل اقتصاد إمّا ذا من صفات في مختلف الحقول! فالإنسان المسلم يعيش مسلما في هذه كلها، حيث الإسلام يضم و ينظم هذه كلها، فيعيش في المحراب كما في الحرب مسلما، و في السوق كما في المجلس النيابي مسلما، يعيش في كل الحقول مسلما مستسلما لشرعة اللّه المتكفلة لكافة حاجيات الحياة و جنباتها.

فإذ يقول اللّه‏ «وَ قالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلهَيْنِ اثْنَيْنِ» ليس ينهى عن‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 22

المستحيل، إذ لا يعبد في الحق إلهين إلّا من له قلبان، و انما يعني ان في اتخاذ إلهين اتخاذا لإله الهوى و رفضا لإله الهدى، و من المستحيل طاعة مطلقة لسيدين متناحرين، اللهم إلّا طاعة للّه كأصل و طاعة للرسول كرسول يوجه الى اللّه و كما في طاعة الشيطان، فطاعة كلّ مستقلا بجنب الآخر تتطلب قلبين اثنين، إلا ان يكونا في خط واحد او سبيل واحد.

... وَ ما جَعَلَ أَزْواجَكُمُ اللَّائِي تُظاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهاتِكُمْ (4).

«الَّذِينَ يُظاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسائِهِمْ ما هُنَّ أُمَّهاتِهِمْ إِنْ أُمَّهاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَ إِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَراً مِنَ الْقَوْلِ وَ زُوراً ... وَ الَّذِينَ يُظاهِرُونَ مِنْ نِسائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِما قالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ..» (52:) 3) «1»

فالزوجة لن تصبح امّا، لا واقعا فهي التي ولدته، و لا شرعا فهي التي أرضعته، دون لفظة القول: «أنت علي كظهر امي» فلم يجعل اللّه الزوجة المظاهر منها كالأم، بل أبقاها زوجة بكفارة يقدمها لكي يحل له وطئها، و ليس ذلك طلاقا يخلصه منها و لا تخلصها منه، كما كانت هذه الظلامة العنيفة عادة الجاهلية إذ كانوا يحرمون وطئها بظهارها ثم تبقى معلقة لا ذات زوج فتوطئ و لا خلية فتتزوج! قسوة ما أسوأها معاملة مع المرأة المظلومة في الجاهلية الجهلاء، أزالها الإسلام بحسن العشرة:

«فَإِمْساكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسانٍ» «فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ» (3: 231) فالام أم و الزوجة زوجة لا تتحول واحدة منها الى اخرى، لا بلفظة قولة و لا بأية محاولة، و اما الجمع بين كونها زوجة لا تتزوج و امّا لا توطئ فهو جمع بين متضادين اثنين يحتاج الى‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). راجع الفرقان 28: 191- 196 تجد تفاصيل الظهار بأحكامه‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 23

قلبين اثنين‏ «ما جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ» و كذلك هو بحاجة الى امرأتين اثنتين إحداهما زوجة لها ما لها، و الاخرى أم لها مالها، فلا تبديل و لا جمع، و كما ظهارهم من تبديل الجمع! و انّ صيغة الظهار محرّمة محرّمة تخلّف كفارة إن أراد وطئها، و حملا عليه و عليها إن تركها، او طلاقا بحكم الحاكم الشرعي ان لم يفعل مداوما في ترك الوطء! و بذلك تسلم الأسرة من تصدّعها بتلك العادة الظالمة التي كانت تمثل طرفا من سوم المرأة سوء العذاب تحت نزوات الرجال، الجاهلية المتعنتة! وَ ما جَعَلَ أَدْعِياءَكُمْ أَبْناءَكُمْ‏ و الدعّي من يدعى ابنا و ليس به، لا دعوة فقط في لفظة النداء، بل و في كلما تتطلبه البنوّة من التوارث و حرمة حليلته.

و قد كانوا في الجاهلية يتبنّون، قطعا لبنوّة كواقع، و وصلا لها الى غريب كواقع، فتنقطع علاقات البنوّة عن الوالد الحق، و تتصل بالأب المتبني في كافة الصلات بالباطل.

يقال إن النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) تبنّى قبل أن يبعث زيد بن الحارثة، فكيف؟ و لماذا؟ و هل يشمله التنديد التجهيل و انه خلاف الحق و خلاف القسط و هدى السبيل؟ ام و لأقل تقدير هو «فِيما أَخْطَأْتُمْ بِهِ» ... «وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً»؟

كلّا! ف- «النَّبِيُّ أَوْلى‏ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ» فضلا عن الكافرين كأبي زيد و لما آمن زيد و حسن ايمانه و رفض أباه المشرك أن يتبعه قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) حينذاك تشويقا للايمان و تفريقا عن‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 24

الكفر

«اشهدوا أن زيدا ابني، فكان يدعى ابن محمد (صلى الله عليه و آله و سلم) و كان يحبه و سماه زيد الحب ..» «1»

فلان زيدا أملك بنفسه و أولى من أبيه حتى لو كان مؤمنا، و هو مشرك! و لأن النبي اولى بالمؤمنين من أنفسهم، فولايته (صلى اللّه عليه و آله و سلم) عليه أولى من أبيه، بل لا ولاية لأبيه المشرك عليه و هو مؤمن، فما تعمد الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) جناحا في هكذا تبنيّه و لا أخطأ لو كان تبنيا و لم يكن إلّا تشريفا!

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

نور الثقلين 4: 235 ح 10 تفسير القمي حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) قال‏ في سبب نزول الآية كان سبب ذلك ان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) لما تزوج بخديجة بنت خويلد خرج الى سوق عكاظ في تجارة و رأى زيدا يباع و رءاه غلاما كيسا حصينا فاشتراه فلما نبّئ رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) دعاه الى الإسلام فاسلم و كان يدعى زيد مولى محمد (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فلما بلغ حارثة بن شراحيل الكلبي خبر ولده زيد قدم مكة و كان رجلا جليلا فأتى أبا طالب فقال يا أبا طالب ان ابني وقع عليه السبي و بلغني انه صار الى ابن أخيك تسأله إما ان يبيعه و اما ان يفاديه و اما ان يعتقه فكلم ابو طالب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) هو حرّ فليذهب حيث شاء فقام حارثة فأخذ بيد زيد فقال له: يا بني الحق بشر فك و حسبك فقال زيد:

لست أفارق رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ما دمت حيا فغضب أبوه فقال:

يا معشر قريش اشهدوا اني قد برئت منه و ليس هو ابني فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم): اشهدوا ان زيدا ابني ارثه و يرثني فكان زيد يدعى ابن محمد و كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يحبه و سماه زيد الحب فلما هاجر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) الى المدينة زوجه زينب بنت جحش ...

أقول: كان التورات بين المؤمنين و المهاجرين سنة مأمورا بها قبل نزول آيات الإرث تشجيعا للايمان و منها الآية التالية «وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى‏ بِبَعْضٍ ...» و كان زيد مؤمنا مهاجرا فلم يكن هناك تبنّ و انما بنوة الحب و ميراث الايمان و الهجرة مهما تخيله الجماهير تبنيا كما كانوا يعملون!

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 25

أ ترى كان له في ذلك الموقف الحرج ان يسكت عن كلمة محببة أولاها: «اشهدوا أن زيدا ابني»؟ و ما عليه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) إذ يخيّل الى سائر المؤمنين- المتعودين في الجاهلية على ذلك التبني العارم- انه أصبح ابنه، فحرام عليه- إذا- حليلته! فلم يكن قوله (صلى اللّه عليه و آله و سلم) «اشهدوا ان زيدا ابني» قولا بفيه، و إنما عمق قلبه الجيب، و لم يرتب عليه شئون البنوة، اللّهم إلا ميراثا كان بين المؤمنين و المهاجرين بما فرض اللّه، ثم نسخه بقوله‏ «وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى‏ بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُهاجِرِينَ» و لم يحّرم هو على نفسه حليلته و لا رتب عليه سائر احكام البنوّة، فلم يشمله التنديد الإبطال:

.. ذلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْواهِكُمْ وَ اللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (4).

ذلكم الجعل الجاهل و الحكم القاحل من مظاهرة و تبنّ «قولكم» لا قول اللّه «بأفواهكم» دون رباط بعقولكم و قلوبكم و لا وحي، إذا فهو قول باطل‏ «وَ اللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ» لا سواه‏ «وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ» لا سواه! فالقول بالأفواه هو المنقطع الرباط عن دواخل القائل و خوارجه، فلا هو ينبع من نبعة فطرية او عقلية داخلية، و لا وحي خارجي، فلا أثر له داخليا في حب أو بغض و لا خارجيا من آثار الامومة و البنوة و الابوة لا تكوينيا و لا تشريعيا، فهو قول باطل في بعدية «وَ اللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ» الى الحق.

هذا رغم ما هنالك من آثار تهواه الأنفس في طقوس جاهلية لا تعدو حدود الخيال فتستأصلها آيات اللّه البينات‏ «وَ اللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ» و من الحق السبيل و السبيل الحق:

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 26

«ادْعُوهُمْ لِآبائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آباءَهُمْ فَإِخْوانُكُمْ فِي الدِّينِ وَ مَوالِيكُمْ وَ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ فِيما أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَ لكِنْ ما تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً. (5)

«ادْعُوهُمْ لِآبائِهِمْ» لا «الى آبائهم» فقد يختلفان ايمانا و كفرا فكيف يدعى الولد المؤمن الى الأب الكافر؟ مهما صحت المعاكسة، ان تدعوا الولد الكافر الى الوالد المؤمن و لكي يؤمن و لأنه يلحق به قبل بلوغ الحلم دون عكس، ثم «ادعوهم الى ..» لا يزيل أساس التبني، فقد يدعى «الى» و هو بعد ابنه كما يدعى غريب الى غريب، فانما «ادْعُوهُمْ لِآبائِهِمْ» دعوة تختصهم بآبائهم نسبا و في كل ما هو لزامه، فقولوا ابن فلان بدلا عن ابني، لا في لفظة قول فحسب، بل و في كل ما تتطلبه البنوّة اللهم إلّا ما يستثنيه الإسلام للولد المؤمن او الوالد المؤمن.

و لقد دعى الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) زيدا لأبيه قبل ان تنزل آية الدعوة اللهم إلّا نسبة تشريفية تشويقا له إذ رجح المقام عند الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) على اللحوق بابيه‏ «1» فما نرى فيما

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). مضى له قصة عن الامام الصادق (عليه السلام) و في لفظ آخر

في الدر المنثور 5: 181 و اخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: كان امر زيد ابن حارثة انه كان في أخواله بين معن من طين فأصيب في غلمة من طين فقدم به سوق عكاظ و انطلق حكيم بن حزام بن خويلد الى عكاظ يتسوق بها فأوصته عمته خديجة (رضي اللّه عنها) ان يبتاع لها غلاما ظريفا عربيا ان قدر عليه فلما جاء وجد زيدا يباع فأعجبه طرفه فابتاعه فقدم به عليها و قال لها اني قد ابتعت لك غلاما ظريفا عربيا فان أعجبك فخذيه و الا فدعيه فانه قد اعجبني فلما رأته خديجة أعجبها فأخذته فتزوجها رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و هو عندها فاعجب النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ظرفه فاستوهبه منها فقالت هو لك فان أردت عتقه فالولاء لي فأبى عليها فوهبته له ان شاء

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 27

فعله الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) به إلّا خيرا و حقا رغم ما زعمه المتبنون الآخرون قياسا لفعله بما كانوا يفتعلون!.

ادْعُوهُمْ لِآبائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ .. (5) .. أ ترى كيف تكون دعوتهم لآبائهم اقسط عند اللّه؟ و قضيته ان تبنيهم قسط! و بقاءهم لغير

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

أعتق و ان شاء امسك قال فشب عند النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ثم انه خرج في ابل لابي طالب الى الشام فمر بأرض قومه فعرفه عمه فقام اليه فقال من أنت يا غلام؟

قال: غلام من اهل مكة قال: من أنفسهم؟ قال لا قال: فحر أنت ام مملوك؟

قال: بل مملوك قال: لمن؟ قال: لمحمد بن عبد اللّه بن عبد المطلب فقال له أ عربي أنت ام عجمي؟ قال: بل عربي قال: ممن أهلك؟ قال: من كلب قال: من اي كلب؟ قال: من بني عبدود قال ويحك ابن من أنت؟ قال: ابن حارثة بن شراحيل قال: و اين أصبت؟ قال في أخوالي قال و من أخوالك؟ قال: طي قال: ما اسم أمك؟ قال: سعدى فالتزمه و قال: ابن حارثة و دعا أباه و قال يا حارثة هذا ابنك فأتاه حارثة فلما نظر اليه عرفه قال: كيف صنع مولاك إليك؟ قال: يؤثرني على اهله و ولده و رزقت منه حبا فلا اصنع الا ما شئت فركب معه أبوه و عمه و اخوه حتى قدموا مكة فلقوا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فقال له حارثة يا محمد (صلى اللّه عليه و آله و سلم)! أنتم اهل حرم اللّه و جيرانه و عند بيته تفكون العاني و تطعمون الأسير ابني عبدك فامنن علينا و أحسن إلينا في فدائه فانك ابن سيد قومه فانا سندفع لك في الفداء ما أحببت فقال له رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ما أعطيكم خيرا من ذلك؟

قالوا و ما هو؟ قال: اخيره فان اختاركم فخذوه و ان اختارني فكفوا عنه قالوا جزاك اللّه خيرا فقد أحسنت فدعاه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فقال يا زيد أ تعرف هؤلاء؟ قال: نعم هذا أبي و عمي و اخي فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فانا ممن عرفته فان اخترتهم فاذهب معهم و ان اخترتني فانا من تعلم فقال زيد: ما انا بمختار عليك أحدا ابدا أنت مني بمكان الوالد و العم قال له أبوه و عمه: يا زيد أ تختار العبودية على الربوبية؟ قال ما انا بمفارق هذا الرجل فلما راى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) حرصه عليه قال: اشهد انه حرّ و انه ابني يرثني و أرثه فطابت نفس أبيه و عمه لما رأوا من كرامته عليه فلم يزل زيد في الجاهلية يدعى زيد بن محمد حتى نزل القرآن‏ «ادْعُوهُمْ لِآبائِهِمْ» فدعي زيد بن حارثة

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 28

آبائهم ليس قسطا و لا عدلا، و القسط أفضل من العدل؟

علّه ككلّ مما شاة مع المتبنين: إن كان هذا قسطا تعطفا بهم دون مقابل، فدعوتهم لآبائهم اقسط عند اللّه، فإنهم بضع من آبائهم دونكم، و امتداد لهم بمدّهم إيلادا دونكم، فليس منكم لهم إلا قول بأفواهكم، و لهم من آبائهم فعل الايلاد و هو حقيقة لا تنكر، فالأصل الفطري و الولادي يقتضيان ان تدعوهم لآبائهم في كل ما تتطلبه البنوة، و التخلف عنهما هو خلاف العدل و القسط.

او علّه كبعض مصاديقه قسط، كما كان من رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) مع زيد و لكنما الأقسط عند اللّه ان يدعى هو ايضا لأبيه كما فعله (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قبل آية الدعوة، فقد جمع الأقسط الى القسط فلم يخالفهما أو أحدهما قبل آية القسط، اللهم إلّا من سواه بين متعمد و مخطئ و ساحة الرسول منهما براء! ... فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آباءَهُمْ فَإِخْوانُكُمْ فِي الدِّينِ وَ مَوالِيكُمْ .. (5).

فان فوضى العلاقات في أسرة الجاهلية في هرج الجنس و مرجه، و التبني الأعمى بحيث كان يعمي عن الآباء الأصلاء، مما يخلّف مجهولية الآباء، و لكنها ايضا ليست بالتي تسمح بالتبني او تقره، فان هنالك الأخوة في الدين و الولاية فيه اصل جامع يحلّق على كافة المعلومين فضلا عن المجهولين، فهم إذا إخوانكم في الدين في كلما تقتضيه الاخوة الدينية، و كما في سائر المسلمين‏ «فَإِنْ تابُوا وَ أَقامُوا الصَّلاةَ وَ آتَوُا الزَّكاةَ فَإِخْوانُكُمْ فِي الدِّينِ ..» (9: 11) و كما في خصوص اليتامى: «يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْيَتامى‏ قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَ إِنْ تُخالِطُوهُمْ فَإِخْوانُكُمْ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ..» (2: 220) و طبعا هي الاخوة الدينية كما في الأدعياء فإنهم أعم من كونهم يتامى او ذوي آباء مجهولين.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 29

وَ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ فِيما أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَ لكِنْ ما تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً. (5)

هنا ينفى الجناح عن خلفيات التبني لحدّ الآن‏ «فِيما أَخْطَأْتُمْ» خطأ في أصله أن لم يكن إلّا قولا بالأفواه دون اثر خارجي، و خطأ في تجهيل آباءهم حتى جهلوا، و «ما تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ» يعم عمد التبني بترتيب آثار البنوّة لهم و نفيها عن آباءهم، او عمدا في تجهيل آباءهم حتى جهلوا خطئان لا جناح فيهما، و تعمدان مغفوران لمن تاب توبة نصوحا. ثم و قصة الرضاعة ليست بالتي تشكل نسبا إلا تحريما مّا و تحليلا، و الإسلام يهدف من وراء هذا السياج القويم على الأنساب أن يحافظ على نظامها التكويني دو تبعثر بتبن و سواه، و حتى إذا كان نسبا كافرا، فانه ليس ليسمح نسبة المؤمن الى غير والديه مهما كانت هنالك أحكام وقائية لشرف الايمان.

فليس لأحد أن يخفي نسبه بوصمة الكفر فيدعي نسبا آخر بسمة الايمان، فليس الايمان بنسب و سبب، فانه شرف ذاتي لا يعدو حامله الى سواه إلّا إذا حمله الى سواه.

و إنه تشديد أكيد يتمشى مع عناية الإسلام بصيانة الأسرة كيفما كانت، و الحفاظ على روابطها من كل شبهة و خلل، و حياطتها بكافة أسباب السلامة و السلوة و الاستقامة، بعيدة عن الفوضويات في دعارات و سواها من ادعاءات جوفاء، في تغيير النسب و تحويره، مهما كان بمبرّر الايمان فانه خلاف قضية الايمان.

النَّبِيُّ أَوْلى‏ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ أَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى‏ بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُهاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلى‏ أَوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفاً كانَ ذلِكَ فِي الْكِتابِ مَسْطُوراً (6).

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 30

آية وحيدة منقطعة النظير، تختص ولاية عامة للنبي على المؤمنين، و امومة أزواجه لهم، و اولوية اولى الأرحام بعضهم ببعض من المؤمنين و المهاجرين، تضم في هذا المثلث أحكاما عدة جماعية سياسية و اقتصادية أمّاهيه؟

ولاية النبي على المؤمنين؟

«النَّبِيُّ أَوْلى‏ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ» ضابطة مطلقة عامة ثابتة بين محور النبوة و شعاع الايمان، فهو «اولى» قضية النبوة، و هم مولّى عليهم قضية الايمان، و هو (صلى اللّه عليه و آله و سلم) لا ينفصل عن ولايته و لا تنفصل عنه حيث النبوة لزامها و لكن الايمان قد ينفصل عمن يتنحى عن ولايته (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و كما

يروى عنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم): «و الذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه و ماله و ولده و الناس أجمعين»!.

و ليست هي مجرد ولاية الحب مهما كان أصلا من قضيتها، بل هي مطلق الولاية في مطلق الأمور على مطلق الأنفس المؤمنة، عقيدة و حبا و قولا و عملا أماذا من متطلبات الولاية الأولوية المطلقة! إن هذه النبوة القمة تقتضي اولوية قمة، كما الايمان بدرجاته يقتضي تحمل تلك الاولوية حسب الامكانيات.

أ ترى ان هذه الولاية المحمدية قد تعمي مصالح الامة جماعات و فرادى لمصلحة ذاتية شخصية؟ كلّا! ف- «النَّبِيُّ أَوْلى‏» و ليس «محمد اولى» فهذه الاولوية ليست إلا لتخدم مصالح الرسالة و المرسل إليهم جماعات و فرادى، دون مصلحة لشخص محمد (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فانما مصالح رسولية و رسالية و مصالح للمؤمنين، و كلها لصالح الايمان فصالح‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 31

المؤمنين، جماعات و فرادى، تصد عنهم اخطاء عامدة و جاهلة و تصلح الامة كما يرضاها اللّه حيث الولاية اسلاميا هي أن يلي كل قوي من المسلمين ضعيفهم، عقيديا او علميا او خلقيا او عمليا، أما ذا من مختلف الوهبات و الكسبيات جبرانا لنقصه، فقد يكون المسلم وليّا من جهة و مولّى عليه من اخرى، كالأعلم بالنسبة للأتقى، فانه وليه علميا، و لكنه مولى عليه عمليا، و هلم جرا في سائر الأولياء و المولى عليهم حسب مختلف الولايات.

و السمة العامة فيها كلها صالح المولى عليه حيث لا يقدر على تحصيله كما يجب او يحب، و هذه الموالاة هي في صيغة اخرى تعاون على البر و التقوى، و ضد الشر و الطغوى، تعليما او امرا و نهيا او حملا على فعل المعروف و ترك المنكر.

فليس للولي أيا كان أن يتامّر على المولى عليه لصالحه الشخصي بسند انه قوي، اللّهم إلّا لصالح المولى عليه افرادا و جماعات، و الى السلطة الزمنية على ضوء الإسلام حيث الزعيم خادم الرعية، دون ان يبتغي من الزعامة مالا او منالا إلّا إصلاح الرعية، و توجيههم الى الأصلح فالأصلح في مختلف الحقول الاسلامية المحلّقه على كافة المصالح.

الولايات العشر في الإسلام:

هنالك ولايات خاصة و اخرى عامة على المؤمنين كلها تنحو منحى مصالحهم معنوية و مادية جماعية و فردية، ك: «- 1- الولاية على الأيتام- 2- و السفهاء- 3- و المجانين- 4- و الزوجات- 5- و الأولاد- 6- و المتخلفين‏ «1»-

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). دليله قوله تعالى‏ «الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 32

7- و على كل الأمة من الفقهاء- 8- و أئمة الدين- 9- و الرسول- 10- و ولاية اللّه!.

كل هذه ولايات على من لا يحيط علما او طاقة على مصالحه، فالولاية المعصومة من بينها مطلقة و كما تدل عليه آية الولاية: «إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ راكِعُونَ» (5: 55) و آية الطاعة: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» (4: 59) و الولايات الاخرى محدودة بحدود المصالح، و للمولى عليهم الاعتراض و الاستيضاح إن اشتبه عليهم أمرها او تأكدوا من خلاف المصلحة فيها.

ثم تشترك هذه العشر في الولاية الشرعية على اختلاف درجاتها و ضيقها و سعتها، و تخصّ ولاية المعصومين الشرعية بأنها مطلقة محكمة دونما استثناء لأنها تمثل ولاية النبي الممثلة لولاية اللّه و اما الولاية التشريعية و التكوينية فهما من اختصاصات الربوبية، فهو- فقط- المشرع لا سواه‏ «شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً وَ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ ...» و هو المكون خلقا و تدبيرا لا سواه‏ «أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ ..».

ولاية النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) هي الاولوية بأنفس المؤمنين، فتحتل الدرجة الثانية من العشر بعد الولاية الإلهية، فهو أولى بكل مؤمن من نفسه و اهله و ماله و عرضه، و كلها لصالح النبوة و المولى عليهم على ضوء النبوة العادلة، ولاية عامة تشمل رسم مناهج الحياة الفردية و الجماعية في كافة حقولها، فلا ولاية مع ولايته، حيث لا تساوى و لا تسامى، إذ تحلّق بعد ولاية اللّه على الولايات كلها، على سائر الأولياء و المولى عليهم كلهم.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 33

قد تتحقق الولاية دون اولوية بأنفس المولّى عليهم منهم كما في سائر الولايات الخاصة و العامة، إلّا المحمديين من العترة المعصومين (عليهم السلام) «1» و لكنما الآية تثبت ولاية الاولوية له (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بأنفس المؤمنين مما يقدّمه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)- عليهم في النواميس الخمسة كلها: نفسا و عقلا و دينا و عرضا و مالا لصالح النبوة و المولّى عليهم، فصالح النبوة هو هو صالحهم جميعا.

فكما يحب على كل مؤمن الحفاظ على هذه النواميس حبا لها و ايمانا، كذلك عليهم- و باحرى- الحفاظ عليها من النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) تقديما لجانبه على جوانبهم، و كما اللّه جعله اولى بهم و على حد

قوله (صلى اللّه عليه و آله و سلم): «ما من مؤمن إلا و أنا أولى الناس به في الدنيا و الآخرة» «2»

و من هذه الولاية

قوله (صلى اللّه عليه و آله و سلم): «أنا اولى بكل مؤمن من نفسه فأيما رجل مات و ترك دينا فإلي و من ترك مالا فلورثته» «3»

فليس له من اموال المؤمنين شي‏ء إلّا ما تلزمه المصلحة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

الدر المنثور 5: 182 اخرج ابن أبي شيبة و احمد و النسائي عن بريدة قال‏ غزوت مع علي اليمن فرأيت منه جفوة فلما قدمت على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ذكرت عليا فنقصته فرأيت وجه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) تغير و قال يا بريدة الست اولى بالمؤمنين من أنفسهم قلت بلى يا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قال: من كنت مولاه فعلي مولاه»

أقول و انها كلمة متواترة عنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)

(2)

المصدر اخرج البخاري و ابن جرير و ابن أبي حاتم و ابن مردويه عن أبي هريرة عن النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قال: ... اقرءوا ان شئتم‏ «النَّبِيُّ أَوْلى‏ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ..»

(3) المصدر اخرج احمد و ابو داود و ابن مردويه عن جابر عن النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم): ... و مثله ذيل الحديث السابق و لكن فيه: من ترك مالا فلعصبة ...

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 34

الجماهيرية الاسلامية كالضرائب المستقيمة و غير المستقيمة و هي كلها لصالح المسلمين.

ثم إذ يأمر الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بشي‏ء فلا تخلّف عنه نظرة الإذن من غيره وليا و سواه كما كان في غزوة تبوك‏ «1» و من خلفيات هذه الولاية الاولوية المطلقة أن لو راى النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) صالحا في تطليق زوجتك طلقها دون استئمارك، ام صالحا في حملك على عمل دون أجر او بأجر، ام دفع مال بمقابل او دون مقابل، أما ذا مما لك فيه الولاية نفسا و أهلا و مالا و حالا، فهو أولى بك منك، فضلا عما ليس لك فيه ولاية، فهو فيه اولى منك في بعدين اثنين و لكنه لم يعهد عنه أمثال هذه التصرفات خلافا لمرضات المؤمنين و ان كانت له بسناد ولايته المطلقة المخوّلة.

ثم الولاية الجماهيرية هي له أحرى من الشخصية، حيث النبوة تنحو منحى الجماهير قبل الأشخاص، و هي لصالح مجموعة الامة قبل افرادها، و صالح الجماعة في ولاية و سواها أهم من صالح الأفراد.

و من أهم الاهداف في ضابطة الولاية هنا هي الإمرة «2» ألّا يخلد بخلد

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

في المجمع و روي‏ ان النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) لما أراد غزوة تبوك و امر الناس بالخروج قال قوم: نستأذن آبائنا و أمهاتنا فنزلت هذه الآية

(2)

نور الثقلين 4: 238 عن علل الشرايع باسناده الى عبد الرحمن لقصير عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: سألته عن قول اللّه عز و جل‏ «النَّبِيُّ أَوْلى‏ ...» فيمن نزلت هذه الآية قال: نزلت في الإمرة ان هذه الآية جرت في الحسين بن علي (عليه السلام) و في ولد الحسين فنحن اولى بالأمر و برسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) من المؤمنين و المهاجرين، قلت: لولد جعفر فيها نصيب؟ فقال: لا- فعددت؟؟ ليه بطون عبد المطلب كل ذلك يقول: لا- و نسيت ولد الحسن فدخلت عليه بعد

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 35

المؤمنين فرادى و جماعات التقديم او التقدم بين يدي الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) في اي امر من أمورهم حتى و ان شاورهم مصلحيا كما أمره اللّه، فالأمر أمره و الرأي رأيه، لان الإمرة الشاملة على المؤمنين هي إمرته.

فلو رأى المؤمنون بأجمعهم صلوحا في أمر من حرب او صلح أماذا؟

و رأى الرسول خلافهم ف- «النَّبِيُّ أَوْلى‏ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ» فلا لهم او عليهم إلّا ما يراه دونهم.

و لقد جرت هذه الإمرة النبوية في الأئمة الاثني عشر بدليل الكتاب و السنة و على حد

قول باقر العلوم (عليه السلام) «ما لمحمدي نصيب غيرنا»

فهم لا سواهم‏ «أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» الذين افترض اللّه طاعتهم بإمرتهم بعده و بعد رسوله: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ..».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

ذلك فقلت: هل لولد الحسن (عليه السلام) فيها نصيب؟ فقال: لا يا أبا عبد الرحمن ما لمحمدي فيها نصيب غيرنا.

و رواه مثله عنه في الكافي و روايات اهل البيت في ذلك بعديد اسماء اولى الأمر متواترة.

و من ذلك ما

رواه القمي بإسناد متصل عن سليم بن قيس قال سمعت عبد اللّه بن جعفر الطيار يقول: كنا عند معاوية انا و الحسن و الحسين و عبد اللّه بن عباس و عمر بن سلمة و اسامة بن زيد فجرى بيني و بين معاوية كلام فقلت لمعاوية سمعت رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يقول: انا اولى بالمؤمنين من أنفسهم ثم اخي علي بن أبي طالب اولى بالمؤمنين من أنفسهم فإذا استشهد فالحسن بن علي اولى بالمؤمنين من أنفسهم ثم ابني الحسين من بعده اولى بالمؤمنين من أنفسهم و ستدركه يا حسين ثم تكملة اثنتى عشر اماما تسعة من ولد الحسين قال عبد اللّه بن جعفر و استشهدت الحسن و الحسين و عبد اللّه بن عباس و عمر بن ام سلمة و اسامة بن زيد فشهدوا لي عند معاوية قال سليم و قد سمعت ذلك من سلمان و أبي ذر و المقداد و ذكروا لي انهم سمعوا ذلك من رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 36

و لقد احتل حديث خلافة الإمرة النبوة في علي (عليه السلام) يوم الغدير، قمة التواتر بين المسلمين من الصحابة و التابعين و تابعيهم‏ «1» و كذلك حديث التهنئة من الشيخين في قولهما لعلي (عليه السلام): «بخ بخ لك يا علي أصبحت مولاي و مولى كل مؤمن و مؤمنة «2» تلو ما

قال‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). اخرج العلامة الأميني في الغدير نزول آية التبليغ عن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) يوم الغدير في علي بن أبي طالب (عليه السلام) عن ثلاثين مصدرا من إخواننا و ان رواة الغدير من الصحابة (120) صحابيا و من التابعين (84) و ان طبقات الرواة في حديث الغدير من أئمة الحديث و حفاظه و الاساتذة (260) نسمة و المؤلفون فيه (26) راجع علي و الحاكمون ص 34).

(2) قد روى حديث التهنئة فيمن رواه الحافظ ابو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة عن البراء بن عازب و احمد بن حنبل في مسنده 4: 281 عنه و الحافظ ابو العباس الشيباني عنه و الحافظ ابو يعلى الموصلي عنه و الحافظ ابو جعفر محمد بن جرير الطبري في تفسيره 3: 428 عن ابن عباس و ابن عازب و الحافظ احمد بن عقدة الكوفي في كتاب الولاية بالإسناد عن سعد بن أبي وقاص و الحافظ ابو عبد الله المرزباني البغدادي عن أبي سعيد الخدري و الحافظ علي بن عمر الدار قطني البغدادي و الحافظ ابو عبد الله بن بطة الحنبلي عن البراء بن عازب و القاضي ابو بكر الباقلاني البغدادي في التمهيد في اصول الدين ص 171 و الحافظ ابو سعيد الخركوشي النيسابوري في شرف المصطفى عنه و الحافظ احمد بن مردويه الاصبهاني في تفسيره عن أبي سعيد الخدري و ابو إسحاق الثعلبي في تفسيره و الحافظ ابن السمان الرازي عن ابن عازب و الحافظ ابو بكر البيهقي عنه و الحافظ ابو بكر الخطيب البغدادي بسندين صحيحين عن أبي هريرة ص 232- 233 و الفقيه ابو الحسن بن المغازلي في المناقب و ابو محمد احمد العاصمي في زين الفتى و الحافظ ابو سعد السمعاني في فضائل الصحابة عن ابن عازب و حجة الإسلام ابو حامد الغزالي في سر العالمين ص 9 و ابو الفتح الاشعري الشهرستاني في الملل و النحل و اخطب الخطباء الخوارزمي الحنفي في مناقبه ص 94 و ابو الفرج بن الجوزي الحنبلي عن ابن عازب و فخر الدين الرازي الشافعي في تفسيره الكبير 3: 636 و ابو السعادات مجد الدين بن الأثير الشيباني في النهاية 4: 246 و ابو الفتح محمد بن علي النظري في‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 37

النبي (صلى الله عليه و آله و سلم): الست اولى بكم من أنفسكم قالوا بلى قال فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه»

مما يبرهن جليا أن مكانته من المؤمنين هي نفس مكانة الرسول إلا في الوحي و النبوة.

فإمرة الاولوية و الولاية المطلقة تختص بمحمد (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و المحمديين من عترته المعصومين، ثم لا إمرة إلّا شورى بين المؤمنين، سواء أ كانت إمرة الفتوى او الزعامة السياسية، فانها مهما كانت عليمة تقية عادلة فليست معصومة عن أخطاء، و لأنها لا بد منها في استمرارية الإمرة الاسلامية، فلا بد من كونها في نطاق الشورى بين الرعيل الأعلى حتى تقل اخطاءها و كما

يروى الامام علي عن الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) «اجمعوا العابد من امتي فاجعلوا أمركم شورى» «1».

و الشورى في امور المؤمنين هي من سبل الايمان فتركها قطع لسبيل الايمان حسب درجات الأمر الذي يتطلب الشورى.

فولاية الفقهاء محدودة لمكان اخطاءهم قاصرة او مقصرة، فان ثبت للمولى عليهم و هم غير الفقهاء أنهم اخطأوا في شي‏ء حرم اتباعهم فيه إلّا ان يقنعوهم، و ان لم يثبت فاتباعهم مفروض.

ثم لا ولاية لفقيه على فقيه مهما اختلفت درجاتهم، ففي الأحكام الشرعية كل فقيه ولي نفسه و من ليس بفقيه كما و في المسائل السياسية الزمنية فليس ولي امر الامة زمن الغيبة إلّا الشورى من الرعيل الأعلى، بل و في الأحكام الشرعية المرجع هو الشورى دون الأشخاص.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

الخصائص العلوية عن أبي هريرة و عز الدين ابو الحسن بن الأثير الشيباني عن ابن عازب و ثلاثون آخرون امّا زاد ذكرنا أسمائهم في علي و الحاكمون ص 81- 82.

(1). راجع آية الشورى في سورتها ج 24- 25 من: الفرقان.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 38

وَ أَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ‏ ... تنزيل لأزواجه منزلة أمهاتهم، و لولا آية حجابهن عنهم‏ «وَ إِذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتاعاً فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَراءِ حِجابٍ ...»

بل و زيادة على سائر المؤمنات كما هنا و في خضوع القول‏ «فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ» و لولا امكانية تسريحهن‏ «وَ أُسَرِّحْكُنَّ سَراحاً جَمِيلًا» حيث تنفصل عنهن الامومة بانفصال الزوجية، لولا هما لكان التنزيل يعم من امومتهن كونهن محارم لهم فلا حجاب، فانما الأمومة هنا في وجوب حرمتهن كما الأمهات، و حرمة نكاحهن كما و النص يخصصها بالذكر «ما كانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَ لا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْواجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً» فالأمومة النسبية لها وجوب حرمتها و حرمة زواجها و محرميتها و ميراثها، و للرضاعية كل ذلك إلّا ميراثها، و للرسالية ليست إلّا الاوليان و هما الأولان فيما يسبق الى الأذهان من اختصاصات الامومات، فاما المحرمية فتنفيها آية الحجاب: «وَ إِذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتاعاً فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَراءِ حِجابٍ» ثم الميراث تنفيه الآية في ذيلها: «وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى‏ بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ» و لولاهما ايضا في نفيهما لم يشملهما التنزيل، حيث التنزيل لا يوازي الحقيقة، و لان المقام مقام فائق الاحترام فلا يناسبه الميراث و التكشف.

فلان التنزيل خص في مورد الحجاب و لم يذكر له مورد إلّا حرمة نكاحهن فقد انفصم عراه و انحل فتله الشامل لكافة اختصاصات الامومة و اختص بالمنصوص منها و حرمتهن كما الأمهات، فهذه امومة شعورية و شعارية وراء حرمة زواجهن!.

و هل إن ذلك التنزيل مستمر مهما تخلفن عن ساحة الرسالة، بل و عارضنها و أصبحن محادات لها؟ لان هذه الأمومة ذات علاقتين، علاقة بالرسول إذ يتأذى ان تؤذى أزواجه و ينكحن، و علاقة بهن إذ هن من حرمات الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فانطلاقهن عن ساحة الرسالة بفاحشة مبينة تتهدم تلك الساحة المباركة فلا يتأذى إذا من ان‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 39

ينكحن بعده و لا ألّا يحترمن كأمهات، إذا ففي انطلاقهن هذا سماح لطلاقهن.

و

قد يروى عن القائم المهدي عجل اللّه تعالى فرجه الشريف: «ان الله تقدس اسمه عظم شأن نساء النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) فخصهن بشرف الأمهات فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) يا أبا الحسن إن هذا الشرف باق لهن ما من الله على الطاعة فأيتهن عصت الله بعدي بالخروج عليك فأطلق لها في الأزواج و أسقطها من تشرف الأمهات و من شرف امومة المؤمنين» «1»!

و كان حقا له أن يسقط حقه بطلاقهن عن هذا الشرف فيما يضيع حقه في اولويته على المؤمنين بالخروج على امير المؤمنين و مثيله في اولويته تلك في سدّته العليا و إمرته المنصوصة عليهم.

ترى إذا كانت أزواجه أمهاتهم أليس- إذا- هو أباهم في اصل الحرمة الوالدية فلما ذا «النَّبِيُّ أَوْلى‏ ...» و ليس «أبوهم»؟ «2».

ان أولويته المطلقة اولى من الأبوية، فانه اولى من أبويهم و من كل ولي لديهم! فهو الأب الاوّل للمؤمنين و ولده الامة درجات أعلاها علي (عليه‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

نور الثقلين 4: 338 ح 17 في كتاب كمال الدين و تمام النعمة باسناده الى سعد بن عبد اللّه القمي عن الحجة القائم (عليه السلام) حديث طويل و فيه: قلت:

فاخبرني يا مولاي عن معنى الطلاق الذي فرض رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) حكمه الى امير المؤمنين (عليه السلام) قال (عليه السلام): ان اللّه تقدس اسمه ...

(2) في الدر المنثور 5: 183 اخرج عن ابن عباس و مجاهد و عكرمة انهم قرءوا الآية باضافة «و هو أب لهم» أقول: و هو معروض عرض الحائط لكونه خلاف المتواتر الموجود من القرآن و ان‏ «النَّبِيُّ أَوْلى‏ بِالْمُؤْمِنِينَ» تعني فوق الابوة فلا حاجة الى ذكرها و ليس مثله الا مثل القائل «محمد رسول الله و هو مؤمن»!

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 40

السلام)، فهو الأب الثاني للامة و كما سائر الائمة (عليهم السلام) و من ثم سائر الآباء، و قد صح‏

عنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) «انا و علي أبوا هذه الامة»! «1»

و لأنه اولى بالمؤمنين من أنفسهم» كما النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و على حد

قوله (صلى اللّه عليه و آله و سلم) «فوالله اني لأولى الناس بالناس» «2».

.. وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى‏ بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُهاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلى‏ أَوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفاً كانَ ذلِكَ فِي الْكِتابِ مَسْطُوراً (6).

هنا تلميحة ان قد مضى ردح من الزمن يتوارث فيه المسلمون بالايمان و الهجرة، ذلك و لمّا تستقر الدولة الاسلامية، فقد آخى الرسول (صلى اللّه‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

نور الثقلين 4: 238 ح 18 في كتاب علل الشرايع باسناده الى علي بن الحسن بن فضال عن أبيه قال: سألت أبا الحسن (عليه السلام) فقلت له: لم كني النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بابي القاسم؟ فقال: لأنه كان له ابن يقال له قاسم فكني به قال قلت: يا ابن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فهل تراني أهلا للزيادة؟ فقال: نعم اما علمت ان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قال: انا و علي أبوا هذه الامة؟ قلت: بلى قال: اما علمت ان عليا (عليه السلام) قاسم الجنة و النار؟ قلت: بلى- قال: فقيل له ابو القاسم لا ابو القسيم الجنة و النار فقلت: و ما معنى ذلك؟ فقال: ان شفقة النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) على أمته كشفقة الاباء على الأولاد و أفضل أمته علي (عليه السلام) و من بعده شفقة علي عليهم كشفقته (صلى اللّه عليه و آله و سلم) لأنه وصيه و خليفته و الامام بعده فلذلك قال (عليه السلام) انا و علي أبوا هذه الامة و صعد النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) المنبر فقال: من ترك دينا او ضياعا فعلّي و اليّ و من ترك ما لا فلورثته فصار بذلك اولى من آبائهم و أمهاتهم و صار اولى بهم منهم بأنفسهم و كذلك امير المؤمنين (عليه السلام) بعده جرى ذلك له مثل ما جرى لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم).

(2) نهج البلاغة من كلام له عليه السلام.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 41

عليه و آله و سلم) بين المهاجرين و الأنصار، و كان هذا الإخاء صلة عريقة فريدة في تأريخ التكافل العقائدي لحدّ قام مقام قرابة الدم، و ارتفع فيه المدّ الشعوري الى ذروة عالية، و قد أخذ مأخذ الجدّ، قائما مقام قرابة الدم او زاد، و لقد كان ذلك الإخاء العميق ضروريا بادى ذي بدء حفاظا على هذه النشأة الوليدة الايمانية، و تماسكة بقوة صارمة في تلك الظروف الاستثنائية، و حتى تقوم الدولة على سوقها فتزول الضرورة الوقتية من ذلك الإخاء القائم مقام الدم، فيبقى وراء التوارث كأشد ما كان على طول الخط.

فلما استتب امر الدولة و استقرت في مختلف حقولها الجماعية و السياسية و الاقتصادية و العقائدية عاد النظام الحقوقي الاسلامي في التوارث بين اولى الأرحام إلى حالته التي‏ «كانَ ذلِكَ فِي الْكِتابِ مَسْطُوراً».

اولوية النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بالمؤمنين من أنفسهم و في المحمديين من أولي امره، دائبة ثابتة بشاكلتها المعصومة في فترة الرسالة و الإمامة، و من ثم في الشورى من الرعيل الأعلى في العابد من الامة بشاكله غير معصومة.

و امومة أزواجه باقية ما لم يتخلفن عما عليهن، فبانطلاقهن عنه سماح الطلاق لصاحب الإمرة بعده و كما في طلاقه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) نفسه.

و الاخوة المورثة باقية ردحا حتى تستتب امر الدولة و يقر قرارها.

ثم لهذه الآية واجهتان: خاصة قد تعني الاولوية في إمرة الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بعده، فأولو أرحامه بعضهم اولى ببعض في كتاب اللّه من سائر المؤمنين من الأنصار و المهاجرين.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 42

فهنالك اولويتان اثنتان، أولاهما اولوية ذوي أرحامه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) من سائر المهاجرين و الأنصار، و الاخرى الاولوية بين أرحامه أنفسهم، فعليّ اولى من آل عباس، و الحسنان اولى من سائر ولد الامام، و ولد الحسين (عليه السلام) اولى من ولد الحسن، و زين العابدين اولى من سائر ولد الحسين، و من ثم سائر الائمة (عليهم السلام) حتى القائم المهدي (عجل اللّه تعالى فرجه) اولوية بالانتصاب، و كما الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) منتصب في اولويته بالمؤمنين من أنفسهم، كل ذلك بوحي من اللّه‏ «كانَ ذلِكَ فِي الْكِتابِ مَسْطُوراً» و عله امّ الكتاب او اللوح المحفوظ إمّا ذا من كتاب للّه‏ «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). لقد مضى شطر من الأحاديث في آية «أُولُوا الْأَرْحامِ» و إليكم شطرا آخر،

ففي تفسير البرهان 3: 291 ح 2 عن الكافي عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) قال: لا تعود الامامة في أخوين بعد الحسن و الحسين (عليهما السلام) ابدا انما جرت من علي بن الحسين (عليه السلام) كما قال اللّه‏ «وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى‏ بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ» فلا تكون بعد علي بن الحسين الا في الأعقاب و أعقاب الأعقاب.

و

فيه ح 13- ابن بابويه بإسناده عن عبد الأعلى بن أعين قال: سمعت أبا عبد اللّه (عليه السلام) يقول: ان اللّه خص عليا بوصية رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلم) و ما يصيبه له فأقر الحسن و الحسين (عليها السلام) له بذلك ثم وصية للحسن و تسليم الحسين للحسن (عليه السلام) ذلك حتى افضى الأمر للحسين (عليه السلام) لا ينازعه فيه احد له من السابقة مثل ما له و استحقها علي بن الحسين يقول اللّه عز و جل‏ «وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى‏ بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ‏ «فلا تكونن بعد علي بن الحسين (عليه السلام) الا في الأعقاب و أعقاب.

و

فيه ح 14 عنه باسناده عن ثابت الثمالي عن علي بن الحسين (عليه السلام) عن أبيه عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: فينا نزلت هذه الآية «وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى‏ بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ» و فينا نزلت هذه الآية «وَ جَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فِي عَقِبِهِ» و الامامة في عقب الحسين (عليه السلام) الى يوم القيامة ...».

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 43

و من ثم تنتقل الاولوية بالرحم عن عنوانها المشير بعد الإمرة المعصومة، الى الاولوية بالشورى، و أولوية الشورى في إمرة السياسة و الفتوى، ف- «أُولُوا الْأَرْحامِ» عنوان مشير في الإمرة المعصومة المنتصبة حيث الرحم- فقط- ليس ليختص بنفسه الإمرة إلّا للأصلحية المنضمّة إليه و هي الأصيلة، ثم هو في الميراث عنوان للحكم بالاولوية فيه حيث الرحم و قربه هو موضوع الحكم لكونه الرحم، و هو في إمرة الشورى عوان بين الاشارة و الموضوعية، اشارة الى الأقربين إلى أهل بيت الرسالة علما و تقوى أرحاما و غير أرحام، و هي بنفسها الموضوعية حيث الاقربية إليهم في روحية الرحم هي موضوع الاصلحية في الإمرة.

ف- «أُولُوا الْأَرْحامِ» تعني اولي أرحام النبي (صلى اللّه عليه و آله‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

و

فيه ح 15 عنه باسناده عن إسماعيل بن عبد اللّه قال قال الحسين بن علي (عليه السلام: لما أنزل اللّه تبارك و تعالى لي هذه الآية «وَ أُولُوا الْأَرْحامِ ..» سألت رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلم) عن تأويلها فقال: و اللّه ما يعني بها غيركم و أنتم اولوا الأرحام فإذا مت فأبوك علي اولى بي و بمكاني فإذا مضى أبوك فأخوك الحسن (عليه السلام) فإذا مضى الحسن فأنت اولى به فقلت يا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)! و من بعدي؟ قال: ابنك علي اولى بك من بعدك فإذا مضى فابنه محمد اولى به فإذا مضى محمد فابنه جعفر اولى به من بعده و بمكانه فإذا مضى جعفر فابنه موسى اولى به من بعده فإذا مضى موسى فابنه علي اولى به من بعده فإذا مضى علي فابنه محمد اولى به من بعده فإذا مضى محمد فابنه على اولى به من بعده فإذا مضى علي فابنه الحسن اولى به من بعده فإذا مضى الحسن وقعت الغيبة في التاسع من ولدك فهذه الائمة التسعة من صلبك أعطاهم اللّه علمي و فهمي طينتهم من طينتي ما لقوم يؤذوني فيهم لا أنالهم اللّه شفاعتي‏

أقول: و تاويل آية اولى الأرحام بذلك بالغ حدّ التواتر و فيما نقلناه الكفاية كنموذج.

و في ملحقات الاحقاق 3: 418 ذكر نزولها في علي و أئمة اهل البيت جماعة من أئمة الحديث منهم الترمذي في مناقب مرتضوي 62 نقل اتفاق المفسرين على نزولها في علي لأنه الذي كان مؤمنا و مهاجرا و ابن عمه و منهم ابن مردويه في المناقب كما في كشف الغمة 95

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 44

و سلم (نسبيا و روحيا، ثم اولي أرحامه روحيا، و من ثم اولى أرحام المؤمنين نسبيا، تجمع هذه الثلاث و تعنيها، قضية المناسبة في ادب اللفظ و حدب المعنى!.

ترى إذ تعني الآية فيما تعنيه الاولوية بالإمرة بين اولى أرحام الرسول (صلّى اللّه عليه و آله و سلم) فلما ذا «أَوْلى‏ بِبَعْضٍ» لا «من بعض»؟- لأنها تعني اولويات عدة هذه منها فلذوي أرحام الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) اولوية الإمرة من غيرهم، و من بينهم أنفسهم، و كذلك الاولوية في الميراث بين اولي الأرحام ككلّ من المؤمنين و المهاجرين نسخا للتوارث بالاخوة، و من بينهم أنفسهم الأقرب فالأقرب.

ف- «أَوْلى‏ بِبَعْضٍ فِي ..» هنا تعني اولوية في الامرة عكس ما كان‏ «النَّبِيُّ أَوْلى‏ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ» انهم اولى بالنبي في امرته بعده من غيرهم، و بعضهم اولى ببعض في ميراث الإمرة من غيرهم، فعلي اولى بالنبي (صلّى اللّه عليه و آله و سلم) من غيره كما الحسنان اولى بعلي من غيرهما و هلّم جرا الى قائمهم، اولوية ذات بعدين، ممن سوى اولى الأرحام، و ممن سواهم بينهم، الأقرب فالأقرب فيما يحملون من معنى الرسالة و حقيقتها.

فللاولوية واجهتان: خاصة تخص اولي أرحام النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بينهم أنفسهم و من سواهم، و عامة تعم اولي الأرحام كلهم في اولوية الميراث تعني تفاضلا بينهم و بين من سواهم من المؤمنين و المهاجرين نسخا للتوارث بالأخوة، و تفاضلا بينهم أنفسهم بالقريب و الأقرب، فإنهم طبقات لا ترث كل تالية مع وجود السابقة، ضابطة عامة صارمة في كل توارث.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 45

إذا فالميراث فرضا وردا يختص بالأقرب رحما، فكما لا نصيب لتاليه من فرضه كذلك مما زاد، فان ترك بنتا من الطبقة الاولى لا سواها، أخذت نصفه بالفرض: «وَ إِنْ كانَتْ واحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ» ورد الباقي إليها لآية «أُولُوا الْأَرْحامِ» فانها مطلقة في الميراث، و ليس لسائر الطبقات معها و لا للعصبة حق من زائد الفرض، حيث البنت اولى بابيه ممن بعدها لأنها أقرب، و إذا كان ذو فرض ليس معه اي وارث من طبقاته فله المال كله فرضا وردا «1».

... مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُهاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلى‏ أَوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفاً كانَ ذلِكَ فِي الْكِتابِ مَسْطُوراً (6).

«إلّا ..» استثناء فقط عن اولوية الميراث و «أوليائكم» تعم ولاية القرابة و المحبة و الرقية، و «معروفا» يخص الثلث و ما دونه بدليل آيات الوصية بالثلث، و مما يدل على مثلث الولاية: «وَ إِذا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبى‏ وَ الْيَتامى‏ وَ الْمَساكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَ قُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفاً» (4: 8) «2».

و «كان ذلك» قد يعني هذه الثلاث كلها، مما يدل على ان الوراثة بالإخاء كانت مؤقتة في ردح من بداية الدولة الاسلامية مصلحة.

و هل خصت فاطمة الصديقة عن آية «أُولُوا الْأَرْحامِ» فكان سائر المؤمنين اولى منها بفدك و غير فدك ام لم تكن هي من اولى أرحام الرسول‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

في الكافي باسناده عن حنان قال‏ قلت لابي عبد اللّه (عليه السلام) اي شي‏ء للموالي؟ فقال: ليس لهم من الميراث الا ما قال اللّه عز و جل‏ «إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلى‏ أَوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفاً».

(2) في أحاديث متظافرة ان عليا (عليه السلام) اعطى الميراث كله لخالة دون المولى او بيت المال إذا كانت وحدها ليس معها وارث غيرها.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 46

(صلّى اللّه عليه و آله و سلم) ام- انها و لا سمح اللّه- كانت كافرة لا ترث أبيها؟ سلوا الخليفة أبا بكر و زميله عمر عن هذه المسألة تسمعون‏

الحديث المختلق‏ «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة»

ثم سلوها تجيبكم بآيات الإرث، ردا لحديث الخليفة الى كتاب اللّه و ضربا عليه عرض الحائط لمخالفة الكتاب في خطبتها و قد نقلها أئمة الحديث بما لا نكير عليه‏ «1»!.

وَ إِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ وَ مِنْكَ وَ مِنْ نُوحٍ وَ إِبْراهِيمَ وَ مُوسى‏ وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَ أَخَذْنا مِنْهُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً (7) لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَ أَعَدَّ لِلْكافِرِينَ عَذاباً أَلِيماً (8).

ميثاق واحد مطرد يشمل كافة «النبيين» فانه جمع محلى باللام يفيد استغراق مدخوله، و «ميثاقهم» يوحي باختصاصه بهم لا يعدوهم الى سواهم من نبي او مرسل غير نبيّ حيث «النبيين» هم اولوا النبوة و الرفعة بين المرسلين فضلا عمن دونهم من نبي‏ء لم يرسل فضلا عن ان ينبو في رسالته! فلو كان الميثاق لعامة المرسلين لكان «من المرسلين» ام و لعامة من يوحى إليهم و ان لم يرسلوا لكان «النبيئين» ام لعامة الصديقين او الصادقين لكانوا هم ام أولاء و لكنه «من النبيين».

هنا ميثاق منهم يعمهم، لأمر مّا يهمهم كلّهم في هامة النبوة، و في اخرى ميثاق آخر منهم كلهم لإيمانهم و نصرتهم لآخرهم مبعثا و اوّلهم ميثاقا:

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). و منهم احمد بن أبي طاهر البغدادي في بلاغات النساء 14 و ابن أبي الحديد في شرح النهج 4: 78 و 92 و عمر رضا كحالة في أعلام النساء 3: 1208 و ابو بكر الجوهري في كتابه على ما في تظلم الزهراء 38.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 47

«وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ قالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلى‏ ذلِكُمْ إِصْرِي قالُوا أَقْرَرْنا قالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ» (3: 81) هنا إصر بإقرار و شهادة لميثاق الايمان و النصرة بهذا الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و هنالك ميثاق غليظ، فأين ميثاق من ميثاق، كما البون بينهم و بين خاتم النبيين! و فيما هنالك ايضا نراه يتصدّر في ميثاقهم: «و منك» و هو آخرهم، مما يوحي باوليته ميثاقا و نبوة و رفعة و من ثم «من نوح» و من بعده حسب الترتيب الرسالي لا الرسولي.

و هنا ترتيب ثلاثي بعموم النص ل- «النبيين» و اختصاص صاحب الرسالة الاخيرة بينهم «و منك» ثم اختصاص ثان بين من دارت عليهم الرحى، يهدف الى بيان محتده الاوّل في نبوته و ميثاقه و منازله الرسالية و الرسولية بينهم، و كما يبين ان الخمس المذكورين هم أفضل النبيين ككلّ.

ففيم يسئل:

متى أخذ ميثاقك»؟ «1»

«متى استنبئت»؟ «2»

«متى كنت نبيا» «3»

«متى وجبت لك النبوة» «4»

«متى جعلت نبيا»؟

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 5: 184- اخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال قيل يا رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلم):!.

(2) المصدر اخرج ابن سعد قال قيل يا رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلم)!: ..

(3) المصدر اخرج البزار و الطبراني في الأوسط و ابو نعيم في الدلائل عن ابن عباس قال قيل يا رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلم):. و أخرجه مثله احمد و البخاري في تاريخه و الطبراني و الحاكم و صححه و ابو نعيم و البيهقي معا في الدلائل عن مسيرة الفخر قال قلت يا رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلم)!::. و اخرج مثله ابن سعد عن مطرف بن عبد اللّه ابن الشخير ان رجلا سأل رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلم): ..

(4)

المصدر اخرج الحاكم و ابو نعيم و البيهقي عن أبي هريرة قال‏ قيل للنبي (صلّى‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 48

«1»؟ يجيب:

«و آدم بين الروح و الجسد»-

«و آدم منجدل في الطين»

«و آدم بين الروح و الطين»

و

كان إذا قرأ الآية قال: بدى بي في الخير و كنت آخرهم في البعث‏ «2»

«كنت أول النبيين في الخلق و آخرهم في البعث فبدى‏ء بي قبلهم» «3»

و على الجملة

«كنت نبيا و آدم بين الماء و الطين» «4»

فهل يعني من نبوته‏

«و آدم بين الروح و الجسد»

نبوته في علم اللّه؟

و قد كان يعلمها قبل ان يخلق الخلق! و كان يعلم نبوة سائر النبيين كذلك، و ذلك مخصوص به.

او يعني كونه مخلوقا قبل خلق آدم أبيه؟ و لم يخلق إلّا من أبيه! ام يعني نبوته في الروح قبل ان يخلق جسده من آدم، فكونه قبله- إذا- ليس كونه ككلّ فانما هو نبوته؟ و القرآن ينص على ان واقع نبوته كان بعد ردح من خلقه في جسده! ام يعني منها كيان نبوته حينذاك لا كونها كما كان يوم مبعثه، و كما تدل عليه آية الميثاق له‏ «إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ‏ ... لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ» و لا نبيّ كمثله يؤخذ على من قبله ميثاق نصرته و الايمان به و هو لم يبعث بعد؟ و هذا صحيح في نفسه و لكنما الميثاق المأخوذ عليه بينهم و قبلهم هنا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

اللّه عليه و آله و سلم) .. قال بين خلق آدم و نفخ الروح فيه.

(1). المصدر اخرج ابو نعيم عن الصنابحي قال قال عمر: ..

(2) المصدر اخرج ابن أبي شيبة عن قتادة قال كان النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) إذا قرأ ...

(3) المصدر اخرج الحسن بن سفيان و ابن أبي حاتم و ابن مردويه و ابو نعيم في الدلائل و الديلمي و ابن عساكر من طريق قتادة عن الحسن عن أبي هريرة عن النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) في الآية: ...

(4) كما استفاض من طرق الامامية.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 49

يتطلب له كونا يجنب ذلك الكيان، فهم كلهم مشتركون في كون مّا، أخذ عليهم فيه الميثاق العام، و هو قبلهم في ذلك الكون اضافة الى ذلك الكيان.

فقد كان قبل ان يخلق و يبعث نبيّا له كيان الايمان به و النصرة له من النبيين أجمع، كما له كون في الروح قبل خلقه ككل و قبل بلوغه ذروة النبوة، و قد يصلح هذا المعنى‏

لقوله (صلّى اللّه عليه و آله و سلم) أخذ علي الميثاق و استنبئت و آدم بين الروح و الجسد «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

تفسير البرهان 3: 294 ح 1 علي بن ابراهيم قال حدثني أبي عن النضر بن سويد عن ابن سنان قال قال ابو عبد اللّه (عليه السلام) اوّل من سبق الى الميثاق رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلم) و ذلك انه كان اقرب الخلق الى اللّه و ما كان بالمكان الذي قال له جبرئيل لما أسري به الى السماء تقدم يا محمد لقد وطئت موطئا لم يطأه ملك مقرب و لا نبي مرسل و لو لا ان روحه و نفسه كانت من ذلك المكان لما قدر ان يبلغه فكان من اللّه عز و جل كما قال اللّه كقاب قوسين او ادنى اى بل ادنى فلما خرج الأمر وقع من اللّه الى أوليائه عليهم السلام، فقال الصادق (عليه السلام) كان الميثاق مأخوذا عليهم للّه بالربوبية و لرسوله (صلّى اللّه عليه و آله و سلم) بالنبوة و لأمير المؤمنين و الائمة عليهم السلام بالامامة فقال: الست بربكم و محمد (صلى اللّه عليه و آله و سلم) نبيكم و علي (عليه السلام) إمامكم و أئمة الهادين (عليهم السلام) أئمتكم؟

قالوا: بلى فقال اللّه: شهدنا ان تقولوا يوم القيامة اى لئلا تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين فاوّل ما أخذ اللّه الميثاق على الأنبياء له بالربوبية و هو قوله: و إذا أخذنا من النبيين ميثاقهم فذكر جملة الأنبياء ثم ابرز عز و جل أفضلهم بالاسامي فقال: و منك يا محمد فقدم رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلم) لأنه أفضلهم و من نوح و ابراهيم و موسى و عيسى بن مريم فهؤلاء الخمسة أفضل الأنبياء و رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أفضلهم ثم أخذ بعد ذلك الميثاق لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) على الايمان به و على ان ينصروا امير المؤمنين (عليه السلام) فقال: و إذ أخذ اللّه ميثاق النبيين لما آتيكم من كتاب و حكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم يعني رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلم) لتومنن به و لتنصرنه يعني امير المؤمنين (عليه السلام) تخبروا أممكم بخبره و خبر وليه من الائمة (عليه السلام)

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 50

عرفنا الميثاق له منهم في نصرة له و ايمان به هما لزام نبوتهم، و إيتاء الكتاب و الحكمة لهم، فما هو الميثاق الذي يعمه معهم‏ «وَ أَخَذْنا مِنْهُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً»؟.

قد يعنيهما «منهم» دون «منكم» و قد كان يتطلبه «و منك» خطاب الحاضر، «أَخَذْنا مِنْهُمْ» لك كما في آية آل عمران، و أخذنا منهم و أنت فيهم كما هنا، فغلظ الميثاق علّه لغلظ الموثوق له، فميثاقهم ككل «ميثاقهم» و «مِيثاقَ النَّبِيِّينَ» لك‏ «مِيثاقاً غَلِيظاً» امّا ذا؟

قد نتعرف الى ميثاقهم كلهم من‏ «لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ» و من سؤالهم أنفسهم ألا يتحرجوا في الإنذار كما أمروا: «كِتابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَ ذِكْرى‏ لِلْمُؤْمِنِينَ. اتَّبِعُوا ما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَ لا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ قَلِيلًا ما تَذَكَّرُونَ‏ ... فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَ لَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَ ما كُنَّا غائِبِينَ» (7: 7) «ما كانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيما فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ» (33: 238) و اوّل الإنذار الجماعي هو عن الإشراك باللّه‏ «وَ سْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنا أَ جَعَلْنا مِنْ دُونِ الرَّحْمنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ» (43: 45) و ألّا يسألوا أجرا على بلاغهم و يستقيموا اليه.

كذلك و السنة الجماهيرية الرسالية «إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ» (21: 92) «شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً وَ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ وَ ما وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ وَ مُوسى‏ وَ عِيسى‏ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَ لا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ» (42: 13).

ثم و «لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ» لها واجهتان كما للميثاق، ف- «الصادقين» المسئولين عن ميثاقهم له (صلّى اللّه عليه و آله و سلم) هم‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 51

النبيون، إذ يسألون عن صدقهم في إقرارهم و أخذهم الإصر في ميثاقهم ليؤمنن به و لينصرنه‏ «وَ أَعَدَّ لِلْكافِرِينَ» بهذه الرسالة الاخيرة «عَذاباً أَلِيماً» و في واجهة عامة يسأل الصادقون- النبيون- عن صدقهم في ميثاقهم، و الصادقون سواهم كذلك، و المسئول و المسئول عنه شاهدا صدق على صدقهم (عليهم السلام) فيما كان عليهم.

و كما يسأل الصادقون الآخرون عن صدقهم في تصديقهم لهم (صلوات اللّه عليهم) و تطبيقهم شرعتهم‏ «وَ أَعَدَّ لِلْكافِرِينَ» تصديقا او تطبيقا «عَذاباً أَلِيماً».

ثم و في وجهة عامة «لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ» من نبيين و سواهم «عن صدقهم» فيما حمّلوا، هل عملوا بما تحمّلوا من تبليغ و من تطبيق، و قد تعنيها الآية كلها، فالكل مسئولون عما أرسلوا و عما حمّلوا و تحملوا عما اعتقدوا و .. «يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ ما ذا أُجِبْتُمْ ..»

(5: 109).

ذلك ميثاق غليظ على النبيين أجمعين ليسئلهم «الصادقين» عن صدقهم‏ «1» و ليسأل الصادقين المرسل إليهم عن صدقهم أولاء و عن صدقهم أنفسهم‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

الدر المنثور 5: 183- اخرج الطبراني و ابن مردويه و ابو نعيم في الدلائل عن أبي مريم الغساني‏ ان أعرابيا قال يا رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلم) ما اوّل نبوتك؟ قال: أخذ اللّه مني الميثاق كما أخذ من النبيين ميثاقهم ثم تلا «وَ إِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ ...» و دعوة أبي ابراهيم قال: و ابعث فيهم رسولا منهم و بشارة المسيح بن مريم و رأت ام رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) في منامها انه خرج من بين رجليها سراج أضاءت له قصور الشام.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 52

في تصديقهم، مما قد يلمح بأخذ الميثاق من المرسل إليهم مع المرسلين، و علّه من فطرهم أما ذا مما هو حجة عليهم، إذ لم يكونوا قبل كونهم في كون أو كيان به يعقلون‏ «1» و

قد يعنيه الرسول (صلّى اللّه عليه و آله و سلم) فيما يرويه‏ «خلق الله الخلق و قضى القضية و أخذ ميثاق النبيين و عرشه على الماء فأخذ أهل اليمين بيمينه و أخذ اهل الشمال بيده الاخرى و كلتا يدي الرحمن يمين فأما اصحاب اليمين فاستجابوا اليه ... قال قائل فما العمل فقال (صلى الله عليه و آله و سلم) يعمل كل قوم لمنزلتهم.» «2»

فأهل اليمين هو من استجاب لفطرته خلاف اهل الشمال، دون ان يسبقهم عالم قبل خلقهم إذ لا يذكره احد فكيف يكون حجة عليه اللهم إلّا أحكام الفطرة التي فطر الناس عليها!

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

المصدر اخرج أبو نعيم و الديلمي عن ابن مسعود قال قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ليس من عالم الا و قد أخذ اللّه ميثاقه يوم أخذ ميثاق النبيين يدفع عنه مساوي عمله لمحاسن عمله الا انه لا يوحى اليه.

(2)

المصدر اخرج الطيالسي و الطبراني و ابن مردويه عن أبي العالية قال قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلم) ... فاستجابوا اليه فقالوا لبيك ربنا و سعديك قال الست بربكم قالوا بلى فخلط بعضهم ببعض فقال قائل منهم يا رب لم خلطت بيننا فان لهم اعمالا من دون ذلك هم لها عاملون؟ قال: ان يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ثم ردهم في صلب آدم (عليه السلام) فأهل الجنة أهلها و اهل النار أهلها فقال قائل فما العمل فقال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلم): ... فقال ابن الخطاب اذن نجتهد يا رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلم).

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 53

[سورة الأحزاب (33): الآيات 9 الى 27]

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْها وَ كانَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيراً (9) إِذْ جاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَ مِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَ إِذْ زاغَتِ الْأَبْصارُ وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ وَ تَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (10) هُنالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَ زُلْزِلُوا زِلْزالاً شَدِيداً (11) وَ إِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً (12) وَ إِذْ قالَتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ يا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَ يَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ وَ ما هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلاَّ فِراراً (13)

وَ لَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطارِها ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْها وَ ما تَلَبَّثُوا بِها إِلاَّ يَسِيراً (14) وَ لَقَدْ كانُوا عاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الْأَدْبارَ وَ كانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُلاً (15) قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَ إِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً (16) قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَ لا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَ لا نَصِيراً (17) قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَ الْقائِلِينَ لِإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا وَ لا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً (18)

أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذا جاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشى‏ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمالَهُمْ وَ كانَ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً (19) يَحْسَبُونَ الْأَحْزابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَ إِنْ يَأْتِ الْأَحْزابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بادُونَ فِي الْأَعْرابِ يَسْئَلُونَ عَنْ أَنْبائِكُمْ وَ لَوْ كانُوا فِيكُمْ ما قاتَلُوا إِلاَّ قَلِيلاً (20) لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ ذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً (21) وَ لَمَّا رَأَ الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزابَ قالُوا هذا ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ صَدَقَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ ما زادَهُمْ إِلاَّ إِيماناً وَ تَسْلِيماً (22) مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى‏ نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ ما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً (23)

لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَ يُعَذِّبَ الْمُنافِقِينَ إِنْ شاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كانَ غَفُوراً رَحِيماً (24) وَ رَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنالُوا خَيْراً وَ كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتالَ وَ كانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزاً (25) وَ أَنْزَلَ الَّذِينَ ظاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مِنْ صَياصِيهِمْ وَ قَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَ تَأْسِرُونَ فَرِيقاً (26) وَ أَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَ دِيارَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ وَ أَرْضاً لَمْ تَطَؤُها وَ كانَ اللَّهُ عَلى‏ كُلِّ شَيْ‏ءٍ قَدِيراً (27)

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 56

غزوة الأحزاب- الخندق؟!

لقد جند الكفر أحزابه و تجمع خيله و رجله في خندق واحد ضد الايمان كله حول المدينة المنورة، و هنا مقطع من سورة الأحزاب في تسعة عشر آية، يتحدث عن غزوة الأحزاب كحدث ضخم من الأحداث التي ابتلي بها المسلمون في حياة الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) «هُنالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَ زُلْزِلُوا زِلْزالًا شَدِيداً» يتحدث هنا عن موقف المؤمنين و وقفة المنافقين بينهم و بين الأحزاب مزعزعين، و موقف النعمة الخاصة الربانية التي خصتهم في تلكم الزلزال و الزعزعة، مما يتوجب عليه أن يدخروه زادا لهم في عراقيل السبيل الى تحكيم الدولة الاسلامية على مرّ الزمن حتى تقوم الدولة الاسلامية العالمية زمن المهدي عجل اللّه تعالى فرجه الشريف.

غزوة الأحزاب- في السنة الرابعة او الخامسة من الهجرة- كانت‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 57

امتحانا للمؤمنين، و امتهانا للمنافقين، و مدحرة للأحزاب الكافرة التي استهدفت بتحزّبها الجماعي الجماهيري استئصال ناشئة الإسلام، فاندحرت هي رغم عدّتها و عدتها الهائلة «وَ رَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنالُوا خَيْراً وَ كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتالَ وَ كانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزاً. وَ أَنْزَلَ الَّذِينَ ظاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مِنْ صَياصِيهِمْ وَ قَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَ تَأْسِرُونَ فَرِيقاً وَ أَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَ دِيارَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ وَ أَرْضاً لَمْ تَطَؤُها وَ كانَ اللَّهُ عَلى‏ كُلِّ شَيْ‏ءٍ قَدِيراً».

لقد تحزب المشركون و اليهود بأسرهم، و معهم اضرابهم من منافقين و سواهم تدخلا في حرب او تخلفا عن حربهم، فحلّقوا على المدينة من فوق و من أسفل حتى زاغت الأبصار و بلغت القلوب الحناجر و ظن ظانون باللّه الظنونا، و ابتلي المؤمنين و زلزلوا زلزالا شديدا، و قال المنافقون قولتهم و فعلوا فعلتهم، و هنالك أدرك الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و المؤمنين نصر من اللّه ف- «كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتالَ ..»!:

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْها وَ كانَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيراً (9).

في هذا العرض الوجيز تبدأ المعركة و تختم بعناصرها الغيبية الحاسمة لها لصالح المؤمنين، و «نِعْمَةَ اللَّهِ» دون «نعمة من الله» توحي انها كانت لدنّية خاصة، كأن نعمة النصرة الايمانية منحصرة فيها منحسرة عن سواها، فهنالك هجمة الأحزاب‏ «إِذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ» ففاجأتها ما لم يخلد بخلدها «فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْها»- و

قد قال الرسول‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 58

(صلى اللّه عليه و آله و سلم) يوم الأحزاب: «الآن نغزوهم و لا يغزونا» «1».

و كيف تحزبوا ضد المؤمنين بكل طاقاتهم و امكانياتهم، و كيف قتلوا و أسروا و حسروا و انحسروا دون حرب طاحنة؟ «2» فهذه الآيات يقص‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 5: 192- اخرج احمد و البخاري و ابن مردويه عن سليمان بن صرر قال قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يوم الأحزاب: ..

(2)

علي بن ابراهيم القمي يذكر قصة الأحزاب بتفصيل يقول فيه .. فانها نزلت في قصة الأحزاب من قريش و العرب الذين تحزبوا على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و ذلك ان قريشا تجمعت في سنة خمس من الهجرة و ساروا في العرب و جلبوا و استفزهم لحرب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فوافوا في عشرة آلاف و معهم كنانة و سليم و فزارة و كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) حين اجلى بني النضير و هم بطن من اليهود من المدينة و كان رئيسهم حي ابن اخطب و هم يهود من بني هارون فنجا أحدهم من المدينة صاروا الى خيبر و خرج حي بن اخطب الى قريش بمكة و قال لهم ان محمدا (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد وتركم و وترنا و أجلانا من المدينة من ديارنا و أموالنا و أجلا بين عمنا بني قينقاع فسيروا في الأرض و اجمعوا حلفاءكم و غيرهم و سيروا إليهم فانه قد بقي من قومي بيثرب سبعمائة مقاتل و هم بنو قريظة و بينهم و بين محمد عهد و ميثاق و انا احملهم على نقض العهد بينهم و بين محمد و يكونوا معنا عليهم فتأتونه أنتم من فوق و هم من أسفل و كان موضع بني قريظة من المدينة على قدر ميلين و هو الموضع الذي يسمى بئر بني المطلب فلم يزل يسير معهم حي بن اخطب في قبائل العرب حتى اجتمعوا قدر عشرة آلاف من قريش و كنانة و الأقرع بن حابس في قومه و العباس بن مرداس في بني سليم فبلغ ذلك رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فاستشار

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 59

القصة كما يتضمن رءوس أقلامها و كما يضمن بقاءها على مدّ الزمن نموذجا بارعا من نماذج النصر، كاشفة لهم من جوانبها ما لم يدركوها، و يلقي‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

أصحابه و كانوا سبعمائة رجل فقال سلمان يا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ان القليل لا يقاوم الكثير في المطاولة و لا يمكنهم ان يأتونا من كل وجه فانا كنا معاشر العجم في بلاد فارس إذا دهمنا دهم من عدونا نحفر الخنادق فيكون الحرب من مواضع معروفة فنزل جبرئيل على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فقال: أشار بصواب فامر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بحفرة من ناحية احد الى راتج و جعل على كل عشرين خطوة و ثلاثين خطوة قوما من المهاجرين و الأنصار يحفرونه فامر فحملت المساحي و المعاول و بدأ رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و أخذ معولا فحفر في موضع المهاجرين بنفسه و امير المؤمنين (عليه السلام) ينقل التراب من الحفرة حتى عرق رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و عيي و قال: لا عيش الا عيش الآخرة اللهم ارحم للأنصار و المهاجرة فلما نظر الناس الى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يحفر اجتهدوا في الحفر و نقل التراب فلما كان في اليوم الثاني بكروا الى الحفر و قعد رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) في مسجد الفتح فبينا المهاجرون و الأنصار يحفرون إذ عرض لهم جبل لم يعمل المعاول فيه فبعثوا جابر بن عبد اللّه الانصاري الى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يعلمه بذلك قال جابر فجئت الى المسجد و رسول اللّه مستلقي على قفاه و رداءه تحت رأسه و قد شد على بطنه حجرا فقلت يا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد عرض لنا جبل لم تعمل المعاول فيه فقام مسرعا حتى جاءه ثم دعا بماء في إناء فغسل وجهه و ذراعيه و مسح على رأسه و رجليه ثم شرب و مجّ في ذلك الماء ثم صبه على ذلك الحجر ثم أخذ معولا فضرب ضربة فبرقت برقة فنظرنا فيها الى قصور الشام ثم ضرب أخرى فبرقت برقة نظرنا فيها الى قصور المدائن ثم ضرب اخرى فبرقت برقة اخرى فنظرنا فيها الى قصور اليمن فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) اما إنه سيفتح اللّه عليكم هذه المواطن التي برقت فيها البرق ثم انهال علينا الجبل كما ينهال علينا الرمل فقال جابر: فعلمت ان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) مقو اي جائع لما رأيت على بطنه الحجر فقلت يا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) هل لك في الغذاء؟ قال: ما عندك يا جابر؟ فقلت: عناق‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 60

اضواء منها على سراديب النفوس و منحنيات القلوب و مخبّئات الضمائر و لكي يتدربوا و يتأدبوا بمعدات الحرب الدفاعية الوقائية كيفما كانت عدّة المهاجمين و عدّتهم و تلك نعمة منقطعة النظير في هكذا الخطر الخطير «إِذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ» من فوقكم و من أسفل منكم .. «وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ» و ابتليتم و زلزلتم زلزالا شديدا «فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً» راحت بها راحتهم و انزاحت عدّتهم و عدّتهم‏ «وَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْها» و علّهم رأوها و هابوها فانهزموا دون حرب طاحنة وَ كانَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيراً قد تكون هذه الريح ريح الصبا كما يروى عن الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) «1» و الجنود علّهم من الملائكة المردفين كما في آية اخرى.

إِذْ جاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَ مِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَ إِذْ زاغَتِ الْأَبْصارُ وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ وَ تَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (10).

«مِنْ فَوْقِكُمْ وَ مِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ» هما جانبان من جوانب المدينة، و المهاجمون على أحزابهم حزبان: اليهود و المشركون، إذا فأحدهما «جاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ» و الآخر «مِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ» و طبعا المشركون من جانب مكة فهو جانبها الغربي: «مِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ» فأحزاب اليهود من‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(الأنثى من أولاد المعز) و صاع من شعير فقال (صلى اللّه عليه و آله و سلم) تقدم و أصلح ما عندك قال جابر فجئت الى أهلي فأمرتها فطحنت الشعير و ذبحت العنز و سلختها و أمرتها ان تجز و تطبخ و تشوي فلما فرغت من ذلك جئت الى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم).

(1).

الدر المنثور 5: 185- اخرج البخاري و مسلم و النسائي و ابن مردويه عن ابن عباس قال قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم): نصرت بالصبا و أهلكت عاد بالدبور.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 61

الجانب المقابل الشرقي: من فوقكم، و ما ألطفه تعبيرا للشرقي بالفوق حيث اليهود كانوا قريبين منهم كأنهم فوق رءوسهم و ان المشرق فوق إذ تتفوق فيه الشمس فهو يتفوق المغرب، و ما ألطفه للغربي‏ «أَسْفَلَ مِنْكُمْ» «لأسفلكم» فإنهم كانوا بعيدين عنهم و في الجانب الغربي و هو سفل الشمس.

ثم الجاءون من فوق كانوا أخطر لقربهم مكانا و بعدهم عن التهجم لمكان العهود التي وثّقت بينهم و بين النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فمفاجئتهم أخطر، و خطرهم أكثر، و لكنما المشركون كانوا أسفل لبعد المكان و التهيئ لهم اكثر مما لليهود بفارق عدم الميثاق.

هنا تتمثل صورة الهول الفظيع الفجيع التي سلبت من جموع المؤمنين أبصارهم: «وَ إِذْ زاغَتِ الْأَبْصارُ» و قلبت قلوبهم: «وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ» فخلّفت ظنونا لا تليق بساحة الايمان: «و تظنون بالله الظنونا إنهم إذ يرون الحق كله معهم و الباطل كله مع الأحزاب، ثم يفاجئون بهذه الفجاة النكراء الدهماء الدهياء، فكيف تظل أبصارهم كعادتها لا تزيغ، و قلوبهم في مكاناتها لا تبلغ الحناجر، و لكن لماذا «تَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا» دون ان ترونها امتحانا و بلاء دون امتهانة لعناء.

زيغ الأبصار هو انحرافها عن حق الإبصار إذ أبصروا الأحزاب هاجمة، و بلوغ القلوب الحناجر يصور مدى الخوف حيث كادت تزهق به النفوس .. و هذه حالة المجموعة من ضعفاء الايمان و المنافقين، و أما المؤمنون الحقيقيون‏ «وَ لَمَّا رَأَ الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزابَ قالُوا هذا ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ صَدَقَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ ما زادَهُمْ إِلَّا إِيماناً وَ تَسْلِيماً» (33).

قصة الأحزاب هنا ترسم مربعا من وسطها للمهاجمين، و للمؤمنين، و ضعفاء الايمان، و للمنافقين، فتوضّح لكل دوره‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 62

هُنالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَ زُلْزِلُوا زِلْزالًا شَدِيداً (11).

في هذه البلية الزلزال نجح أقوياء الايمان: «وَ لَمَّا رَأَ الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزابَ» و زلزل الإخفاء و بسطاء الايمان: «إِذْ زاغَتِ الْأَبْصارُ ..» و برز كامن النفاق من المنافقين المدعين الايمان‏ «وَ إِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ ..» و قد تشمل الكل‏ «هُنالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ ...» ام و قبلها «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ..» فإنهم آمنوا بألسنتهم و لم تؤمن قلوبهم، و البسطاء: «وَ لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمانُ فِي قُلُوبِكُمْ» و لكنما الأقوياء آمنوا بقلوبهم كما آمنوا بألسنتهم ففيما بلغت قلوبهم الحناجر

قالوا يا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)! هل من شي‏ء نقول فقد بلغت القلوب الحناجر؟ قال: نعم قولوا: اللهم استر عوراتنا و آمن روعاتنا فضرب اللّه وجوه أعدائه بالريح فهزمهم اللّه بالريح» «1»

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 5: 185- اخرج احمد و ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري قال قلنا يوم الخندق يا رسول اللّه (ص)! ... و فيه اخرج الحاكم و صححه و ابن مردوية و ابن عساكر و ابو نعيم و البيهقي كلاهما في الدلائل من طرق عن حذيفة قال: لقد رأيتنا ليلة الأحزاب و نحن صافون قعود و ابو سفيان و من معه من الأحزاب فوقنا و قريظة اليهود أسفل نخافهم على ذرارينا و ما أتت علينا ليلة قط أشد ظلمة و لا أشد ريحا منها أصوات ريحها أمثال الصواعق و هي ظلمة ما يرى احد منّا إصبعه فجعل المنافقون يستأذنون النبي ...

و

فيه اخرج الفريابي و ابن عساكر عن ابراهيم التيمي عن أبيه قال‏ قال رجل لو أدركت رسول اللّه (ص) لحملته و لفعلت فقال حذيفة لقد رأيتني ليلة الأحزاب و نحن مع رسول اللّه (ص) فكان رسول اللّه (ص) يصلي من الليل في ليلة باردة ما قبله و لا بعده برد كان أشد منه فحانت مني التفاتة فقال (ص): ألا رجل يذهب الى هؤلاء فيأتينا بخبرهم جعله اللّه معي يوم القيامة؟ قال: فما قام منّا انسان قال: فسكتوا ثم عاد فسكتوا ثم قال يا أبا بكر ثم قال استغفر اللّه رسوله ثم قال: ان شئت ذهبت فقال يا عمر فقال استغفر اللّه و رسوله ثم قال (ص): يا حذيفة؟ فقلت: لبيك فقمت حتى أتيت و ان جنبيّ‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 63

و ليس ذلك الابتلاء الزلزال للمؤمنين ليختص بما مضى و هم حضور لدى الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، فان له أشباها و نظائر قد تكون ابلى مما مضى و كما يبتلون زمن الغيبة و لا سيما في أواخرها، و ليس الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فيهم و لا أحد من عترته إلّا الغائب و كما

يروى عن امير المؤمنين (عليه و آله و سلم): «أما إنه سيأتي على الناس زمان يكون الحق فيه مستورا و الباطل ظاهرا مشهورا و ذلك إذا كان أولى الناس به أعداءهم له و اقترب الوعد الحق و عظم الإلحاد و ظهر الفساد هنالك ابتلي المؤمنون و زلزلوا زلزالا شديدا و نحلهم الأخيار اسماء الأشرار فيكون جهد المؤمن ان يحفظ مهجته من اقرب الناس اليه ثم يفتح الله الفرج لأوليائه و يظهر صاحب الأمر على أعدائه» «1».

ان دور المنافقين في هذا الوسط كان أنحس دور و أتعسه، تندد بهم عديد من آيات القصة شديد في أبوابهم الجهنمية السبع:

1 وَ إِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً (12).

كلمة تكلم القلوب و تجرح الأكباد، يقولونها في هذه البلاء الزلزال‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

ليضربان من البرد فمسح رأسي و وجهي ثم قال: أئت هؤلاء القوم حتى تأتينا بخبرهم و لا تحدث حدثا حتى ترجع ثم قال: اللهم احفظه من بين يديه و من خلفه و عن يمينه و عن شماله و من فوقه قال فلان يكون أرسلها كان أحب اليّ من الدنيا، و ما فيها قال فانطلقت فأخذت امشي في حمام قال فوجدتهم قد أرسل عليهم ريحا فقطعت اطنابهم و أبنيتهم و ذهبت بخيولهم و لم تدع شيئا الا أهلكته قال: و ابو سفيان قاعد يصطلي عند نار له، قال فنظرت فأخذت سهما فوضعته في كبد قوسي قال و كان حذيفة راميا فذكرت رسول اللّه (ص) لا تحدثن حدثا حتى ترجع قال: فرددت سهمي في كنانتي ...

(1). نور الثقلين 4: 242 ح 34 في كتاب الاحتجاج للطبرسي عن امير المؤمنين حديث طويل يقول فيه: ..

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 64

لتأخذ مجالاتها من قلوب الناشئة و لما يدخل الايمان في قلوبهم، و من قلوب ضعفاء الايمان، لا سيما و هم كانوا ممن يتقشفون في مظاهر الايمان و يتسابقون، فهم قد يعتبرون و عود النصر و الإنتصار من اللّه و رسوله غرورا، يقوله المنافقون و يتبعهم الذين في قلوبهم مرض الشك و شائبه النفاق، فيصبحان حزبا واحدا في هذه الدعاية النكراء.

«الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» حينما تفرد تعني في الأكثر- المنافقين و حينما تقرن بالمنافقين تعني من يحن إليهم و يهواهم‏ «إِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هؤُلاءِ دِينُهُمْ» (8: 49) «لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ» (33: 60) و قد يعني المرض دونهما كما الشهوة: «فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ» (33: 32) و كل انحراف في القلب مرض عقيديا او علميا او أخلاقيا أما ذا؟.

فقد وجد هؤلاء الأوغاد الأنكاد في هذا البلاء المزلزل و الشدة الآخذة بالخناق فرصة للكشف عن امراض قلوبهم و هم آمنون ألّا لومة عليهم، و المجالة آهلة، و الريبة آخذه مجالها من قلوب بلغت الحناجر، فالواقع المزلزل بظاهره يصدقهم في غرورهم كأنهم منطقيون في قولتهم في هذا المسرح الهائل، حيث أزيح عن قلوب البسطاء و الأخفاء ذلك الستار الرقيق من تجملّ الإيمان، و هذه هي سيرة النفاق، تفتش عن المجالات الأسرع تأثرا و الأوقع تحسرا، زرعا للشكوك فيها، و حصدا للناشئة لتنضم إلى حزبهم و هنالك الطامة الكبرى.

لكنما اللّه يكشف دوما عن نواياهم و جناياهم، تعريفا بهم و مختلف الشبابيك من نفاقهم، و مؤتلف الشبكات من مكائدهم:

وَ إِذْ قالَتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ يا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَ يَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ وَ ما هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِراراً (13).

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 65

ذلك بعد ما جنّد النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) المؤمنين أمام الخندق حول المدينة، في صفوف متراصة متربصة و فيهم منافقون، هنا يخاطبون اهل يثرب المدينة خطاب الترهيب من العدو الرهيب‏ «لا مُقامَ لَكُمْ» و هو مفعل من الإقامة، مصدرا و اسم زمان و مكان، لا إقامة لكم هاهنا دفاعا او هجوما إلا انهزاما، و لا زمانها و لا مكانها، إذ لا قبل لكم في أصل المقاومة و لا زمانها و لا مكانها، و الانهزام كائن في مثلثه لا محالة «فارجعوا» الى منازلكم و قد تكون بيوتكم عورة، او تهاجم من قبل العدو و أنتم هنا في معركة خاسرة؟! يحرضون هكذا أهل المدينة على ترك الصفوف بدعوة خبيثة تاتي النفوس من ثغراتها الضعيفة، من محدق الخطر و جامح الهول و الغيرة على البيوت العودة كما:

وَ يَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ وَ ما هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِراراً (13).

انهم في ثالوث الخيانة بزعزعة الجيش، دعاية لرجوعهم و استئذانا لأنفسهم، أو رجوعا دون إذن، و معهم متثاقلون لم يحضروا الصفوف، و أخطر زواياه‏ «وَ يَسْتَأْذِنُ‏ .. إِنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ ..» ذليلة الحيطان و هي في أقصى المدينة «1». لكي يوجهوا زحفهم بوجهة الاستئذان لحفظ العورة،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

الدر المنثور 5: 188- اخرج ابن أبي حاتم عن السرى في الآية .. فارجعوا قال: الى المدينة عن قتال ابن سفيان و يستأذن فريق منهم النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قال: جاءه رجلان من الأنصار من بني حارثة أحدهما يدعى أبا عرابة بن أوس و الآخر يدعى أوس بن قيظى فقالا يا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم): ان بيوتنا عورة يعنون انها ذليلة الحيطان و نحن في أقصى المدينة و نحن نخاف السرق فائذن لنا فقال اللّه: وَ ما هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِراراً».

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 66

و يحرّضوا غيرهم بظاهر الغيرة على العورة فاستأصالا لصفوف الجيش.

و يثرب: المدينة- الطيبة: مدينة تأكل القرى تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد «1» فلان الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) سكنها و أسس دولة الإسلام فيها، ثم توفي و دفن فيها، فهي إذا مدينة إذ مدنها الرسول، و طيبة إذ طيبهّا.

4- وَ لَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطارِها ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْها وَ ما تَلَبَّثُوا بِها إِلَّا يَسِيراً (14).

«لو دخلت» المدينة «عليهم»: المنافقين و الذين في قلوبهم مرض «من أقطارها»: و كل جوانبها «ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ»: ان يفتنوا مع الداخلين ضد المؤمنين «لآتوها»: الفتنة، تاركين بيوتهم العورة لينضموا الى الداخلين‏ «وَ ما تَلَبَّثُوا بِها» بقاء في بيوتهم العورة «إِلَّا يَسِيراً» ما تيسر لهم في لبثهم! ام «لو دخلت» بيوتهم العورة من أقطار المدينة «ثم سئلوا فتنة الحرب مع المؤمنين لأتوا الفتنة خارج بيوتهم و ما تلبثوا ببيوتهم الا يسيرا! ام «لو دخلت» ايّ مدخل منهما، ثم سئلوا فتنة الردة الى الكفر لآتوها و ما تلبثوا ببيوتهم العورة إلا قليلا و لماذا «لو» إحالة للدخول عليهم؟ حيث الكافرون لا يدخلون عليهم محاربين! بل لسؤال الفتنة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

المصدر و اخرج مالك و احمد و عبد الرزاق و البخاري و مسلم و ابن مردويه عن أبي هريرة قال قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم): أمرت بقرية تأكل القرى يقولون يثرب و هي المدينة تنفي ..

و

اخرج احمد و ابن أبي حاتم و ابن مردويه عن البراء بن عازب قال قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) من سمى المدينة يثرب فليستغفر اللّه هي طابة هي طابة هي طابة

و

اخرج ابن مردويه عن ابن عباس عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قال: لا تدعونها يثرب فانها طيبة يعني المدينة و من قال يثرب فليستغفر اللّه ثلاث مرات هي طيبة هي طيبة هي طيبة.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 67

الردة و المشاركة في الهجمة على المؤمنين! فهنالك ينسون البيوت العورة إذ يجدون آمالهم من اضرابهم، و لا يخافون على بيوتهم من المؤمنين امّن ذا؟! ذلك شأنهم الشائن و الأعداء بعد خارج المدينة، يعتذرون في الخطر المتوقع للفرار، أن بيوتنا عورة، و لكنهم في واقع الخطر «لَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطارِها» يعكسون الأمر إذ يأتون الفتنة و الردة من بيوتهم العورة إذ لا تهمهم، و إنما تهمهم الفتنة أن يأتوها حبوا سراعا دون تلبث إلّا يسيرا يأخذون عدّتهم لما سئلوا! هكذا يكشفهم القرآن في تناقض الشخصية المنافقة، و انهم يولون الأدبار رغم ما عاهدوا اللّه:

5- وَ لَقَدْ كانُوا عاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الْأَدْبارَ وَ كانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُلًا (15).

أ ترى انه عهد الايمان لما آمنوا بألسنتهم؟ و لا يخص‏ «لا يُوَلُّونَ الْأَدْبارَ»! ام عهده بهذا الخصوص؟ و لم يذكر في القرآن! و لكن «من قبل» ليس لزامه ذكره في القرآن، فقد ذكر في الأثر أنهم همّوا أن يفشلوا يوم احد مع بني سلمة حين همتا بالفشل يومها، ثم عاهدوا اللّه ألّا يعودوا لمثلها ابدا، فهنا يندّد بهم إن نقضوا عهدهم‏ «وَ كانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُلًا»! و لماذا الفرار من الزحف و لا ينفعهم، فليس إلّا ضررا عليهم و في الآخرة عذاب اليم:

2- قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَ إِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (16).

«لن» تحيل نفع الفرار إن كان من الموت او القتل في المعركة، أما معنويا فظاهر حيث الفرار عن الزحف خسار، و أما بقاء في حياة فالموت او

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 68

القتل قدر لا مفر منه و لا منجى عنه: «أَيْنَما تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ ..» (4: 78) و لئن أخرتم بفرار «وَ إِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا» و كل متع الدنيا قليل، فحتى إن كان كثيرا في فرار عن حكم اللّه ففي الآخرة عذاب النار و بئس الصير، فمما الفرار إذا و لا يخلف إلّا الخسار، و لن ينفعكم، و ليس فرار العاقل الا الى نفع او عن ضرر و «لن»!.

قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَ لا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَ لا نَصِيراً (17).

هنالك يوحد إرادة السوء و الرحمة في اللّه عدلا و فضلا ف- «وَ إِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَ إِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلى‏ كُلِّ شَيْ‏ءٍ قَدِيرٌ» (6: 17).

أ أمنتم إن فررتم من الزحف أن يريد اللّه بكم سوء فلا عاصم منه إلّا هو، او ان فررتم من الزحف ان يريد بكم رحمة فلا راد لفضله إلّا هو، إذا فلما ذا الفرار عن رحمة اللّه الى نقمته، و من خيره الى ضره، فهؤلاء البعيدون البعيدون» لا يَجِدُونَ لَهُمْ» هنا و هناك‏ «مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا» يلي أمرهم‏ «وَ لا نَصِيراً» ينصرهم في بأسهم! قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَ الْقائِلِينَ لِإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا وَ لا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا (18) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذا جاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشى‏ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمالَهُمْ وَ كانَ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً (19).

«قد» تحقق‏ «يَعْلَمُ اللَّهُ» إذ هو حقا يعلم المعوقين منكم: طن منافقين و الذين في قلوبهم مرض، تثبيطا عن الحرب و صرفا في وهن القول‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 69

«ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً .. لا مُقامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ..» و في وهن الفعل‏ «وَ يَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ ..» تعويقا لإخوانهم بقولة و فعلة مريبة «وَ الْقائِلِينَ لِإِخْوانِهِمْ»: أضرابهم في ضعف الايمان‏ «هَلُمَّ إِلَيْنا» تثبيطا و فرارا، و هم أنفسهم لا يأتون البأس إلّا قليلا منه و قليلا منهم، و هؤلاء القلة في القلة لا يثبتون في البأس بل يثبطون و يثبّطون.

و قد يعني‏ «هَلُمَّ إِلَيْنا» فيما يعني قول فلان لرجل بجنبه من إخوانه اما ترى هذا الشيطان عمروا ما يفلت من يديه أحد فهلموا ندفع إليه محمدا ليقتله و نلحق بقومنا فانزل اللّه آية المعوقين‏ «1» و هنالك وقعت الطامة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

نور الثقلين 4: 250 فيما أورده القمي من القصة .. و أقبلت قريش فلما نظروا الى الخندق قالوا هذه مكيدة ما كانت العرب تعرفها قبل ذلك فقيل لهم: هذا من تدبير الفارسي الذي معه فوافى عمرو بن عبد ود و هبيرة بن وهب و ضرار ابن الخطاب الى الخندق و كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد صف أصحابه بين يديه فصاحوا بخيلهم حتى طفروا الخندق الى جانب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فصاروا اصحاب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كلهم خلف رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و قدموا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بين أيديهم و قال رجل من المهاجرين و هو فلان لرجل بجنبه ... و ركز عمرو بن عبد ود رمحه في الأرض و اقبل يجول جولة و يرتجز و يقول: و لقد بححت من النداء لجمعكم هل من مبارز و وقفت إذ جبن السجاع مواقف القرن المناجز اني كذلك لم أزل متسرعا نحو الهراهز ان الشجاعة في الفتى و الجود من خير الغرائز فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) من لهذا الكلب؟ فلم يجبه احد فوثب اليه امير المؤمنين (عليه السلام) فقال: انا له يا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فقال يا علي! هذا عمرو بن عبدود فارس يليل فقال: انا علي بن أبي طالب فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ادن مني فدنا منه فعممه بيده و دفع اليه سيفه ذا الفقار و قال له: اذهب و قاتل بهذا و قال: اللهم احفظه من بين يديه و من خلفه و عن يمينه و عن شماله و من فوقه و من تحته فمرّ امير المؤمنين (عليه السلام) يهرول في مشيه و هو يقول:

لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز\* ذو نية و بصيرة و لصدق منجى كل فائز

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 70

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

اني لأرجو ان أقيم عليك فاتحة الجنائز\* من ضربة نجلاء يبقى صيتها بعد الهزاهز فقال له عمرو من أنت؟ قال: انا علي بن أبي طالب ابن عم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و ختنه فقال: و اللّه ان أباك كان لي صديقا و نديما و اني اكره قتلك، ما امن ابن عمك حين بعثك الي ان اختطفك برمحي هذا فأتركك شائلا بين السماء و الأرض لا حي و لا ميت؟ فقال له امير المؤمنين (عليه السلام) قد علم ابن عمي انك ان قتلتني دخلت الجنة و أنت في النار و ان قتلتك فأنت في النار و انا في الجنة! فقال عمرو: كلتاهما لك يا علي تلك إذا قسمة ضيزى فقال علي (عليه السلام) دع هذا يا عمرو إني سمعت منك و أنت متعلق بأستار الكعبة تقول: لا يعرضن عليّ احد في الحرب ثلاث خصال إلا أجبته الى واحدة منها و انا اعرض إليك ثلاث خصال فأجبني الى واحدة قال هات يا علي! قال: أحدها تشهد أن لا اله الا اللّه و ان محمدا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قال: نحّ عني هذا فاسأل الثانية، فقال: ان ترجع و ترد هذا الجيش عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فان يك صادقا فأنتم أعلى به عينا و ان يك كاذبا كفتكم ذؤبان العرب امره، قال: إذا تتحدث نساء قريش و تنشد الشعراء في اشعارها اني جبنت و رجعت على عقبي من الحرب و خذلت قوما رأسوني عليهم! فقال له امير المؤمنين (عليه السلام) فالثالثة ان تنزل الى قتالي فانك فارس و انا راجل حتى أنابذك (اكاشفك و أقاتل) فوثب عن فرسه و عرقبه: (قطع عرقوبه: عصب غليظ فوق العقب) و قال: هذه خصلة ما ظننت ان أحدا من العرب يسومني عليها: (يكلفني إياها) ثم بدأ فضرب امير المؤمنين (عليه السلام) بالسيف على رأسه فاتقاه امير المؤمنين بالدرقة الترس فقطعها و ثبت السيف على رأسه فقال له علي (عليه السلام) يا عمر و ما كفاك اني بارزتك و أنت فارس العرب حتى استعنت علّي بظهير؟ فالتفت عمرو الى خلفه فضربه امير المؤمنين (عليه السلام) مسرعا الى ساقيه فقطعهما جميعا و ارتفعت بينهما عجاجة فقال المنافقون قتل علي بن أبي طالب ثم انكشف العجاجة و نظروا فإذا امير المؤمنين (عليه السلام) على صدره قد أخذ بلحيته يريد ان يذبحه ثم أخذ رأسه و اقبل الى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و الدماء تسيل على رأسه من ضربة عمر و سيفه يقطر منه الدم و هو يقول: انا ابن عبد المطلب الموت خير للفتى من الهرب فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يا علي (عليه السلام) ماكرته؟ قال:

نعم يا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) الحرب خديعة و بعث رسول اللّه (صلى‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 71

الكبرى إذ قتل الامام امير المؤمنين (عليه السلام) فارس يليل عمرو بن عبدود فتم انهزام الأحزاب و نزل جبريل بقوله «لا فتى إلا علي لا سيف الا ذو الفقار»! و عندئذ هاجت الرياح و انهزم الكفار و و لولووا الأدبار فهم بين قتيل و جريح و أسير و فارّ! كما و قد يعني‏ «هَلُمَّ إِلَيْنا» موارد اخرى‏ «1».

6- أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ‏: بخلاء في النفس و النفيس و النفسيات، و ليسوا- فقط- لا يساعدون على بأس، بل و يزيدون بأسا على باس و بؤسا في بأس بدعاياتهم السوء، فكلهم كزازات و هزازات ضد المؤمنين، و إن شأنهم الشائن في نفاقهم العارم يبرز في خوف البأس و ذهابه،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

اللّه عليه و آله و سلم) الزبير الى هبيرة بن وهب فضربه على رأسه ضربة فلق هامته و امر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) عمر بن الخطاب ان يبارز ضرار بن الخطاب فلما برز اليه ضرار انتزع له عمر سهما فقال له ضرار ويلك يا ابن صهاك أ ترميني في مبارزه و اللّه لئن رميتني لا تركت عدويا بمكة الا قتلته فانهزم عمر عند ذلك و مر نحوه ضرار و ضربه ضرار على رأسه بالقناة ثم قال: احفظها يا عمر فاني آليت ألا اقتل قرشيا ما قدرت عليه فكان عمر يحفظ له ذلك بعد ما ولى و ولاه.

(1). و

في الدر المنثور 5: 188- اخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد في‏ «قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ ..» قال: هذا يوم الأحزاب انصرف رجل من عند النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فوجد أخاه بين يديه شواء و رغيف فقال له: أنت هاهنا في الشواء و الرغيف و النبيذ و رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بين الرماح و السيوف قال: هلم الي لقد بلغ بك و بصاحبك و الذي يحلف به لا يستقي لها محمد ابدا قال: كذبت و الذي يحلف به و كان أخاه من أبيه و امه و اللّه لأخبرن النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بأمرك و ذهب الى النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يخبره فوجده قد نزل جبريل (عليه السلام) بخبره «قد يعلم الله المعوقين‏

و فيه اخرج ابن جرير و ابن أبي حاتم عن قتادة في الآية قال: هؤلاء أناس من المنافقين كانوا يقولون لإخوانهم ما محمد و أصحابه الا اكلة رأس و لو كانوا لحما لالتهمهم ابو سفيان و أصحابه دعوا هذا الرجل فانه هالك و القائلين لإخوانهم الى المؤمنين هلم إلينا اي دعوا محمدا و أصحابه فانه هالك و مقتول و لا يأتون البأس إلا قليلا قال: لا يحضرون القتال الا كارهين و ان حضروه كانت أيديهم مع المسلمين و قلوبهم مع المشركين.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 72

«فَإِذا جاءَ الْخَوْفُ» و هم بعد في المعركة قبل فرارهم‏ «رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ‏ «خوفا كما المحتضر، او نظرة الإذن للفرار «كَالَّذِي يُغْشى‏ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ» صورة شاخصة واضحة الملامح تنبئ عن سيرة باخسة، مضحكة مبكية تثير السخرية من هؤلاء الجبناء اللعناء، حيث أخذتهم غشوة الموت فغابت حواسهم، و أخذت أعينهم نظرة لزهاق أنفسهم! «فَإِذا ذَهَبَ الْخَوْفُ» و امنوا البأس «سلقوكم» ضربوكم طعنا «بِأَلْسِنَةٍ حِدادٍ» كأنها نيازك نارية «أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ» يبخلون عليكم أن زال الخوف عنكم بانتصاركم، و هم يرقبون غلب العدو، و يبخلون على ما غنمتم كأنه لهم كله أو يشاركون، و هم لا نصيب لهم في الإنتصار! «فَإِذا ذَهَبَ الْخَوْفُ» أصبحت ألسنتهم الخرس حدادا طوالا لأنفسهم على المؤمنين، و ارتفعت أصواتهم بعد الرعشة، و انتفخت أوداجهم بكل رعونة و عظمة، و ادعوا ادعاءاتهم الجوفاء دونما اختجال و لا حياء، كأن لهم الفضل دون سواهم، و لم يكن الفضل إلّا لسواهم، و يا له من وقاحة حمقاء و نفاقة لعناء!.

و هذا الجيل من النسناس دائبون في ألسنتهم الحداد بين الناس، صم بكم جبناء اعمياء أشحاء لا حراك لهم حين البأس إلّا ضدا لصالح الناس، فصحاء بلغاء حركون ثوريون في كل صرخة صيحاء. في الأمن و الرخاء كأنهم هم الذين جاهدوا و غيرهم قاعدون.

«أولئك» المنافقون و الذين في قلوبهم مرض‏ «لَمْ يُؤْمِنُوا» لمّا ادعوا الايمان‏ «فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمالَهُمْ» باللّاايمان، حيث العمل غير النابع عن الايمان حابط أيا كان، كما الايمان دون عمل خابط مهما كان أفضل من اللاايمان‏ «وَ كانَ ذلِكَ» الإحباط «عَلَى اللَّهِ يَسِيراً» مهما خيل إلى البسطاء ان لكثير العمل اثره و ان لم يكن عن ايمان!

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 73

7- يَحْسَبُونَ الْأَحْزابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَ إِنْ يَأْتِ الْأَحْزابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بادُونَ فِي الْأَعْرابِ يَسْئَلُونَ عَنْ أَنْبائِكُمْ وَ لَوْ كانُوا فِيكُمْ ما قاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا (20).

«يحسبون» المنافقون «الأحزاب» المهاجمة «لَمْ يَذْهَبُوا» حتى الآن حيث فروا عن زحفهم و الخوف ماكن في قلوبهم لا يدعهم يحسبونهم ذهبوا، و حتى إذا حسبوهم ذهبوا «وَ إِنْ يَأْتِ الْأَحْزابُ» راجعين بعد ذهابهم «يودوا» الحاسبون‏ «لَوْ أَنَّهُمْ بادُونَ» خارجون في البادية خارج المدينة «في الاعراب» اهل البادية، لا هم أمام الأحزاب في المعركة و لا هم في بيوتهم العورة، و إنما «بادُونَ فِي الْأَعْرابِ يَسْئَلُونَ عَنْ أَنْبائِكُمْ» كسرا للأحزاب فكسالى، او انكسارا منهم ففرحين، فهذه حالتهم و ليسوا فيكم‏ «وَ لَوْ كانُوا فِيكُمْ ما قاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا» منهم في قليل من الحرب مسايرة النفاق.

انهم لا يزالون في نعاش و ارتعاش و تخاذل و استيحاش ف- «يَحْسَبُونَ الْأَحْزابَ لَمْ يَذْهَبُوا» و ملامح ذهابهم ظاهرة و هم البعيدون البعيدون عن المعركة، يظلون خائفين لو ان الأحزاب ما ذهبت‏ «وَ إِنْ يَأْتِ الْأَحْزابُ يَوَدُّوا» هؤلاء الجبناء لو انهم لم يكونوا من قاطني المدينة، بل هم بادون في الأعراب، فليس لهم موقف مما يمضي في المدينة إلّا و «يَسْئَلُونَ عَنْ أَنْبائِكُمْ ..»!

و هذه سبعة من أبواب جحيم المنافقين المتخللين بين الجماعة الناشئة المؤمنة: 1- «إِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ ..» 2- «لا مُقامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ..»

3- «وَ يَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ ..» 4- «وَ لَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطارِها ...» 5- «وَ لَقَدْ كانُوا عاهَدُوا اللَّهَ ..» 6- «أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ...» 7- «يَحْسَبُونَ الْأَحْزابَ لَمْ يَذْهَبُوا ...»!

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 74

ثم المؤمنون الصادقون الراجون اللّه و الذاكرون له كثيرا، لهم أسوة حسنة في رسول اللّه في هذه المعارك الصعبة:

لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ ذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً (21).

«أسوة» من «اسو»: اسوت الجرح: داويته، بخلاف الأسى:

الحزن، فالواوي منه بمعنى المداواة و الإصلاح، و اليائي هو الحزن و الأسى الجراح، فالطبيب الآسى: هو المداوي، و المصلح بين القوم: الآسى، فالأسوة الحسنة هي حالة خاصة في الاتباع تضمن كلا النفي و الإثبات بصورة مطلقة ازالة الأمراض و إصلاح الحال، و لان الفعلة هي ما يفعل به، فالأسوة هي ما يؤتسى به، فهي الحالة التي يداوى بها و يصلح، فقد تكون للإنسان نفسه كالنبي بما يوحى اليه، ام باتباع غيره كالمرسل إليهم باتباعه في رسالاته ككلّ- في قول و فعل و تقرير في عقيدة و أية طوية من نية و علم، ام ظاهرة في فعل ام تقرير.

و «أسوة حسنة في رسول الله» تعني الاسوة المطلقة بما يحمل من رسالة اللّه، فيقتدي به شفاء لأدواء و إصلاحا بعد زوال الداء! و الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم)

«طبيب دوار بطبه قد أحكم مراهمه و أحمى مواسمه يضع من ذلك حيث الحاجة اليه من قلوب عمي و آذان صم و ألسنة بكم متتبع بدوائه مواضع الغفلة و مواطن الحيرة، لم يستضيئوا بأضواء الحكمة و لم يقدحوا بزناد العلوم الثاقبة فهم في ذلك كالأنعام السائمة و الصخور القاسية، قد انجابت السرائر لأهل البصائر و وضحت محجة الحق لخابطها و أسفرت الساعة عن وجهها و ظهرت العلامة لمتوسمها، مالي أراكم أشباحا بلا أرواح و أرواحا بلا أشباح و نساكا بلا صلاح و تجارا بلا أرباح و ايقاظا

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 75

نوما و شهودا غيبا و ناظرة عمياء و سامعة صماء و ناطقة بكماء» «1».

و الأسوة الحسنة قد تكون مطلقة دون حدود كما «في رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)» ام مرفقة بحدود كما في ابراهيم (عليه السلام):

«قَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْراهِيمَ وَ الَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآؤُا مِنْكُمْ وَ مِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنا بِكُمْ وَ بَدا بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمُ الْعَداوَةُ وَ الْبَغْضاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْراهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَ ما أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْ‏ءٍ رَبَّنا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنا وَ إِلَيْكَ أَنَبْنا وَ إِلَيْكَ الْمَصِيرُ» (60: 4).

لقد كان ابراهيم في وعد الاستغفار لأبيه و واقعه معذورا، فلانه ما أصاب الحق هنا على عذر، فلا أسوة في عمله المعذور، و هذا يدلنا الى العصمة المطلقة للرسول محمد (صلى اللّه عليه و آله و سلم) حيث الاسوة فيه مطلقة لا يخطأ و لو معذورا، ففي كل أقواله و اعماله هو أسوة دونما استثناء.

و إذا لا يؤتسى ابراهيم الخليل (عليه السلام) في بعض القول و هو معصوم، فباحرى ألّا يؤتسى غير المعصوم أسوة مطلقة، و أحيانا هو مأثوم و اخرى خاطئ غير مأثوم.

إن أسوة الرسول المطلقة هي الحسنة المطلقة، و تركها المطلق، سيئة مطلقة، و العوان بين ذلك: قد تأتسي به و قد لا تأتسي، هي أسوة غير حسنة، فقيد اسوته ب- «حسنة» اطلاق لها تحلّق على كافة جنبات الحياة الفردية و الجماعية، صعبة ملتوية، كما في خندق الأحزاب، ام‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نهج البلاغة الخطبة 108 في ذكر النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) عن الامام امير المؤمنين (عليه السلام)

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 76

سهلة لا تلتوي كالعبادات التي لا تكلف نفسا و لا مالا، و إنما حالا و أعمالا!.

فالمقتدي به (صلى اللّه عليه و آله و سلم) في محراب الصلاة، و التارك له القاعد عنه في محراب الحرب اسوته غير حسنة، و هو ممن يعبد اللّه على حرف‏ «فَإِنْ أَصابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَ إِنْ أَصابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلى‏ وَجْهِهِ» (22: 11)! او الأسوة به في علم دون عمل، ام عمل دون علم، ام في علم و عمل دون عقيدة و نية، أنها أسوة سيئة.

ان خندق الحرب مع الأحزاب حيث ابتلي به المؤمنون و زلزلوا زلزالا شديدا، كان فتنة يفتتن بها من يدّعون الايمان، فامتاز به صادق الايمان عن كاذبه، و مازج الايمان و ساذجة عن ناضجه، و هنالك الاسوة معيار له عياره المطلق، المؤتسي به في هذه المعركة المزلزلة المزمجرة له أسوة حسنة في كافة الحالات، و هو ممن‏ «كانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ ذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً».

انها لم تكن صدفة ان تحتفى آية الاسوة بآيات خندق الأحزاب، قبلها زلزال المؤمنين و نفاق المنافقين، و بعدها تصديق المؤمنين و زيادة الايمان و التسليم، و الكل بين انهزام الكافرين‏ «إِذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْها .. (9) وردهم بغيظهم‏ «وَ رَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنالُوا خَيْراً وَ كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتالَ وَ كانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزاً (25) خمسة عشرة آية بينهما و اخيرتها «لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ..»!

آية الاسوة تفرض بكل تأكيد و تأبيد الاسوة الحسنة المطلقة برسول اللّه‏ «لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ ذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً»

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 77

ف- «لقد» تأكيد ان اثنان، و «كان» تضرب بهذه الأسوة الى اعماق الماضي، ان ليس تكليفا حاضرا، بل هو ماض و يبقى، في مثلث الزمن منذ بداية الايمان لحدّ الارتحال الى رحمة اللّه.

و ليست هذه الاسوة له (صلى اللّه عليه و آله و سلم) إذ ليس إلا رسولا لا يهدف شخصه و شخصيته، و لا عليكم، إذ ليس إلّا لصالحكم كمؤمنين صادقين، بل هو «لكم»: لَقَدْ كانَ لَكُمْ ...»!

«فِي رَسُولِ اللَّهِ» بما يحمل رسالة اللّه، فهي إذا أسوة في اللّه و «مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ»! لا في «محمد (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كائنا من كان، فانه دون رسالة لا أسوة فيه مطلقة فليست حسنة مطلقة! «لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللَّهَ» فرجاء اللّه في حياته كلها متعرق في أعماقه و ارجائه كلها، فان «كان» هنا كما الاول تضرب الى عمق الماضي، فليست إذا حالة جديدة بسيطة بادئة، بل هي ماضية متعمقة متعرقة، عاشها الراجي اللّه طائلا عميقا من حياته و كان‏ «ذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً» لا فقط بلسانه، فكثير هؤلاء الذاكرون بألسنتهم الغافلون بقلوبهم و اعمالهم، و انما كثيرا بقلوبهم، الظاهر في أقوالهم و اعمالهم، فالذاكر اللّه دائبا له أسوة في رسول اللّه دائبا! لا تقل انه رسول أخلصه اللّه بعصمة منه و رحمة لدنية، فكيف لنا- و نحن نحن- فيه أسوة، فانما الاسوة فيه فيما سوى العصمة، ما يتوجب عليك كمستسلم للّه مخلصا له الدين، فمهما العصمة لم تكن كسبية، فما دونها من درجات العارفين و مقامات المخلصين كسبية بتلك الاسوة الحسنة.

يخرج الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بنفسه يعمل في خندق الأحزاب مع المؤمنين، يضرب بالفأس كما يضربون، و يجرف التراب بالمسحاة كما يجرفون، و يضم صوته الى أصوات المرتجزين، و هو يقودهم في‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 78

كل ذلك و هم فيه يتأسون، و هو يتقدمهم حين يعيون، يقول سلمان غلظت عليّ صخرة في ناحية من الخندق فلما رآني نزل فأخذ المعول من يدي فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة، ثم ضرب أخرى فلمعت تحته برقة اخرى، ثم ثالثة فلمعت أخرى قلت بابي و امي يا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)! ما هذا الذي رأيت لمع المعول و أنت تضرب؟ ..

قال: اما الاولى فان اللّه فتح علي بها اليمن، و اما الثانية فان اللّه فتح علي بها الشام و المغرب، و اما الثالثة فان اللّه فتح علي بها المشرق ..»

هذا و الخطر الخطير من الأحزاب محدق، و القرّ شديد مطبق مرهق، و حذيفة يرتعش بردا و الرسول يصلي فإذا به يحن اليه و يلقي اليه طرفا من ثوبه ليدفئة في حنو و هو يناجي ربه، و بعد ما ينتهي من صلاته يبشره حذيفة بالتي رآها في بريقات كالمعول و عرفها قلبه.

«لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» كهذه التي كانت للذين معه في مثل هذه المعركة الصاخبة، لا فقط في اغتنام الغنيمة و صلاة الجماعة «تقول في المجالس كيت و كيت فإذا جاء الجهاد فحيدي حياد»! «1» فمن الواجب على كل مؤمن ان تحلّق الأسوة في رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) على كل أقواله و عقائده و أحواله و اعماله، دونما تخلف عنه و لا قيد شعرة، في فعله و تركه لزاما و رجاحة أما ذا، و قد «هم عمر بن الخطاب ان ينهى عن الجرة من صباغ البول فقال له رجل: أ ليس قد رأيت رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يلبسها؟ قال عمر: بلى‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). قبسة من مشكاة الامام علي (عليه السلام) في خطبة جهادية.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 79

قال الرجل: الم يقل الله‏ «لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ»؟

فتركها عمر «1».

كما و «أكب عمر على الركن فقال: اني لا علم انك حجر و لولا أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قبلك و استلمك ما استلمتك و لا قبلتك‏ «لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» «2».

ثم نرى فلتات من الخليفة عمر تتعارض و هذه الأسوة المجيدة كقوله «إياكم و الأحمرين: اللحم و النبيذ فإنهما مفسدة للدين متلفة للمال»

و الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يقول‏ «سيد الإدام في الدنيا و الآخرة اللحم ..» «3».

و قد هم الخليفة ان يأخذ حلي الكعبة فيجهز بها جيوش المسلمين فقال له علي (عليه السلام) كان حلي الكعبة فيها زمن الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فتركه اللّه على حاله و لم يتركه نسيانا و لم يخف عليه مكانا فأقره حيث أقره اللّه و رسوله فقال عمر: لولاك لافتضحنا» و ترك الحلي بحاله» «4».

و قد اشتهر عنه في حكم المتعتين ما يخالف كتاب اللّه و سنة رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) متعتان كانتا في زمن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) حلالا و انا أحرمهما و أعاقب عليهما متعة الحج و متعة النساء» «5».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 5: 190- اخرج عبد الرزاق في المصنف عن قتادة قال: هم عمر بن الخطاب ...

(2) المصدر- اخرج احمد عن ابن عباس ان عمر ...

(3، 4، 5) و أشباهها راجع «علي و الحاكمون» تجد فيه تفاصيلها.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 80

و هكذا نراه يتفلت عن هذه الأسوة المباركة أحيانا و يتلفت اخرى و لماذا؟ انا لا ادري!.

و إليكم نبأ من المؤمنين معه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) في تلك المعركة المزمجرة المحرجة التي برزت فيها معالم النفاق من طائفة، و ضآلة الايمان من اخرى، و لكنما الثالثة:

وَ لَمَّا رَأَ الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزابَ قالُوا هذا ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ صَدَقَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ ما زادَهُمْ إِلَّا إِيماناً وَ تَسْلِيماً (22).

و اين هذه الآمنة المؤمنة من تلك المنافقة الفاتكة «... ما وعدنا الله و رسوله إلا غرورا .. يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا .. سلقوكم بألسنة حداد اشحة على على الخير ..»!

و اين كان و متى، وعد اللّه و رسوله هجمة الأحزاب و تحليقهم هكذا بأقطار المدينة من فوقهم و من أسفل منهم؟ قد يكون مثل قوله تعالى‏ «أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْساءُ وَ الضَّرَّاءُ وَ زُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتى‏ نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ» (2: 214) و: «هُنالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَ زُلْزِلُوا زِلْزالًا شَدِيداً» (11) بلاء و زلزالا من هجمة لا قبل لها من الأحزاب، و زلزالا علّها أشد هي من هجمة الدعاية المنافقة: «ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً» و آية البقرة تصريحة بوعد البلاء و الزلزال الشديد فهم يترقبونه، و تلميحة بقريب النصر علّه مع الزلزال امّا هيه؟

و كما كان الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم)- على ضوء وعد اللّه- وعدهم بتظاهر الأحزاب عليهم و ان اللّه ينصرهم‏ «1» و لكن متى نصر اللّه؟

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 4: 253، القمي في حديث غزوة الخندق «و قد كان رسول الله‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 81

هل هو في هذه الحرب؟ ام بعده؟ ام و دون حرب حارقة؟ ليس في وعدهم إلّا «أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ»! و رغم ان هذه الزلزال بطبيعة الحال تزلزل من الايمان ام تزيله، و لكنهم‏ «ما زادَهُمْ إِلَّا إِيماناً وَ تَسْلِيماً» ايمانا باللّه حيث يرون وعده واقعا، و تسليما لأمر اللّه حتى و ان كان فيه بتسليم أنفسهم، فإنهم ممن صدقوا ما عاهدوا اللّه عليه، و هم دوما في انتظار الانتصار و سواء عليهم أ يقتلون او يقتلون!:

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى‏ نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ ما بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (23).

«مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ»: بعضا قليلا لا كلهّم حيث الايمان درجات، و في هذا العرض ينضم المؤمنون غير الصادقين في عهدهم الى قبيل المنافقين توسعا فيهم و تضيقا في قبيل المؤمنين ثم لا يبقى إلّا الكافرون! و هذه صورة وضيئة من الايمان الصادق تقابل صورة وضيعة من ضعف الايمان تلحق النفاق فتنضم اليه و كما مضت‏ «وَ إِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» و ليتسابق المؤمنون في الحصول على صورته الوضيئة الصادقة. و مواصفة هؤلاء المؤمنين في اوّل المطاف ب-: «رجال» تاتي لهم بصورة صارمة من رجولات و بطولات في ايمانهم، فليست تعني رجولة الجنس فتخرج بها نساء هنّ أرجل من رجال كما الصديقة الطاهرة الزهراء سلام اللّه عليها،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(صلى اللّه عليه و آله و سلم) أخبر أصحابه ان العرب تتحزب علي و يجيئون من فوق و تعذر اليهود و نخافهم من أسفل و انه يصيبهم جهد شديد و لكن يكون العاقبة لي عليهم ...».

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 82

ف- «فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ‏ ... رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَ لا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ..» (24: 37) و «لبيت علي و فاطمة من أفاضلها» على حدّ قول الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فهي إذا من هؤلاء الرجال، في رجولة العصمة القمة و تطلباتها: «فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا» (9: 108) و هكذا رجال الأعراف: «وَ عَلَى الْأَعْرافِ رِجالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيماهُمْ‏ (46) وَ نادى‏ أَصْحابُ الْأَعْرافِ رِجالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيماهُمْ» (48) كما رجال الجنة إذ ليس كل اصحاب الجنة رجال الجنس: «وَ قالُوا ما لَنا لا نَرى‏ رِجالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرارِ، أَتَّخَذْناهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصارُ» (38: 63) اللهم إلّا رجال الوحي: «وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ» (16: 43) فان رجولة الجنس من شروط وحي الرسالة امّن يقابلون النساء: «وَ لَوْ لا رِجالٌ مُؤْمِنُونَ وَ نِساءٌ مُؤْمِناتٌ ..»

(48: 25) «أَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ» (27: 55) «.. رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ»: عاهدوه صدقا و أتوا بما عاهدوه صدقا بكل ما لديهم من طاقات و امكانيات: قالا و حالا و فعالا، نفسا و مالا و على أية حال ما وجدوا له مجالا، فما هو ما عاهدوا اللّه عليه؟

المعاهدة- و هي عهد بين اثنين، فالبادئ معاهد و الثاني معاهد عليه- هي قد تكون من اللّه أن يعاهدك اللّه على شي‏ء و أنت تقبل: «أَ لَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ ..» (36: 60) و اخرى أنت تعاهد اللّه على ما عهد إليك، و معاهدة الآية هي الاخرى‏ «عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ» و اوّل العهود الإلهية الى المؤمنين ان‏ «لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ» و المؤمنون كلهم يعاهدون اللّه على‏ «لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ» فمنهم الصادقون، حيث يعيشون كلمة التوحيد قالا و حالا و اعمالا، دون اي نفاق بين حال و قال، و لا بينهما و بين الأعمال، و قد صدقوا في عهد التوحيد تسليما للّه على أية حال.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 83

و من خلفيات هذه المعاهدة، مبايعة الرسول‏ «إِنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ إِنَّما يُبايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّما يَنْكُثُ عَلى‏ نَفْسِهِ وَ مَنْ أَوْفى‏ بِما عاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً» (48: 10) فالمبايعون الموفون بعهد اللّه هم الصادقون و لهم الأجر العظيم، و الناكثون لعهدهم هم من المنافقين مهما كانوا من المؤمنين، حيث النفاق دركات كما الايمان درجات، و آية الأحزاب تقابل بين الذين‏ «صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ» و بين المنافقين، فليكونوا أعم ممن هو في الدرك الأسفل من النار و من ضعفاء الايمان.

و قد اشترى اللّه المبايعين الصادقين بأنفسهم و نفائسهم: «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرى‏ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَ يُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِيلِ وَ الْقُرْآنِ وَ مَنْ أَوْفى‏ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بايَعْتُمْ بِهِ وَ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» (9: 111) و هنا الإيفاء بعهد اللّه و هو بصيغة اخرى قضاء للنحب، لا يختص بان يقتل المؤمن في سبيل اللّه، بل و ان يقتل، قتل بعد ام لم يقتل.

و كما ليس هؤلاء المؤمنون الصادقون هم الأولون- فقط- كذلك المبايعون اللّه الذين اشترى أنفسهم و أموالهم، فطول الزمان و عرض المكان يحوي من هؤلاء من قد يفوق الأولين ام يساميهم: «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). يروى نزول الآية بشأن نفر من اصحاب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كأنس بن نضر و أصحابه ففي الدر المنثور 5: 190- اخرج ابن سعد و احمد و مسلم و الترمذي و النسائي و البغوي في معجمه و ابن جرير و ابن أبي حاتم و ابن مردويه و ابو نعيم في الحلية و البيهقي في الدلائل عن انس (رضي اللّه عنه) قال: غاب عمى انس بن نضر عن بدر فشق عليه و قال: أول مشهد شهده رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 84

«فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى‏ نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ ..» و ليس قضاء النحب- فقط- الموت، فصيغته الخاصة منهم من قتل او مات، و هما من مصاديق قضاء النحب في سبيل اللّه فقضاء النحب فيما عاهدوا اللّه عليه ليس إلّا أن يعيشوا ملتزمين بعهده في كافة الحقول، و من أفضلها الجهاد في سبيل اللّه بأنفسهم ثم بأموالهم، «فَيَقْتُلُونَ وَ يُقْتَلُونَ» ما وجدوا للجهاد ظروفا صالحة، ثم‏ «وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ» قضاء نحبه ليس- فقط- انتظارا للشهادة حيث الانتظار لها- فقط- ليس انتصارا لقضية الايمان، بل هو الانتصار لظرف يقضي فيه نحبه ان «يقتل أو يقتل» في سبيل اللّه: إحدى الحسنيين! فقد يعني «نحبه»: عهده و مراهنته إذا وجد له مكانه و مكانته،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

و سلم) غبت عنه لئن أراني اللّه مشهدا مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فيما بعد ليرين اللّه ما اصنع فشهد يوم احد فاستقبله سعد بن معاذ (رضي اللّه عنه) فقال: يا أبا عمر! والى اين؟ قال: واها لريح الجنة أجدها دون احد فقال حتى قتل فوجد في جسده بضع و ثمانون من بين ضربة بسيف و طعنة برمح و رمية بسهم و نزلت هذه الآية «رِجالٌ صَدَقُوا ..» و كانوا يرون انها نزلت فيه و في أصحابه، و منهم مصعب بن عمير كما

اخرج الحاكم و صححه و تعقبه الذهبي في الدلائل عن أبي هريرة ان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) حين انصرف من احد مر على مصعب بن عمير و هو مقتول فوقف عليه و دعا له ثم قرأ «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ ..» ثم قال (صلى اللّه عليه و آله و سلم) اشهد ان هؤلاء شهداء عند اللّه يوم القيامة فاتوهم و زوروهم فوالذي نفسي بيده لا يسلم عليهم احد الى يوم القيامة الا وردوا عليه‏

و في ملحقات الاحقاق 3: 363 روى نزول الآية في علي (عليه السلام) عدة من أعلام القوم منهم ابن الصباغ في فصول المهمة 113

قيل سئل علي (عليه السلام) و هو على المنبر عن الآية قال: في وفي عمر و حمزة وفي ابن عمي عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، و اما عمي حمزة فانه قضى نحبه يوم احد و اما انا فانتظر أشقاها يخضب هذه من هذا و أشار الى لحيته و رأسه عهد عهده اليّ حبيبي ابو القاسم (صلى اللّه عليه و آله و سلم).

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 85

قتالا: «فَيَقْتُلُونَ وَ يُقْتَلُونَ» إمّا ذا من جهاد في سبيل اللّه بنفس و نفيس إذ يقدم رخصا دون بخس و نقص ما وجد له مجالا! و من ثم يوفّون كل معاني النحب، المرافقة للعهد: نذرا و همّة و برهانا و حاجة و شدة و أجلا و مدة و عملا و نفسا و سيرا سريعا و جهادا «1» تكريسا لهممهم و براهينهم في كل شدة و عمل من سير سريع و جهاد ليقضوا حاجتهم من عهدهم ربهم ما دامت مدتهم و قام أجلهم، في نفس و نفيس بكل غال و رخيص! فهم بين من قضى نحبه تماما ما وجب عليه فيما عاهد عليه اللّه إن بالموت او القتل ام في حياة «وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ» فرصة مناسبة لقضاء نحبه بموت او قتل ام في حياة، فلا تختص قضاء النحب بقتل في سبيل اللّه مهما كان من أعلاها، فكل تضحية في سبيل اللّه كما تجب قضاء لنحب أيا كانت! و كما يروى‏ «2» فلا يعني قضاء النحب إلا توفية العهد و هي‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). لسان العرب لابن منظور الإفريقي.

(2)

نور الثقلين 4: 258 ح 48 عن روضة الكافي عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن محمد بن سليمان عن أبيه عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) انه قال لابي بصير يا أبا محمد لقد ذكركم اللّه في كتابه فقال‏ «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ ...» انكم وفيتم بما أخذ اللّه عليه ميثاقكم من ولايتنا و انكم لم تبدلوا بنا غيرنا

و

في اصول الكافي (58) عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) قال: المؤمن مؤمنان فمؤمن صدق بعهد اللّه عز و جل و وفى بشرطه و ذلك قول اللّه عز و جل‏ «رِجالٌ صَدَقُوا ..» و ذلك الذي لا يصيبه اهوال الدنيا و لا اهوال الاخرة و ذلك من يشفع و لا يشفع له و مؤمن كخامة الزرع- يعوج أحيانا و يقوم أحيانا فذلك ممن يصيبه اهوال الدنيا و اهوال الآخرة و ذلك ممن يشفع له و لا يشفع.

أقول: و لان أفضل ما عاهدوا اللّه عليه هو القتل او الموت في سبيل اللّه توفية كاملة للعهد فقد وردت روايات اخرى في ان قضاء النحب هو الموت او القتل كما

رواه في روضته الكافي (49) عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) قال قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يا علي من أحبك ثم مات فقد قضى نحبه‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 86

للمعصومين و من معهم حاصلة قبل الموت او القتل او بهما، يعيشون قضاء نحبهم على اية حال! «وَ ما بَدَّلُوا» ما عاهدوا اللّه عليه «تبديلا» لا من قضى نحبه حين قضى و لا من ينتظر، و انما كملوا تكميلا، و من الحكمة الحكيمة لذلك الابتلاء المثلث:

لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ‏ و هم الذين صدقوا ما عاهدوا اللّه عليه 2- وَ يُعَذِّبَ الْمُنافِقِينَ إِنْ شاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كانَ غَفُوراً رَحِيماً.

«و يعذب ..» معلوم و هو قضية النفاق، بل‏ «إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ» فكيف‏ «أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ»؟

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

و من أحبك و لم يمت فهو ينتظر ..»

و

في كتاب الخصال (50) عن جابر الجعفي عن أبي جعفر (عليه السلام) عن امير المؤمنين (عليه السلام) حديث طويل يقول فيه (عليه السلام) و لقد كنت عاهدت اللّه تعالى و رسوله انا و عمي حمزة و اخي جعفر و ابن عمي عبيدة على امر وفينا به للّه تعالى و لرسوله (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فتقدمني اصحابي و تخلفت بعدهم لما أراد اللّه تعالى فانزل اللّه فينا «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ ..» حمزة و جعفر و عبيدة و انا و اللّه المنتظر يا أخا اليهود و ما بدلت تبديلا

و

في ارشاد المفيد (50) في مقتل الحسين (عليه السلام) ان الحسين (عليه السلام) مشى الى مسلم بن عوسجة لما صرع فإذا به رمق فقال: رحمك اللّه يا مسلم‏ «فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى‏ نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ ما بَدَّلُوا تَبْدِيلًا»

و

في كتاب مقتل الحسين لابي مخنف‏ ان الحسين لما اخبر بقتل رسوله عبد اللّه بن يقطر تغرغرت عينه بالدموع و فاضت على خديه ثم قال: «فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى‏ نَحْبَهُ ...»

و

في مناقب ابن شهر آشوب (57) ان اصحاب الحسين بكربلا كانوا كل من أراد الخروج ودّع الحسين (عليه السلام) و قال: السلام عليك يا ابن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فيجيبه: و عليك السلام و نحن خلفك و يقرء «فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى‏ نَحْبَهُ ..»

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 87

«يَتُوبَ عَلَيْهِمْ» لو تابوا و صحت توبتهم و نصحت، و لا سيما قرنائهم‏ «وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» حيث قرنوا ب- «إِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ» فإنهم ذيولهم و ليسوا منهم مردة النفاق و مرجفة المدينة، بل المستجيبون لهم في دعاياتهم لضعف ايمانهم، فعلّهم هم المعنيون ب- «أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ».

فآية «صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ..» جعلت غير الصادقين في ايمانهم منافقين أصولا و اتباعا، ثم فرقت آية الجزاء بينهما «وَ يُعَذِّبَ الْمُنافِقِينَ إِنْ شاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كانَ غَفُوراً رَحِيماً».

3- وَ رَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنالُوا خَيْراً: قتلة و لا غلبة و لا غنمة بل‏ «وَ كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتالَ» فلم يقاتلوا الا شذرا بما قتل امير المؤمنين عمرو بن عبد ود و نفرا آخرين‏ «1» فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْها وَ كانَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيراً» (9) وَ كانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزاً» و هذا نصيب الكفار ثم:

وَ أَنْزَلَ الَّذِينَ ظاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مِنْ صَياصِيهِمْ وَ قَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَ تَأْسِرُونَ فَرِيقاً (26) وَ أَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَ دِيارَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ وَ أَرْضاً لَمْ تَطَؤُها وَ كانَ اللَّهُ عَلى‏ كُلِّ شَيْ‏ءٍ قَدِيراً (27).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). في ملحقات الاحقاق 3: 376 روى نزول الآية في علي (عليه السلام) عدة من أعلام القوم منهم العلامة الكنجي في كفاية الطالب (110) و ابو حيان الأندلس المغربي في البحر المحيط 7: 24 و ملّا معين الكاشفي في معارج النبوة 1: 163 و السيوطي في الدر المنثور 3: 192 و المير محمد صالح الكشفى الترمذي في مناقب مرتضوي 55 و الحافظ ابو بكر بن مردويه في المناقب كما في كشف الغمة (93) و الالوسي في روح المعاني 21: 156 و القندوزي في ينابيع المودة 94 و ابو نعيم الحافظ كلهم عن ابن مسعود كان يقرء: و كفى اللّه المؤمنين القتال بعلي (عليه السلام) و ساق قصة عمرو بن عبدو كما فصلناه.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 88

المظاهرة هي المعاونة، و الصياصي جمع صيصية و هي الحصن الحصين، و قد «انزل» اللّه‏ «الَّذِينَ ظاهَرُوهُمْ» المشركين‏ «مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ» و هم بنو قريظة، أنزلهم من صياصيهم و حصونهم، و قذف في قلوبهم الرعب، فلا صياصي لهم آفاقية، و لا صياصي انفسية حيث أنزلهم اللّه من كل الصياصي.

فانتج عن ذلك الإنزال انكم‏ «فَرِيقاً تَقْتُلُونَ» من المنزلين‏ «وَ تَأْسِرُونَ فَرِيقاً».

ثم‏ «وَ أَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَ دِيارَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ» وطئتموها، بل‏ «وَ أَرْضاً لَمْ تَطَؤُها» و هي ارض خيبر، او التي أفاء اللّه على رسوله منهم مما لم يوجف عليه بخيل و لا ركاب.

و قد يعني‏ «وَ أَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ» كل ارض يرثها المسلمون منهم على طول خطوط النار، في جهادهم المتواصل الصارم! «وَ كانَ اللَّهُ عَلى‏ كُلِّ شَيْ‏ءٍ قَدِيراً».

[سورة الأحزاب (33): الآيات 28 الى 35]

يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْواجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَياةَ الدُّنْيا وَ زِينَتَها فَتَعالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَ أُسَرِّحْكُنَّ سَراحاً جَمِيلاً (28) وَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِناتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً (29) يا نِساءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضاعَفْ لَهَا الْعَذابُ ضِعْفَيْنِ وَ كانَ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً (30) وَ مَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تَعْمَلْ صالِحاً نُؤْتِها أَجْرَها مَرَّتَيْنِ وَ أَعْتَدْنا لَها رِزْقاً كَرِيماً (31) يا نِساءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّساءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَ قُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً (32)

وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَ لا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِيَّةِ الْأُولى‏ وَ أَقِمْنَ الصَّلاةَ وَ آتِينَ الزَّكاةَ وَ أَطِعْنَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (33) وَ اذْكُرْنَ ما يُتْلى‏ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آياتِ اللَّهِ وَ الْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كانَ لَطِيفاً خَبِيراً (34) إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَ الْمُسْلِماتِ وَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ وَ الْقانِتِينَ وَ الْقانِتاتِ وَ الصَّادِقِينَ وَ الصَّادِقاتِ وَ الصَّابِرِينَ وَ الصَّابِراتِ وَ الْخاشِعِينَ وَ الْخاشِعاتِ وَ الْمُتَصَدِّقِينَ وَ الْمُتَصَدِّقاتِ وَ الصَّائِمِينَ وَ الصَّائِماتِ وَ الْحافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَ الْحافِظاتِ وَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَ الذَّاكِراتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَ أَجْراً عَظِيماً (35)

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 90

هذه الآيات الثمان تستعرض بعدين و جانبين من بيت النبي الطاهر، بيت الرسول: أزواجه، و بيت الرسالة: المحمديين المعصومين في جو الرسالة القدسية الختميه، اختصارا باختصار في عرض بيت الرسالة و التعريف به: «إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» في جمعين مذكرين يعنيان الذكران من اهل بيت الرسالة بمن فيهم فاطمة الصديقة (عليها السلام)، و ذلك بعد عشرين خطابا في جموع مؤنثة قبله و اثنين بعده كلها تعني- فقط- نساء النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) في أوامر و نواهي أكيدة شديدة متهددة و مرغبة، و لكي تجمع الى طهارة اهل بيت الرسالة- و هي القمة بين بيوتات الرسالات- تجمع طهارة اهل بيت الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، ثم الآية الثامنة تعميم لأجور المؤمنات حسب الدرجات سواء أكن من ازواج النبي ام سواهن و لكي تبين ألّا ميزّة لزوجية النبي بمفردها «وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلَّا ما سَعى‏».

مضت آية الأمهات مصرحة انهن أمهات المؤمنين، و لأن هذه الكرامة لها تكاليفها، و لزوجية النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) تكلفاتها

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 91

الوقائية، لذلك يخاطبن في اثنين و عشرين خطابا صارما تختص بهن ليصنعن من انفسهن أهلية زوجية النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و أمومة المؤمنين.

يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْواجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَياةَ الدُّنْيا وَ زِينَتَها فَتَعالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَ أُسَرِّحْكُنَّ سَراحاً جَمِيلًا (28).

هنا نساء النبي يخاطبن بوسيط النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) علّه لبعدهن عن ساحة الربوبية و إلّا فلما ذا ارادة الحياة الدنيا في بيت الرسالة القدسية، ثم المأمور بأمرهن هو وليهن في بعدي الرسالة و الزوجية.

ثم و لقربهن شيئا مّا إذ يتركن الحياة الدنيا و زينتها، و لتقريبهن الى ساحة الطاعة لكي يهبن اللّه إذ يخاطبهن اللّه، يخاطبن دون وسيط إلّا نقلا لهن بالوحي، في سائر الخطابات الاثنين و العشرين: «يا نِساءَ النَّبِيِ‏ ...

وَ اذْكُرْنَ‏ .. فِي بُيُوتِكُنَّ ..».

يرجع الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) من غزوة خيبر مصيبا كنز آل أبي الحقيق فيقلن أزواجه له: أعطنا ما أصبت، فيقول لهن: قسمة بين المسلمين على ما أمر اللّه، فيغضبن من ذلك و يقلن له: لعلك ترى أنك ان طلقتنا ألّا نجد الأكفاء من قومنا يتزوجونا، فأنف اللّه عز و جل لرسوله فأمره أن يعتزلهن فاعتزلهن في مشربة ام ابراهيم تسعة و عشرين يوما حتى حضن و طهرن ثم أنزل اللّه آية التخيير هذه فقامت ام سلمة امن هي؟ فقالت: قد اخترت اللّه و رسوله، فقمن كلهن فعانقنه و قلن مثل ذلك فانزل اللّه عز و جل: «تُرْجِي مَنْ تَشاءُ مِنْهُنَّ وَ تُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشاءُ ...» «1»

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). روى أصحابنا انها ام سلمة كما أخرجه القمي في تفسيره على ما في المتن‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 92

و هكذا نتلمّح من‏ «قُلْ لِأَزْواجِكَ» دون «بعض أزواجك» انهن كلهن تشاركن في إزعاجه فانزعاجه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) حتى نزل ما نزل و حصل ما حصل.

مجموعة حلائل النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كن سبعة عشر، دخل بهن اجمع إلا عمرة و السيفا و فيهن سريتان: مارية القبطية و ريحانة الخندقية، كان يقسم لهما مع أزواجه. و لم يجمع قط إلّا بين تسع منهن فاعتزل (صلى اللّه عليه و آله و سلم) حين اعتزل عنهن و مات كذلك عنهن و أفضلهن خديجة ثم ام سلمة ثم ميمونة «1» و ارذلهن من حاربت وصيّه يوم الجمل!.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

و

روى إخواننا انها عائشة كما في الدر المنثور بعدة طرق ففي نور الثقلين 4: 266 عن المجمع روى الواحدي بالإسناد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال‏ كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) جالسا مع حفصة فتشاجرا بينهما فقال لها: هل لك ان اجعل بيني و بينك رجلا؟ قالت: نعم فأرسل (صلى اللّه عليه و آله و سلم) الى عمر فلما ان دخل بينهما قال لها تكلمي قالت يا رسول اللّه تكلم و لا تقل الا حقا فرفع عمر يده فوجأ وجهها فقال له النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم): كف فقال عمر: يا عدوة اللّه النبي لا يقول إلّا حقا و الذي بعثه بالحق لولا مجلسه ما رفعت يدي حتى تموتي فقام النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فصعد الى غرفة فمكث فيها شهرا لا يقرب شيئا من نساءه يتغدى و يتعشى فيها فانزل اللّه هذه الآيات.

و

فيه ص 365 ح 66 باسناده عن أبي الصباح الكتاني قال‏ ذكر ابو عبد اللّه (عليه السلام) ان زينب قالت لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) لا تعدل و أنت رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و قالت حفصة: ان طلقتنا وجدنا أكفاءنا من قومنا ...

أقول مهما اختصت البعض من نساءه بالبعض من هذه الأقاويل فالقولة المشتركة علّها الأخيرة «ان طلقتنا ..».

(1).

نور الثقلين 4: 367 ح 74 في كتاب الخصال عن أبي عبد اللّه جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) قال: تزوج رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بخمس‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 93

لقد خيرهن بعد نزول آية التخيير بين المقام معه إن يردن اللّه و رسوله، أو الانسراح عنه إن يردن الحياة الدنيا و زينتها، حيث اختار لنفسه و أهله معيشة الكفاف و عيشة العفاف دون زهو و لهو بتبذير أو إسراف، لا عجزا عن حياة المتاع و الزينة، و انما زهدا عادلا كقدوة للأمة.

إلا أن نسائه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يتطلّبن منه زهوة و زهرة كما هي شيمة النساء، و ليس الرسول يميل الى ميولهن فيزدهي بزهوهن و يشتهي ما يشتهين، و لا سيما في الأموال التي هي لعامة المسلمين، و كذلك في أمواله الشخصية، و لذلك يعرض عنهن بعد عرضهن طلب الحياة الدنيا و زينتها و اعتراضهن عليه، يعرض نظرة الوحي فتنزل آية التخيير فيخيرهن بين هذه و تلك.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

عشرة امرأة و دخل بثلاث عشر امراة منهن و قبض عن تسع فاما اللاتي لم يدخل بهما فعمرة و السيفا و اما الثلاث عشرة اللاتي دخل بهن 1 فأولهن خديجة بنت خويلد 2 ثم سودة بنت زمعة ثم 3 ام سلمة و اسمها هند بنت امية 4 ثم ام عبد اللّه عائشة بنت أبي بكر ثم حفصة بنت عمر ثم 6 زينب بنت خزيمة بنت الحارث ام المساكين (7) ثم زينب بنت جحش ثم ام حبيب رملة بنت أبي سفيان ثم (9) ميمونة بنت الحارث ثم (10) زينب بنت عميس ثم (11) جريريه بنت الحارث ثم (12) صفية بنت حي بن اخطب (13) و التي وهبت نفسها للنبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) خولة بنت حكيم السلمي و كان له سريتان يقسم لهما مع أزواجه مارية القبطية و ريحانة الخندقية و التسع اللاتي قبض عنهن عائشة و حفصة و ام سلمة و زينب بنت جحش و ميمونة و ام حبيب و جريرية و سودة و أفضلهن خديجة ثم ام سلمة ثم ميمونة

أقول و

فيه عن الكافي عن أبي جعفر (عليه السلام) قال‏ في طوائف هؤلاء النسوة

- 4- من تيم و- 5- من عدي و 3- من بني مخزوم و- 2- من بني اسد و- 8- من بني امية و- 9- من بني هلال و- 12- من بني إسرائيل و لم يذكر البقية و طبعا خديجة من أفضل قريش، و تفرق هذه الطوائف من الدليل على ان زواجاته كانت سياسته اكثر مما هي جنسية.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 94

أ ترى كان عرض التخيير، امامهن كلهن فاخترن اللّه و رسوله؟ ام امام ام سلمة فتبعنها كلهن؟ ام أمام عائشة؟ و قد يروى انها تطلّب منه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) اختصاصها

فقال: «ان الله لم يبعثني متعنتا و لكن بعثني معلما مبشرا لا تسألني امراة منهن عما اخترت إلا أخبرتها»؟ «1».

انه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) على أية حال لم يكن ليخرج عن العدل بين نساءه حتى في ذلك العرض دون فرق بين عائشتهن و أم سلمتهن، اللهم إلّا بفارق التقوى، دون تقديم لتلك بشبابها و جمالها على هذه امّن هي لتقدمها عمرا او تأخرها جمالا!.

و يا له من عرض عريض بين عليا الحياة معه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و دنيا الحياة لا معه‏ «إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَياةَ الدُّنْيا وَ زِينَتَها» في بيت الرسالة القدسية، تغافلا عن اصل الحياة الزاهرة الباهرة في جوّ الوحي، و التنزيل، او تذرّعا بها الى الحياة الدنيا و زينتها، فلا جمع بين الحياتين مع النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و لا اختصاصا بالحياة الدنيا، إلّا ارادة اللّه و رسوله، ف- «مَنْ كانَ يُرِيدُ الْحَياةَ الدُّنْيا وَ زِينَتَها نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمالَهُمْ فِيها وَ هُمْ فِيها لا يُبْخَسُونَ. أُولئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ ..» (11: 15).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

الدر المنثور 5: 194- اخرج بعدة طرق عن جابر و ساق القصة الطويلة الى قوله و انزل اللّه الخيار فبدأ بعائشة فقال: اني ذاكر لك امرا ما أحب ان تعجلي فيه حتى تستامري أبويك قالت ما هو؟ فتلا عليها الآية قالت عائشة: أ فيك استأمر ابوي بل اختار اللّه و رسوله فأسألك ان لا تذكر الى امراة من نسائك ما اخترت فقال: ان اللّه ..

و في نقل آخر فاكتم علي و لا حجز بذلك نساءك قال (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بل اخبرهن به فأخبرهن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) جميعا فاخترن اللّه و رسوله و الدار الآخرة فكان خياره بين الدنيا و الآخرة أ تخترن الآخرة او الدنيا ...

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 95

و كيف لهولاء موقع في بيت الرسالة القدسية؟ «فَتَعالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ» بما يجب محبورا «وَ أُسَرِّحْكُنَّ سَراحاً جَمِيلًا» فكا عن أسركن إذ لا تجدن ما تردن في ذلك البيت، فليس الطلاق اسلاميا إلّا فكا عن أسر، من الجانبين او من جانب واحد، فيسرح المفكوك زوجا ام زوجة و يرتع حيث يشاء و «سَراحاً جَمِيلًا» كلمة صراح في سماح انطلاقهن بطلاقهن الى اختيار الأزواج، ففي تسريحهن- إذا- تطليقهن عن كونهن أمهات المؤمنين، كما عن كونهن أزواجه، فقضية السراح هي الانسراح عن قيود زوجيته الى اخرى، و قضية أنه جميل استئصال كافة العقبات عن زواجهن الاخرى كسائر المطلقات، فلو بقي بعد طلاقهن كونهن أمهات المؤمنين، فلا سراح لهن فضلا عن جميل، و اللّه تعالى يقول‏ «فَتَذَرُوها كَالْمُعَلَّقَةِ» تنديدا بمن يظلمهن هكذا، لا ذات بعل و لا خلية تتبعل، و ساحة النبي أقدس و أحرى ألّا يذرهن بتسريحهن كالمعلقات.

و اما موته عنهن دون طلاق فليس سراحا فضلا عن جميل، و هن بعده أمهات المؤمنين، إلّا إذا تخلفن عن شروطاتها كما تخلف البعض منهن و هدّدت بالطلاق، إطلاقا في الأزواج.

فكما النكاح في ميزان اللّه متاع، كذلك الطلاق متاع و سراح جميل، عقد جميل و فك جميل دونما عراك و احتكاك في ذلك الفكاك.

ليس النبي ليقبل ضغطا عليه و تحميلا في الحياة الدنيا و زينتها، و ليس ليضغط أزواجه على بساطة العيشة في الحياة كأبسط ما تكون، أسرا لهن خلاف ما يردن و يرغبن، لذلك فليخيّرهنّ و يقبل منهن ما يخترن.

و ليس ليقبل النبي الأقدس من أبي بكر و عمر أن يضربا عائشة و حفصة على هذه المراجعة النكدة في النفقة، حيث المسألة مسألة مشاعر و ميول بشرية و طلبات طبيعية نسائية، دون تسيير لهن على خلاف ميولهن، و إنما

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 96

مسايرتهن ما لا يمس من كرامة بيت النبوة، ثم تخييرهن كما خيّر، و اخترن اللّه و رسوله و الدار الآخرة:

وَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِناتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً (29).

و إنه ليس الأجر العظيم إلّا للمحسنات منهن بعد ما أردن اللّه و رسوله و الدار الآخرة، فهناك إرادة الإحسان و هنالك تحقيق الإحسان، و ليست الإرادة لتكفي ما لم يتحقق المراد بالحسنى، ثم العاقبة الحسنى بمواصلة الإحسان في ارادة اللّه و رسوله، و اما اللاتي يردن اللّه و رسوله و الدار الآخرة بغية البقاء في بيت النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ثم لا يحسنّ كما يناسب ذلك البيت، و من ثم يحاربن في حرب الجمل أما ذا؟ وصيه الطاهر. فهن بعيدات من الأجر فضلا عن عظيمه، و أبعد من العامرية التي اختارت قومها!.

ثم الإحسان في جو الوحي و التنزيل أفضل أجرا من سواه كما الإساءة أرذل و أنكل، حيث البعد الثاني لكلا الإحسان و الإساءة راجع إلى إحسان هذا البيت و إساءته بين الناس، فعلى مستوى عظم ذلك البيت يعظم أجر الإحسان و عذاب الاساءة، و هذه قاعدة عادلة سارية في أبعاد الأفعال خيرا او شرا، و كما تواتر عن النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) في من سن سنة حسنة او سيئة.

و هل التسريح هنا هو التطليق رجعيّا ام بائنا، فمن تختار الحياة الدنيا يطلقها بصيغة؟ أم ان اختيارهن لها طلاق؟ التسريح صريح أنه فعل من النبي إن اخترن الحياة الدنيا، فليس اختيارهن إذا بنفسه طلاقا، و ليس التسريح- فقط- صيغة لفظية للطلاق، إلّا أن تسريح كل شخص بحسبه و لا نعرف تسريحا اسلاميا للأزواج إلّا بالتطليق، إلّا ان يختص النبي‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 97

(صلى اللّه عليه و آله و سلم) بتطليق دون لفظ كما في نكاح‏ «وَ امْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَها لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَها خالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ» (33: 50) إلّا أنهما لا تثبتان طلاقا او نكاحا دونما صيغة، بل‏

«لو اخترن انفسهن لطلقهن» «1».

و هل المسرّحة هكذا تنسرح بحيث تحل لها الزواج بغيره؟ و هن أمهات المؤمنين!: «وَ لا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْواجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً»! و لكنما الحياة الدنيا و زينتها و السراح الجميل قد تتنافى و حرمان الزواج و هو من أمتع متع الحياة و زينتها و من أجمل السراح! فقد يكون تسريحهن هكذا تطليقا عن كونهن أمهات المؤمنين و كما خول علي (عليه السلام) بتطليقهن ان خرجن عن طور الطاعة له (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كما يحق و قد مضى حديثه عن القائم المهدي (عليه السلام) و من هنا نتبين على أية حال أن «لو اخترن انفسهن لبن» «2» دونما رجعة حيث الأمر قاطع لا مردّ له من اللّه:

«قُلْ‏ .. فَتَعالَيْنَ‏ .. أُسَرِّحْكُنَّ» فليسرّح من اختارت الدنيا دونما رجعة، اللهم إلّا رجوعا الى اللّه و رسوله فرجعة بعقد جديد و لا دليل عليه!

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

نور الثقلين 4: 265 عن الكافي حميد عن ابن سماعة عن ابن رباط عن عيص بن القاسم عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) قال‏ سألته عن رجل خيّر امرأته فاختارت نفسها بانت؟ قال: لا- انما هذا شي‏ء كان لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) خاصة أمر بذلك ففعل و لو اخترن انفسهن لطلقهن.

(2)

نور الثقلين (65) حميد عن ابن سماعة عن محمد بن زياد و ابن رباط عن أبي أيوب الخزاز قال: قلت لابي عبد اللّه (عليه السلام) اني سمعت أباك يقول: ان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) خير نسائه فاخترن اللّه و رسوله فلم يمسكهن على طلاق و لو اخترن انفسهن لبنّ؟ فقال: ان هذا حديث كان يرويه أبي عن عائشة و ما للناس و الخيار انما هذا شي‏ء خص اللّه به رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم).

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 98

يا نِساءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضاعَفْ لَهَا الْعَذابُ ضِعْفَيْنِ وَ كانَ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً (30) وَ مَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تَعْمَلْ صالِحاً نُؤْتِها أَجْرَها مَرَّتَيْنِ وَ أَعْتَدْنا لَها رِزْقاً كَرِيماً (31) و لماذا في قصة التخيير «قُلْ لِأَزْواجِكَ» ثم هنا و التي بعدها «يا نِساءَ النَّبِيِّ»؟ علّه حيث الاولى يخص أزواجه و الآخريان تشملان معهن بناته و كل امراة تعيش في جوّ الوحي مرتبطة به نسبا او سببا فهما باحرى يشملان الصديقة الزهراء (عليها السلام) ان يؤتاها أجرها مرتين و يعتد لها رزقا كريما! و هذه ضابطة عامة في الأعمال خيرا و شرا، أن ينظر إليها من بعدين: نفس العمل، و من يرتبط به أيا كان، في خير او شر من غير العامل، و أعظم رباط للعاملين هو الواقع في جو الوحي، ثم و ما دونه من أجواء، يذكر هنا أفضلها لنجعله نبراسا ينير الدرب على ما دونه، كل بحسبه.

و إذا كان هذا موقف نساءه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فباحرى بنته الزهراء (عليها السلام) و علي (عليه السلام) و الأئمة من ولدهما عليهم السلام من عترته و كما

يروى عن زين العابدين (عليه السلام): «نحن أحرى ان يجرى فينا ما أجر الله في أزواج النبي من أن نكون كما تقول، انا نرى لمحسننا ضعفين من الأجر و لمسيئنا ضعفين من العذاب» «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

نور الثقلين 4: 268 ح 77 في مجمع البيان و روى محمد بن أبي عمير عن ابراهيم بن عبد الحميد عن علي بن عبد اللّه بن الحسين عن أبيه عن علي بن الحسين زين العابدين‏ انه قال رجل: انكم اهل بيت مغفور لكم قال فغضب و قال:

نحن ...

و

في الدر المنثور 5: 196- اخرج ابن أبي حاتم عن جعفر بن محمد (عليه السلام) يجرى أزواجه مجرانا في الثواب و العقاب‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 99

و قد عد الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أزواجه في هذه الميّزة من «اربعة يؤتون أجرهم مرتين» «1» دون اختصاص بهن، فانما الميزة للأقرب فالأقرب صلة و مكانة، و هما في عترة النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) اقرب قرابة و محتدا! فمضاعفة العذاب هنا هي تبعة المكانة الكريمة من النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كما مضاعفة الأجر فانها تابعة لنفس المكانة، تقدّر ان بقدرها في المنسوب و المنسوب إليه، و لا أكرم من الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و لا أقرب من اهله الذين يعيشون جوّ الوحي! و الفاحشة هي المعصية الفاحشة، متجاوزة حدها ام الى غير العاصي ام تجمعهما، ثم الفاحشة قد تكون مبينة متجاهرة و لا تبين إلّا نفسها، و قد تكون مبيّنة تبين معها موقف صاحبها و من يتصل بهم بطبيعة الحال، و هنا «بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ» كالأخيرة لا فقط «مبيّنة» إذا فهي التي تبيّن موقف صاحبها أنها منه كما تتراوش من كوز، لا فلتة غير قاصدة، كما و تبين ما يستحقه من العقاب عليها.

ثم و ليست الفاحشة لتختص بالشذوذات الجنسية و هي من الخبيثات‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

المصدر اخرج الطبراني عن أبي امامة قال قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) اربعة يؤتون أجرهم مرتين منهم ازواج رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)

و

فيه اخرج ابن أبي حاتم عن الربيع بن انس في الآية قال: ان الحجة على الأنبياء أشد منها على الاتباع في الخطيئة و ان الحجة على العلماء أشد منها على غيرهم فان الحجة على نساء النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أشد منها على غيرهن ...

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 100

النسائية بعيدة عنها ساحة الرسالة القدسية حيث‏ «الْخَبِيثاتُ لِلْخَبِيثِينَ» مهما كانت للبعض من نساء الأنبياء فاحشة الكفر كما قبل الإسلام بسائر فسقه إلّا الزنا.

فمن‏

«الفاحشة الخروج بالسيف» «1»

على وصي النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فانه خروج على نفس النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و ما أفحشها من فاحشة، و كما خرجت عائشة يوم الجمل على وصي الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و خرجت زوجة موسى على وصيه حذو النعل بالنعل و القذة بالقذة «2».

ان حرب عائشة زوجة النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و حرب صفيراء زوجة موسى (عليه السلام) مع وصييهما هي من الفاحشة المبيّنة، خروجا عن بيت النبوة، و خروجا على بيت النبوة، و لا أفحش من هذه الفاحشة مبيّنة مدى التخلف العارم على صاحب الرسالة الإلهية، و اللّه يقول‏ «وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ..»!

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

نور الثقلين 268 في تفسير علي بن ابراهيم بإسناد عن حريز قال: سألت أبا عبد اللّه (عليه السلام) عن قول اللّه عز و جل: «يا نِساءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ ...» قال (عليه السلام): الفاحشة الخروج بالسيف، أقول و هو من التفسير بأفحش مصاديق الفاحشة.

(2)

نور الثقلين 4: 268 ح 78 في كتاب كمال الدين النعمة باسناده الى عبد اللّه بن مسعود عن النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) حديث طويل يقول فيه (عليه السلام) ان يوشع بن نون وصي موسى (عليه السلام) عاش بعد موسى ثلاثين سنة و خرجت عليه صفيراء بنت شعيب زوجة موسى (عليه السلام) فقالت: انا أحق منك بالأمر فقاتلها فقتل مقاتليها و احسن أسرها و ان ابنة أبي بكر ستخرج على عليّ في كذا و كذا ألفا من امتي فيقاتلها فيقتل مقاتليها و يأسرها فيحسن أسرها و فيها أنزل اللّه تعالى‏ «وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَ لا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِيَّةِ الْأُولى‏» يعني صفيراء بنت شعيب.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 101

و ترى ان مضاعفة العذاب ضعفين هي ضعفين على أصل العذاب فهي إذا ثلاثة أضعاف؟ و الأجر الذي هو قضية الفضل أحرى بذلك من العذاب العدل و هو «مرتين»! إذا «فضعفين» هما «مرتين» حالا من العذاب، عذابا و ثوابا على سواء، و المضاعفة هي الزيادة قلّت او كثرت، من مرتين الى ما شاء اللّه، و هي هنا ضعفين، فالضعف هو الزيادة دونما تحديد و مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً فَأُولئِكَ لَهُمْ جَزاءُ الضِّعْفِ بِما عَمِلُوا وَ هُمْ فِي الْغُرُفاتِ آمِنُونَ (34: 37) و اقل الضعف لهم عشرة «مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها» «وَ لَدَيْنا مَزِيدٌ» و كما لمن جاء بالسيئة ضعف في مضاعفتها: رَبَّنا هؤُلاءِ أَضَلُّونا فَآتِهِمْ عَذاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ قالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَ لكِنْ لا تَعْلَمُونَ» (7: 38) و معلوم ان ضعف المضلّل أضعف من ضعف المضلّل و كلّ ضعف! ..

و من ثم الأضعاف تعني المرات من ثلاثة فما فوقها يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَوا أَضْعافاً مُضاعَفَةً (3: 130) اي: مرات مزيدة على الأصل‏ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافاً كَثِيرَةً ... (2: 245).

إذا فمضاعفة الضعفين من العذاب هي الزيادة المثلين لا زيادة مثلين على أصل العذاب، و كما الأجر مرتين: عذاب اواجر، للفاحشة او القنوت، نفسه في حساب الفاعل، و آخر تخجيلا او تبجيلا لجو الوحي و التنزيل جزاء وفاقا او عطاء حسابا.

هنالك فاحشة مبينة فعذاب ضعفين‏ «وَ كانَ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً» و ليس عليه عذابهن عسيرا تمنعه عنه مكانتهن من الرسول حيث الرسول نفسه ايضا مهدد: «لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَ‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 102

لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ. فَما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حاجِزِينَ» (69: 46) و هناك قنوت للّه و رسوله‏ «وَ مَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تَعْمَلْ صالِحاً» خضوعا للّه عبودية و لرسوله طاعة و عملا يصلح لذلك الخضوع، صالحا لجوّ الوحي و التنزيل‏ «نُؤْتِها أَجْرَها مَرَّتَيْنِ» و زيادة هنا لأنه قضية الفضل:

«وَ أَعْتَدْنا لَها رِزْقاً كَرِيماً» دونما هناك حيث العذاب قضية العدل فهو عدل للفاحشة دونما ربوة. أ ترى ان كن عوانا بين ذلك، لا فاحشة مبينة و لا قنوت للّه و رسوله، فهلّا يكون هنالك اجر و لا عذاب؟

اجل! و لكنه لا ضعف في عذابهن و لا أجرهن، حيث البعد الثاني من العصيان و الطاعة عادم فثاني الأجر و العذاب كذلك عادم و مثلهن إذا كسائر النساء على سواء، فلا كرامة الا بالتقوى و لا مهانة إلا بالطغوى، أيا كانت الطغى و ان زوجة النبي، و أيا كانت التقى و ان زوجة فرعون الشقي‏ «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ كانَتا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبادِنا صالِحَيْنِ فَخانَتاهُما فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُما مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَ قِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ، وَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَ نَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَ عَمَلِهِ وَ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. وَ مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَها فَنَفَخْنا فِيهِ مِنْ رُوحِنا وَ صَدَّقَتْ بِكَلِماتِ رَبِّها وَ كُتُبِهِ وَ كانَتْ مِنَ الْقانِتِينَ» (66: 12).

ثم و ليست مضاعفة الثواب و العقاب لنساء النبي إلّا للبعد الثاني من الطاعة و العصيان، دون رعاية للصلة بالنبي، و إلّا فلا عقاب ام تخفيفا من العذاب كضعف الثواب.

و ترى ان مضاعفة العذاب في الفاحشة المبينة تخص الآخرة؟ ام تعم الاولى و الآخرة؟ العموم قضية اطلاق العذاب، فالفاحشة التي فيها الحدّ

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 103

يضاعف لهن حدّها في الاولى كما في الأخرى إلّا انه يخص الفاحشة المبيّنة، لا كل فاحشة و لا المبيّنة دون تبيين وقوفا عند النص فيما يشذ عن القاعدة تأمل.

يا نِساءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّساءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَ قُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفاً (32).

انه ليس ارتفاع المساوات بين نساء النبي و سائر النساء لأنهن نساء النبي، بل «ان اتقيتن» كما و ليس النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كأحد من الرجال لنبوته .. أنتن في مكانة لا يشارككن فيه احد من النساء، و لا تشاركن فيها أحدا من النساء و لكن «إن اتقيتن» فليست المسألة مجرد قرابة من النبي بسبب او نسب الّلهم إلّا حسب التقوى و سببها و نسبها، فالتقوى تقوى ان كانت في مكانة عليا و محتد أقوى كما الطغوى تقوى على سواء، فلا بد من القيام بحق هذه القرابة العليا، و هو القائل «يا فاطمة ابنة محمد! يا صفية ابنة عبد المطلب! يا بني عبد المطلب! لا أملك لكم من الله شيئا سلوني من مالي ما شئتم» «1».

و هل الأوامر و النواهي التالية تخصهن لاختصاص خطاباتها لهن؟ و «ان اتقيتن» تعم كل تقوى واجبة و راجحة من كل متقية منهن و سواهن! و موارد الأمر و النهي هنا لا تخصهن! فانما التقوى لهن تخرجهن عن مساواتهن لسواهنّ دون واجبات او محرمات تختصهن، و ليست المذكورة إلّا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

أخرجه مسلم في صحيحه و يروى المسلم و الترمذي ايضا قوله (صلى اللّه عليه و آله و سلم): «يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار! يا معشر بني كعب أنقذوا أنفسكم من النار! يا معشر بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار! يا فاطمة بنت محمد انقذي نفسك من النار! فاني و اللّه لا املك لكم من اللّه شيئا إلا ان لكم رحما سأبلها ببلاءها.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 104

عامة لكافة المسلمين دون اختصاص بهن، فالآية تشجيع لهن على اصل التقوى و إذا «لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّساءِ»! تقوى في القول سلبيا «فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ» و ايجابيا «وَ قُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفاً»! ينهاهن حين يخاطبن غير ذوي الأرحام عن ان يكون في أقوالهن خضوع له نبرة مثيرة، و لينة مغيرة، خضوعا في موسيقا التعبير، ام ما يحمله من معنى مثير، فوا ويلاه إذ اجمعا في عبرة القول و نبرته و ضحكته! «فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ»: الشهوة الكامنة حيث تظهرها القولة الخاضعة، فلتكن قولة مخضعة ام لأقل تقدير لا خاضعة و لا مخضعة، لا في موسيقاها و لا في معناها.

للمرأة قولات ثلاث: 1- خضوع- مثير باي من ابعاده. فمحظور 2- لا خضوع و لا كبرياء فغير محظور، 3- و إخضاع بكبرياء في قول تطوي نسائية الصوت و لطافته طيا فمحبور مشكور، فتقوى واجبة في قولهن عدم الخضوع، و من ثم راجحة هي إخضاع و القول المعروف هو المعروف عن مسلم حلّا في جنباته، ثم المعروف عن مؤمنة حلا منها مع غير المحارم، ثم المعروف عن اهل النبي فهو إذا مثلث المعروف و اقله ألّا يكون فيه ما يحرم من مؤمنة لغير محرم! صحيح انهن كازواج النبي و أمهات المؤمنين ليس ليطمع فيهن طامع، و لكن المرض في قلوب مقلوبة يستثار، قلوب مريضة بالشهوات دونما عفاف، ام و مريضة بنفاق ام نقصان في ايمان، مهما سلمت القلوب السليمة بإيمان و عفاف على ما فيها من شهوة، فانها ليست ككل مرضا فان اللّه خلقها في كل مؤمن و مؤمنة، و في النبيين، و انما يخاف ممن لا يعفّ شهوته.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 105

و إذا كن نساء النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) على ما هن عليه من المكانة، في ذلك الزمن البدائي البسيط هن ينهين عن الخضوع في القول، فكيف بهذا المجتمع الذي نعيشه اليوم، المتقدمة فيه الشهوات، المرفوفة على جوّه الأطماع، المسعّرة فيه السعارات المحمية الجنسية، فأحرى بالمؤمنات إذا ألا يخضعن بالقول او يبرزن في اية صورة مثيرة، فانها مثار الفتنة.

وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَ لا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِيَّةِ الْأُولى‏ وَ أَقِمْنَ الصَّلاةَ وَ آتِينَ الزَّكاةَ وَ أَطِعْنَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ ... (33)

«و قرن» هل إنها امر بالوقار؟ و امره «قرن»! و الوقار واجبهن على أية حال، و باحرى خارج بيوتهن و هنا «بيوتكن»! و قضية الموقف في سرد أو امر و نواهي، هي العطف كما في سائرها! فهي إذا «قرن» عطفا، فهل بعد من قار يقار إذا اجتمع؟ و لا موضوعية في جمعهن في بيوتهن إلّا قرارهن جماعات او فرادى! و أمرها «اقررن»! اللهم إلّا بحذف الحرفين تخفيفا كما في اضرابها فنعما، و لكنها معنويا غير مناسبة فكلّا! أم إنها من قرّ يقرّ؟ و أمرها «اقررن» فكذلك الأمر الّا في المعنى، فانه امر بقرارهن في بيوتهن، و من دناءة المراة كونها لفوتا تكثر الخروج من بيتها دون ضرورة تلجئها، و هذا يناسبها في أدب اللفظ و جمال المعنى، و الاول يخالفهما، و الأوسط يخالف المعنى، و القرآن حمال ذو وجوه فاحملوه على أحسن الوجوه و هو ثالثها.

يقرر هذا الأمر لهن أصل قرارهن في بيوتهن، فان اشغالهن في الأكثرية الساحقة أشغال بيتية، كفين عما سواها بمعونة الرجال مؤونات أما هي؟.

فلا يعني تحريم خروجهن عن بيوتهن اللهم إلّا تبرجا كالجاهلية

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 106

الاولى، فلو كان عطفا لكان «و لا تخرجن» في تبرج و سواه، فانما نهين عن تبرج الجاهلية الاولى:

«وَ لا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِيَّةِ الْأُولى‏» احتشاما في خروجهن إذا لزم الأمر او رجح، بتحجّب يناسب حرمة النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و التبرج هو تكلف في الظهور كالبرج المظاهر لكل ناظر، تكلفا في اظهار زينتهن الستيرة تحت ملابسهن، و تكلّفا في تزيّن زائد على الذاتية النسائية فيهن، في عطرة تجلب، او مشية تجذب، او صوتة تطمع، او غنجة تثير، امّا ذا من تظاهر نسائي يعطف إليهن انظار الرجال الأجانب‏ «فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ»! البيت ستر اوّل للنساء، ثم إخفاء الزينة و كل جاذبية نسائية «إِلَّا ما ظَهَرَ» و تهدّر بطبيعة الحال دونما تبرج، «كانت عائشة إذا قرأت: «وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ» بكت حتى تبل خمارها» «1» و هل كانت تبكيها وطأة الأمر الشاق؟ و ليس قرار البيت إلّا راحة للمرأة و احتشاما! ام كانت تبكيها لأنها أضمرت خروجها يوم الجمل؟

نقلوها فانا لا ندري إلّا خروجها يوم الجمل تخلفا عن أمر ربها على إمامها! «2».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 5: 196- اخرج ابن أبي شيبة و ابن سعد و عبد اللّه بن احمد في زوائد الزهد و ابن المنذر عن مسروق قال: كانت عائشة ...

(2)

نور الثقلين 4: 269 ح 82 في بصائر الدرجات احمد بن محمد و الحسن بن علي بن النعمان عن أبيه عن علي بن النعمان عن محمد بن سنان يرفعه قال: ان عائشة قالت: التمسوا لي رجلا شديد العداوة لهذا الرجل (تعني عليا (عليه السلام)) أبعثه اليه قال: فأتيت به فمثل بين يديها فرفعت اليه رأسها فقالت له: ما بلغ من عداوتك لهذا الرجل؟ فقال لها: كثيرا ما اتمنى على ربي انه و أصحابه في وسطي فضربت ضربة بالسيف فسبق السيف الدم، قالت: فأنت له اذهب بكتابي هذا فادفعه‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 107

«وَ قَرْنَ‏ .. وَ لا تَبَرَّجْنَ»!؟ كما و قرن و لم يتبرجن‏ «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

اليه ظاعنا رأيته او مقيما، اما انك ان رأيته رأيته راكبا على بغلة رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) منتكبا قوسه معلقا كنانته بقربوس سرجه و أصحابه خلفه كأنهم طير صواف قال: فاستقبله راكبا كما قالت فناوله الكتاب ففص خاتمه ثم قرأه فقال: تبلغ الى منزلنا فتصيب من طعامنا و شرابنا و نكتب جواب كتابك؟ فقال: هذا و اللّه ما لا يكون، قال: فسار خلفه فاحدق به أصحابه ثم قال له: اسألك قال: نعم قال:

و تجيبني؟ قال: نعم قال: نشدتك باللّه هل قالت: التمسوا لي رجلا شديد العداوة لهذا الرجل فأتى بك فقالت لك: ما بلغ من عداوتك لهذا الرجل؟ فقلت: كثيرا ما اتمنى على ربي انه و أصحابه في وسطي و اني ضربت ضربة سبق السيف الدم؟ قال:

اللهم نعم! قال: فنشدتك اللّه هل قالت لك: اذهب بكتابي هذا فادفعه اليه ظاعنا كان او مقيما اما انك ان رأيته رأيته راكبا على بغلة رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) متنكبا قوسه معلقا كنانته بقربوس سرجه أصحابه خلفه كأنهم طير صواف فتعطيه كتابي هذا؟ قال: اللهم نعم قال: فنشدتك اللّه هل قالت لك: ان عرض عليك طعامه و شرابه فلا تناولن منه شيئا فان فيه السحر؟ قال: اللهم نعم قال:

فتبلغ عني؟ قال: اللهم نعم فاني قد أتيتك و ما في الأرض خلق ابغض اليّ منك و انا الساعة ما في الأرض خلق أحب اليّ منك فمرني بما شئت قال: ارجع إليها بكتابي هذا و قل لها: ما أطعت اللّه و لا رسوله حيث أمرك بلزوم بيتك فخرجت ترددين في العساكر و قل لهم: ما أنصفتم اللّه و لا رسوله حيث خلفتم حلائلكم في بيوتكم و أخرجتم حليلة رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قال فجاء بكتابه فطرح إليها و أبلغها مقالته ثم رجع اليه فأصيب بصفين فقالوا: ما نبعث اليه بأحد الا أفسده علينا.

(1). الدر المنثور 5: 196- اخرج عبد بن حميد و ابن المنذر عن محمد بن سيرين قال نبئت انه قيل لسودة زوج النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ما لك لا تحجين و لا تعتمرين كما يفعل أخواتك؟ فقالت: قد حججت و اعتمرت و امرني اللّه ان أقر في بيتي فو اللّه لا اخرج من بيتي حتى أموت قال: فواللّه ما خرجت من باب حجرتها حتى أخرجت بجنازتها و

فيه اخرج احمد عن أبي هريرة ان النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قال‏ لنسائه عام حجة الوداع هذه ثم ظهور الحصر قال: فكان كلهن يحجن الا زينب‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 108

و لماذا تخرج المرأة من بيتها؟ ألما تعنيها من تحصيل النفقة إذ تعانيها؟

و هي من واجبات الرجال! أمّا ذا من واجبات خارج البيتية؟ و هي كلها موضوعة عنها موضوعة على الرجال، تخفيفا عنهن و احتشاما لهن و حفاظا على حرماتهن!.

للرجال رجولة الأشغال و هي في فسحة خارج البيتية، و للنساء انوثة الأشغال و هي داخل البيتية، فعلى كلّ تقديم واجبه، و في معاكسة الأشغال أم خروج المرأة لتعمل مع الرجل، كارثة على البيت لا تجبر، اللهم إلّا في الضرورات التي تبيح المحظورات، و بيت المال يضمن مجالاتها الاقتصادية للرجال فضلا عن النساء اللاتي ليس لهن من ينفق عليهن، او عمل في البيت او مثله في الحفاظ عليها! واجب النفقة أماذا من اشغال خارج البيتية يتيح للزوجة و الأم من الجهد و من الوقت و هدوء البال ما تشرف على الفراخ الناشئة، فالام الكادحة المكدودة بالعمل لتحصيل النفقة، المقيدة بمواعيد العمل، ليست لتعطي للبيت واجبه التربوي، فبيوت العاملات و الموظفات هي كالفنادق و الخانات و أتعس منها و أركس، حيث الناشئة المحتاجة الى تربية الأم تتهدر فيها، و لا ينوب أمها غيرها من مربين او مربيات! فأما ان تخرج المرأة لغير العمل، بل للاختلاط بالرجال و الإشتغال بالملاهي أماذا من لهوات و شهوات فهو الارتكاس الى حماة الحيونات و درك الجاهليات التي ترد الإنسان الى مراتع الحيوان!

يقول الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم): «ان المرأة عورة فإذا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

بنت جحش و سودة بنت زمعة و كانتا تقولان: و الله لا تحركنا دابة بعد ان سمعنا ذلك من رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 109

خرجت استشرفها الشيطان و اقرب ما تكون من رحمة ربها و هي في بيتها»

«1» كما و

«جئن الى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فقلن يا رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): ذهب الرجال بالفضل و الجهاد في سبيل الله فما لنا عمل ندرك فضل المجاهدين في سبيل الله؟ فقال (صلى الله عليه و آله و سلم): من قعدت منكن في بيتها فإنها تدرك عمل المجاهدين في سبيل الله» «2».

و

قال (صلى اللّه عليه و آله و سلم): «شر النساء المتبرجات و هن المنافقات لا يدخل الجنة منهن إلا مثل الغراب الأعصم» «3».

التأكيد في قعودهن في بيوتهن امر ارشادي للحفاظ على العفاف و عدم التبذل امام الرجال، و أما إذا خرجن غير متبرجات بزينة، متعففات، فما عليهن من سبيل و لا سيما في محاويجهن المادية و المعنوية فراجح او واجب، و لقد كن يخرجن زمن الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) للصلاة و تمريض جرحى الجهاد إمّا ذا من متطلبات راجحة و واجبة و لكن في غير تبرج و تظاهر بمفاتنهن، بل متعففات متحجبات، و قد

«كان نساء المؤمنين‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). المصدر اخرج الترمذي و البزاز عن ابن مسعود عن النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) قال: ...

(2) المصدر اخرج البزاز عن انس قال: جئن النساء ...

(3) المصدر اخرج البيهقي في سننه عن أبي أذينة الصدفي ان رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) قال: ... و

فيه اخرج الطبراني عن ابن عباس قال‏ لما بايع النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) النساء قال: لا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى قالت امرأة يا رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) أراك تشترط علينا الا نتبرج و ان فلانة قد اسعدتني و قد مات أخوها فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) اذهبي فاسعديها ثم تعالي فبايعيني.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 110

يشهدن الفجر مع رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) ثم يرجعن متلفعات بمروطهن ما يعرفن من الغلس» «1».

و لو كان خروجهن ممنوعا لما امرن بالحجاب، فانه سترة عن الرجال الأجانب، و الآية تنهى عن التبرج بعد الأمر بقرارهن في بيوتهن، فليس خروجهن غير متبرجات تحت النهي و لا تحت الأمر، فهو إذا مسموح كفرع يستثنى عن اصل قرارهن في بيوتهن لراجح او واجب ام مباح!.

هنالك المنعة عن تبرج الجاهلية الاولى، مما تلمح بتبرجة اخرى‏ «2» ام تبرجات ثانية و ثالثة اماهيه؟ و كما نعيش اليوم أبشع التبرجات النسائية في بلاد متخلفة عن شرعة اللّه، لا يسترن إلّا عوراتهن و لو كانت جميلة ما سترنها، و قد يتبرجن فيها جلية اكثر لمتاع الجنس و عند ذلك الطامة الكبرى! و جاهلية القرن العشرين من أبشع الجاهليات التي تمر فيها البشرية و عاشتها حتى الآن! أنت يا ريحانة ماذا تعنين من التبرج، تظهرين مفاتنك، و تجملين بدنك و تتغنجين في صوتك و حركاتك، و تلبسين ما يجلب انظار تجار الجنس و بغاته، فهل أنت متاع تعرّضين نفسك للشراء، ام حيوانة شهوة تبغين البغاء و تفتشين عن زبائن، تعملين من نفسك برجا يقصد و عند ذلك الطامة الكبرى.

للتبرج النسائي دركات، من مشية بين الرجال تجلب انظارهم و ضرب بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن، بمشية تكسّر و تغنج، و من تكشّف ما

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

نور الثقلين 4: 269 ح 79 تفسير القمي عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) في هذه الآية قال: اي ستكون جاهلية اخرى‏

(2) كما في الصحيحة عن عائشة.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 111

يجب إخفاؤه من زينة، و كل ما يعطف أنظار طلاب الجنس إليهن بصرا و سمعا و شما، كل هذه تبرجات مهما اختلفت دركاتها و خطراتها، و الآية تمنع عن تبرج الجاهلية الاولى و لم يكن إلّا تبرجا بزينة كيفما كانت، اللهم إلّا ما ظهر منها مهما جلبت انظارا ام لم تجلب.

هنالك تستر مطلق في قرارهن في بيوتهن و هو الأصل لحياتهن، ثم خروج باحتشام في غير تبرج بزينة، برجا ظاهرا دونما تظاهر، ثم خروج في تبرج بأية زينة تجعلهن كبرج يقصد، و الممنوع هو الأخير بكل صوره و لا سيما التعري بين الرجال كما كن أحيانا يطفن البيت عاريات قائلات:

اليوم يبدو كله او بعضه .. فما بدى منه فلا احلّه! و لان الجاهلية الاولى ما تجاوزت عن تلكم التبرجات‏ «1» فنحن نعيش الآن جاهلية أعمى و أنحس من الاولى، غليظة الحس، حيوانية التصور، هابطة في درك البشرية الى حضيض مهين و ضلال مبين! حيث بلغ التبرج الى ابشع من التعري.

«وَ أَقِمْنَ الصَّلاةَ» كما يحق، لا قياما للصلاة و لا إتيانها كيفما كان، و انما إقامتها بظاهرها و باطنها كما تصلح لمحضر الرب سبحانه و تعالى ..»

وَ آتِينَ الزَّكاةَ»: الضريبة المالية التي تنمي المال و تطهر صاحب المال‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). في الدر المنثور 5: 199 عن مجاهد: كانت المرأة تخرج تمشي بين الرجال فذلك تبرج الجاهلية و عن قتادة: و كانت لهن مشية تكسر و تفنج فتهن اللّه عن ذلك عن ابن حيان: و التبرج انها تلقى الخمار على رأسها و لا تشده فيرى قلائدها و قرطها و عنقها و يبدو ذلك كله منها و ذلك التبرج و قال ابن كثير في التفسير: كانت المرأة منهن تمر بين الرجال مسفحة بصدرها لا يواريه شي‏ء و ربما أظهرت شعرها و اقرطة آذانها فامر اللّه المؤمنات ان يستترن في حياتهن و أحوالهن‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 112

و المجتمع من دنس الفقر و سوء الحال‏ «وَ أَطِعْنَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» فأنتن أحرى بذلك حيث ينزل الوحي في بيوتكن ... إنما ...؟

... إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (33) هذه آية التطهير، منقطعة النصير، في التعريف بمدى العصمة و الطهارة للبشير النذير، و اهل بيته الذين اذهب اللّه عنهم الرجس و طهرهم بذلك التطهير.

فانها على اتصالها بما قبلها من جملات في آيتها و آيات قبلها ثم «و اذكرن» التي بعدها، هي منفصلة عما احتفت بها في مغزاها و معناها، حيث الخطابات في سواها ال- (22) كلهما جموع مؤنثة تعني نساء النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و هنا جمعان مذكران يعنيان الذكران من اهل البيت (عليهم السلام).

و انها تصلح لفظيا و معنويا أن تكون آية مستقلة عما تصدرتها نازلة لوقت آخر، و كما تواترت بذلك روايات الفريقين عن النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و اهل بيته الكرام (عليهم السلام) «1».

و استقرارها تأليفا في آية القرار: «و قرن ...» أمر قاصد قاسط إذ يعني التأليف بين بيتي النبي الأقدس (صلى اللّه عليه و آله و سلم) في الظاهر النسائي و الباطن المعرفي في قمة العصمة و الطهارة، و ليس لها موضع أنسب منها هاهنا، رغم ما يهرف بما لا يعرف فيخرف أنها تحولت‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). أحاديث التطهير المتواترة مطبقة على ان آية التطهير مستقلة نزلت دون ألفاظها الأخرى التي معها في التأليف.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 113

الى هنا تحريفا عن موضعها بغية تحريف عن موضوعها انها تعني نساء النبي كما عنتهن سائر خطاباتهن؟ و ذكورة الضمير دليل قاطع لا مرد له عما يعنيه من ذكران اهل البيت!.

او ان اللّه جعلها فيها كيلا تحرّف عما تعنيه زعم انها تعني ما تعنيه خطابات النساء، كحيلة إلهية تحول دون التحريف! و لا تحريف في القرآن و لن .. أيا كان و أيان بادلة الحفظ عقليا و كتابيا و في السنة القطعية، فهل يخاف اللّه المحرفين لكي يحتال حتى لا يغتال؟! ان ضميري التذكير يحافظان على كيان آية التطهير، كما و «إنما» و «اهل البيت» إمّا ذا من عساكر البراهين من نفس الآية و من السنة المتواترة تدلنا على تحول الخطاب عنهن الى رجال اهل البيت، إذا فالبيت غير البيت و اهله غير اهله! ليست آية التطهير لتعني نساء النبي لا في ادب اللفظ لمكان «كم ..

كم» و لا في حدب المعنى لمكان «انما» أما ذا؟ من قرائن قطعية تحافظ على مكانة مخاطبيها، رغم مكانها بين مخاطبات!.

فكما «يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هذا» لا تحوّل‏ «وَ اسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخاطِئِينَ» الى مخاطبها، حيث اختلاف الضمائر يحافظ على ما يعنيه المضمر و الضامر ذكرانا و إناثا! كذلك «كم» هنا لا تتحول الى غير مخاطبيها! و قرينة السياق- على نقد في أصلها- ليست لتسوق مقارنها الى غير الصريح من معناها! أ ترى نساء النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كن هنا رجالا لكي‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 114

يخاطبن بخطابهم «كم» كما يهرفه من لا يعرف ادب اللفظ و المعنى؟ «1» ام نسي اللّه او تناسى و سهى فخاطبهن بعد خطابات النساء خطاب الرجال؟ ام عنى بهم رجال أهل البيت و في ضمنهم النساء تغليبا لقبيل الرجال كما في سائر الأحوال؟ و شمول ضمير الرجال للنساء بحاجة الى دليل قاطع! و القرائن القطعية في الآية تنحّيهن و كل من هو دون العصمة القمة عنها! و السنة القطعية لا تضم إليها إلّا الصديقة الكبرى سلام اللّه عليها! و لئن سألنا نساء النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) هل أنتن ام واحدة منكن داخلة في هذه الطهارة القمة الخارج عنها من خرج نبيا و سواه؟ لا نسمع الجواب إلا كلا، و لا سيما و ان القرآن ناطق بالاخطاء الجارفة في بعضهن‏ «وَ إِنْ تَظاهَرا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَ جِبْرِيلُ وَ صالِحُ الْمُؤْمِنِينَ»! هنا «إنما» في ارادة الطهارة و إذهاب الرجس عن اهل البيت (عليهم السلام) تحصرها في أهل البيت و تحسرها عمن سواهم، أيا كانوا و أيان من اهل البيوتات الرسالية و ملإ العالمين من الملائكة و الجنة و الناس أجمعين!.

فلا يدخل في ذلك البيت القمة في العصمة العليا نوح و ابراهيم و موسى و عيسى (عليهم السلام) و لا جبريل و ميكال و الروح (عليهم السلام) امّن ذا؟ فضلا عن نساء النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ام و رجال فوقهن في درجات الايمان كمقداد و أبي ذر و سلمان! اهل البيت في إطلاقها تشمل كل أهل من كل بيت، بيت السكن‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). كعكرمة في قولته «من شاء باهلته انها نزلت في ازواج النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كما و يشير في قولته الاخرى الى وحدته في وهدته «ليس بالذي تذهبون اليه انما هو نساء النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) (الدر المنثور 5: 198).

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 115

للبدن حيث الإنسان يستريح فيه ببدنه من الأعباء، فأهله هم الآهلون لتهيئة الراحة البدنية من ازواج و خدم و اضرابهم.

ام بيت يبيت فيه الروح، جوّ روحاني يبتغيه الروح لراحة الاستضاءة من أضواء المعرفة و اهله الآهلون لتلك الاستضاءة.

هذا جو روحاني و بيت يحلّق على أهله، و ذاك جو جسداني و بيت يحلق على أهله، و اين بيت من بيت و أهل من أهل؟

و هما قد يجتمعان كبيت علي و فاطمة لهما و للرسول الأقدس (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و قد يفترقان كحجرات الرسول بنسائه، و كمن يعيشون عيشة الحيوان ليس لهم جوّ روحاني يعيشهم عيشة الإنسان! و لمكان «إنما» هنا ليس من اهل البيت نساءه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) إذ لا يشملهن لأنهن اهل بيت سكن من حجر و مدر و هو بيت محمد كبشر، و المسند اليه هنا هو محمد الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم)! ترى بعد انهم اهل بيت الرسول (عليه السلام)؟ و هو لا يشمل الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و هواسه و أساسه! و «انما» الحاصرة تجعله المصداق الاجلى في هذه الاهلية المباركة، و ما سائر اهل البيت الا كمصاديق ثانوية! مهما تواترت الرواية انهم «علي و فاطمة و الحسنان» في التنزيل و كما

يروى عنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) هؤلاء اهل بيتي و هم أحق بخلافتي» «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

غاية المرام في كفاية الخصام ص 376 عن مسند احمد بن حنبل عبد الرحمن بن احمد بن حنبل عن أبيه احمد عن شداد بن عمارة ذهبت الى واثلة بن الاسفع‏ و عنده جماعة يسبون عليا فشاركتهم فقال واثلة أ تريد ان أخبرك بما سمعت عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)؟ قلت: بلى قال: ... ساق حديثه في آية التطهير ثم قال (صلى اللّه عليه و آله و سلم): و هم أحق بخلافتي أقول و الاربعة في التنزيل من باب‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 116

او انهم اهل بيت النبوة و معدن الرسالة، أعلى جو روحاني يشمله و إياهم، و بيت رسالي يعمهم، لا الرسولي الذي يخص أهل الرسول المعصومين؟ و هذا يناسب حصر الطهارة، و اطلاق البيت‏ «1» و تواتر الأحاديث الاخرى عن الرسول و اهل البيت و كما

يروى عنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) «نحن اهل بيت طهرهم الله من شجرة النبوة و موضع الرسالة و مختلف الملائكة و بيت الرحمة و معدن العلم» «2»

(عليهم السلام).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

التفسير بالمصداق الثاني المختلف فيه قائله بالمتفق عليه‏

و قد اخرج عنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) نزولها في الخمسة محمد بن جرير الطبري في التفسير عن خمسة عشر طريقا عن ام سلمة و السيوطي في التفسير عن عشرين طريق و الثعلبي في التفسير عن تسعة طرق عن ام سلمة و في طرق عدة عن عائشة، و قد نقله جماعة من الحفاظ و المحدثين مثل ابو نصر الحميدي و موفق بن احمد و ابو رزين في جامع الصحاح و الامام احمد و الطبراني عن ام سلمة، و الطبري و الثعلبي في تفسيريهما و عبد اللّه الشافعي في مناقبه و الطبراني في المعجم الكبير و ابن أبي بكر في مجمع الزوائد و الزرندي في نظم درر السمطين و الهيثمي في الصواعق و ابن حسنويه في درر بحر المناقب و الجري في المناقب و البدخشي في مفتاح النجا و القارى في أربعين حديثا و النبهاني في الأنوار المحمدية و الواحدي في اسباب النزول و القندوزي في ينابيع المودة و الأمر تسرى في أرجح المطالب و القسطلاني في المواهب اللدنية و الخمراوي في مشارق الأنوار و النبهاني في الشرف المؤيد و الذهبي في تاريخ الإسلام- كلهم عن أبي سعيد الخدري عنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم).

(1). حيث التقييد باهل بيت الرسول روحيا كما هو بدنيا لا يناسب اطلاق «اهل البيت، و بيت الرسالة المحمدية هنا قضية الإطلاق و سائر البراهين القاطعة.

(2) الدر المنثور 5: 191 عن ضحال بن مزاحم ان نبي اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كان يقول: ... أقول‏ «كانَ يَقُولُ» دليل استمراره في قوله هذا و قد اخرج عنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) نزولها في الخمسة محمد بن جرير الطبري في خمسة عشر رواية عن شهر بن حوشب عن ام سلمة و السيوطي في التفسير في عشرين رواية و الثعلبي عن أبي سعيد الخدري عنها و عن أبي هريرة و عبد اللّه بن وهب بن زمعة و عمر بن أبي سلمة عنها و مسلم بن الحجاج و البخاري و سائر الصحاح عنها و الثعلبي في‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 117

و لقد اجمع اصحاب الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و التابعون، و اتباعهم، و أئمة الحديث، و المفسرون في تواتر صارم لا قبل له و لا مثيل بين متواتر الحديث، أجمعوا على نزول آية التطهير في أهل بيت النبوة، و قد يربو روات حديث التطهير ألفا مما يجعله كآيته في التواتر الصارم! و من المروي عنهم فاطمة الزهراء (عليها السلام) «1» بنت الرسول‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

تفسيره بتسعة طرق و ابو نصر الحميدي و موفق ابن احمد صدر الائمة و ابو رزين في جامع الصحاح كل عن ام سلمة عنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و الامام احمد و الطبراني عنها و كذلك عن عائشة بعدة طرق، و عشرات و عشرات اخرى من الحفاظ و رجالات الحديث لحد يجعل نزولها في الخمسة أقوى من نزولها في الاربعة!

(1). و

قد روي عنها حديث الكساء المشهور، أخرجه عن جابر بن عبد اللّه الانصاري جماعة كالشيخ البحراني صاحب العوالم يقول رأيت بخط الشيخ الجليل السيد هاشم البحراني عن السيد ماجد البحراني عن الشيخ حسن بن زين الدين الشهيد عن المقدس الاردبيلي عن علي بن عبد العالي الكركي عن الشيخ علي بن هلال الجزائري عن الشيخ احمد بن فهد الحلي عن الشيخ علي بن الخازن الحائري عن الشيخ ضياء الدين علي بن الشهيد الاول عن أبيه عن فخر المحققين عن العلامة الحلي عن المحقق الحلي عن ابن نما الحلي عن محمد بن إدريس الحلي عن أبي حمزة الطوسي عن محمد بن شهر آشوب عن الطبرسي صاحب الاحتجاج عن الشيخ حسن بن محمد الطوسي عن أبيه شيخ الطائفة الطوسي عن الشيخ المفيد عن ابن قولويه القمي عن الكليني عن علي بن ابراهيم القمي عن ابراهيم بن هاشم عن احمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي عن قاسم بن يحيى الجلاء الكوفي عن أبي بصير عن ابان بن تغلب عن جابر بن يزيد الجعفي عن جابر بن عبد اللّه الانصاري انه قال: سمعت فاطمة الزهراء (عليه السلام) انها قالت: دخل علي أبي رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) في بعض الأيام فقال:

السلام عليك يا فاطمة! فقلت: و عليك السلام يا أبتاه فقال: اني لأجد في بدني ضعفا فقلت له: أعيذك باللّه يا أبتاه من الضعف فقال: يا فاطمة ايتيني بالكساء اليماني و غطيني به و صرت انظر اليه فإذا يتلألأ كأنه البدر في ليلة تمامه و كماله فما كانت الا ساعة و إذا بولدي الحسن (عليه السلام) قد اقبل فقال السلام عليك يا أماه فقلت و عليك السلام يا قرة عيني و ثمرة فؤادي فقال لي: يا أماه! اني أشم عندك رائحة طيبة

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 118

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

كأنها رائحة جدي رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فقلت نعم يا ولدي ان جدك تحت الكساء فاقبل الحسن (عليه السلام) نحو الكساء و قال: السلام عليك يا جداه يا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)! أ تأذن لي ان ادخل معك؟ فقال:

و عليك السلام يا ولدي و صاحب حوضي قد أذنت لك فدخل معه تحت الكساء فما كانت الا ساعة فإذا بولدي الحسين (عليه السلام) قد اقبل و قال: السلام عليك يا أماه! فقلت و عليك السلام يا قرة عيني و ثمرة فؤادي فقال لي: يا أماه! اني أشم عندك رائحة طيبة كأنها رائحة جدي رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فقلت:

نعم يا بني ان جدك و أخاك تحت الكساء فدنى الحسين (عليه السلام) نحو الكساء و قال: السلام عليك يا جداه السلام عليك يا من اختاره اللّه أ تأذن لي ان أكون معكما تحت هذا الكساء؟ فقال: و عليك السلام يا ولدي و يا شافع امتي قد أذنت لك فدخل معهما تحت الكساء فاقبل عند ذلك ابو الحسن علي بن أبي طالب (عليه السلام) و قال: السلام عليك يا فاطمة يا بنت رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فقلت و عليك السلام يا أبا الحسن و يا امير المؤمنين (عليه السلام) فقال: يا فاطمة اني أشم عندك رائحة طيبة كأنها رائحة اخي و ابن عمي رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فقلت نعم ها هو مع ولديك تحت الكساء فاقبل علي نحو الكساء و قال: السلام عليك يا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أ تأذن لي ان أكون معكم تحت الكساء قال له و عليك السلام يا اخي و خليفتي و صاحب لوائي في المحشر نعم قد أذنت لك فدخل علي تحت الكساء ثم أتيت نحو الكساء و قلت السلام عليك يا أبتاه يا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أ تأذن لي ان أكون معكم تحت الكساء قال لي و عليك السلام يا بنيتي و يا بضعتي قد أذنت لك فدخلت معهم فلما اكتملنا و اجتمعنا جميعا تحت الكساء فأخذ أبي رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بطرفي الكساء و أومى بيده اليمنى الى السماء و قال: اللهم ان هؤلاء اهل بيتي و خاصتي و هامتي لحمهم لحمي و دمهم دمي يؤلمني ما يؤلمهم و يحزنني ما يحزنهم انا حرب لمن حاربهم و سلم لمن سالمهم و عدو لمن عاداهم و محب لمن أحبهم و انهم مني و انا منهم فاجعل صلواتك و بركاتك و رحمتك و غفرانك و رضوانك علي و عليهم و اذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا فقال عز و جل:

يا ملائكتي و يا سكان سماواتي اني ما خلقت سماء مبنية و لا أرضا مدحية و لا قمرا منيرا و لا شمسا مضيئة و لا فلكا يدور و لا فلكا تسري و لا بحرا يجري الى لمحبة هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكساء فقال الأمين جبرئيل يا رب و من تحت الكساء؟ فقال اللّه عز

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 119

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

و جل: هم اهل بيت النبوة و معدن الرسالة و هم فاطمة و أبوها و بعلها و بنوها فقال جبرئيل يا رب أ تأذن لي ان اهبط الى الأرض لأكون معهم سادسا فقال اللّه عز و جل:

قد أذنت لك فهبط الأمين جبرئيل و قال لابي: السلام عليك يا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) العلي الأعلى يقرئك السلام و يخصك بالتحية و الإكرام و يقول لك:

و عزتي و جلالي اني ما خلقت سماء مبنية و لا أرضا مدحية و لا قمرا منيرا و لا شمسا مضيئة و لا فلكا يدور و لا بحرا يجري و لا فلكا تسرى إلا لأجلكم و محبتكم و قد اذن لي ان ادخل معكم فهل تأذن لي أنت يا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فقال أبي و عليك السلام يا أمين وحي اللّه نعم قد أذنت لك فدخل جبرئيل معنا تحت الكساء فقال جبرئيل لابي ان اللّه قد اوحى إليكم يقول: انما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس اهل البيت و يطهركم تطهيرا فقال علي (عليه السلام) يا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) اخبرني ما لجلوسنا هذا تحت هذا الكساء من الفضل عند اللّه فقال (صلى اللّه عليه و آله و سلم): و الذي بعثني بالحق نبيا و اصطفاني بالرسالة نجيا ما ذكر خبرنا هذا في محفل من محافل اهل الأرض و فيه جمع من شيعتنا و محبينا الا و نزلت عليهم الرحمة و حفت بهم الملائكة و استغفرت لهم الى ان يتفرقوا فقال علي (عليه السلام):

إذا و اللّه فزنا و فاز شيعتنا و رب الكعبة فقال أبي يا علي! و الذي بعثني بالحق نبيا و اصطفاني بالرسالة نجيا ما ذكر خبرنا هذا في محفل من محافل اهل الأرض و فيه جمع من شيعتنا و محبينا و فيهم مهموم الا و فرج اللّه همه و لا مغموم الا و كشف اللّه غمه و لا طالب حاجة الا و قضى اللّه حاجته فقال علي (عليه السلام): إذا و اللّه فزنا و سعدنا و كذلك شيعتنا فازوا و سعدوا في الدنيا و الآخرة برب الكعبة».

أقول: و رواه مثله الا في بعض المكررات الشيخ فخر الدين الطريحي في كتابه المنتخب الكبير و الديلمي في الغرر و الدرر و الحسين العلوي و الدمشقي الحنفي و الشيخ محمد جواد الرازي الكني في نور الافاق ص 4 و قد نظمه جماعة من نوابغ الأدب من أصحابنا و إخواننا منهم ابو المعز السيد محمد بن السيد مهدي القزويني و السيد هاشم بن المحسن اللعيبي الموسوي و السيد محسن الأمين الحسين العاملي الدمشقي صاحب اعيان الشيعة و الشيخ احمد الشافعي على ما في المشارق للعدوي و الشيخ يوسف النبهاني البيروتي و السيد محمد بن عبد المحسن المحيوي الخلوتي الدمشقي في ديوانه و تؤيد حديث الكساء الروايات التي تقول جاء رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) الى فاطمة كما

أخرجه‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 120

(صلى اللّه عليه و آله و سلم) و عائشة و ام سلمة و زينب من أزواجه، و كافة أئمة اهل البيت (عليهم السلام). «1»

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

ابن أبي شيبة و ابن جرير و ابن المنذر و الطبراني و ابن أبي حاتم و الحاكم و صححه و البيهقي في سننه عن واثلة بن الأسقع قال: جاء رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) الى فاطمة و معه علي و حسن و حسين حتى دخل ..

و

اخرج سبط ابن الجوزي عن واثلة قال: أتيت فاطمة (عليها السلام) اسألها عن علي فقالت: توجه الى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فجلست انتظره فإذا برسول اللّه قد اقبل و معه علي و الحسن و الحسين قد أخذ بيد كل واحد منهم‏

و قليل هذه الروايات التي تقول ان القصة كانت في بيت غير فاطمة، فانها بين مطلقة و ما تدل انها كانت في بيتها. و لفظة «خرج (صلى الله عليه و آله و سلم) في رواية عائشة في الأكثر دليل ان القصة ما كانت في بيت عائشة كما

رواه عنها ابن مسعود الشافعي مصابيح السنة و الزمخشري في الكشاف و ابن جرير في تفسيره و ابن حجر في الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف و الدشتكي الشيرازي في روضة الأحباب و مسلم في صحيحه و اخرج ابن أبي شيبة و احمد و ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبي حاتم و الطبراني و الحاكم و صححه و البيهقي في سننه عن واثلة بن الأسقع قال: جاء رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) الى فاطمة و معه علي و حسن و حسين حتى دخل ...

شو النيسابوري في المستدرك 2: 416 عن واثلة قال: جئت أريد علي ... و القندوزي في ينابيع المودة 229 عن واثلة قال: دخل النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) على بيت فاطمة ... أقول و الرواية عن واثلة في كلمة واحدة ان رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) جاء الى بيتها!

(1). و من أصح ما أسند الى عائشة ما

يروى عن مجمع‏ انه دخل مع امه عليها بعد مقتل الامام علي (عليه السلام) فسألتها عن علي (عليه السلام) فقالت: تسأليني عن أحب الناس الى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) لقد رأيت عليا و فاطمة و حسنا و حسينا و جمع رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بثوب عليهم ثم قال:

اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا» قلت: و انا من اهل بيتك؟

قال (صلى اللّه عليه و آله و سلم): تنحي أنت على مكانك انما أراد اللّه بهذه الآية انا و عليا و فاطمة و الحسن و الحسين (عليهم السلام) رواه الثعلبي في تفسيره بإسناد متصل الى مجمع الحارثي و البخاري و مسلم من مسند عائشة و ابن أبي شيبة و احمد

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 121

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

و احمد و ابن جرير و ابن أبي حاتم و الحاكم عنها

، و بتفاوت يسير عن الجمع بين الصحاح الستة عن موطأ ما لك بن الانس و صحيحي مسلم و البخاري و سنن أبي داود عن جمع الشيخ ابو الحسن رزين بن معاوية العبد يري عن صحيح أبي داود عنها الا في «انا» و مقدمة القصة و أخرجه مثله ابو زكريا ابن أبي إسحاق بسند له عن جميع اليتمي و ابو عبد اللّه الدينوري عن مجمع و عبد اللّه بن فراش الشيباني عن العوام كما في امالي ابن بابويه (ملحقات الاحقاق 14: 74- 75). و في 9: 10 البيهقي في المحاسن و المساوي 297 قال قيل و سئلت عائشة عن امير المؤمنين (عليه السلام) فقالت و ما عسيت ان أقول فيه و هو أحب الناس الى رسول اللّه فساقت حديث التطهير الى و قيل لها كيف سرت اليه؟ قالت: انا نادمة و كان ذلك قدرا مقدورا و ممن اخرج ما في معناه عن عائشة العلامة باكثير الحضرمي في وسيلة المآل ص 73 نسخة الظاهرية بدمشق و العلامة الشيخ عبد العزيز بن يحي في الدر المنثور في تفسير الأسماء الحسنى بالمأثور (ص 126 ص ط الميمنية بمصر) و العلامة محمد رضا المصري و العلامة علي بن سلطان محمد القاري و الثعلبي و البخاري و مسلم من مسند عائشة و ابن أبي شيبة و احمد و ابن أبي حاتم و الحاكم و الجمع بين الصحاح الستة عن موطإ مالك و صحيحى مسلم و البخاري و سنن أبي داود عن جمع الشيخ ابو الحسن رزين معاوية عن صحيح أبي داود و العلامة جمال الدين الزرندي الحنفي في (نظم درر السمطين 123) و العلامة الشيخ ابراهيم الحمويني في فرائد السمطين المخطوط و العلامة السيد علوي بن طاهر الحداد الحضرمي في القول الفصل ج 2 ص 215 ط جاوا و الحافظ البيهقي في السنن الكبرى ج 2 ص 149 و الطبري في جامع البيان 22: 6 و ابو عبد اللّه محمد بن أبي نصر الحميدي في الجمع بين الصحيحين المخطوط و العلامة البغوي في تفسيره معالم التنزيل 5: 213 و العلامة محب الدين الطبري في ذخائر العقبى ص 24 و العلامة ابن كثير الدمشقي في البداية و النهاية 8: 34 و الشيخ عبد القادر بن احمد بدران الدمشقي في تهذيب تاريخ ابن عساكر و العلامة الشيخ علاء الدين البغدادي الشهير بالخازن في تفسيره (5: 213) و العلامة ابو العباس احمد بن عبد الحليم بن تيمية الحنبلي في منهاج السنة 3: 4 و 4: 20 و العلامة الشيخ خضر بن عبد الرحمن في التبيان ص 125 مخطوط و العلامة الشيخ سعيد بن محمد بن مسعود الشافعي في المنتفى في سيرة المصطفى ص 188 المخطوط و الخطيب التبريزي العمري في مشكوة المصابيح ص 568 ط الدهلي و العلامة الذهبي في المنتفي من منهاج الاعتدال ص‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 122

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

168 و 304 و العلامة القاضي المير حسين الميبدى اليزدي في شرح ديوان امير المؤمنين ص 185 مخطوط و العلامة احمد بن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة ص 227 و العلامة الشيخ عبد النبي بن أحمد القدوس الحنفي في سنن الهدى 563 مخطوط و العلامة علي بن عبد العال الكركي في نفحات اللاهوت ص 53 و العلامة عبد الغني بن إسماعيل النابلسي في ذخائر المواريث ج 4 ص 277 و العلامة الشيخ عبد اللّه الشافعي في المناقب 15 مخطوط و العلامة البدخشي في مفتاح النجا 14 مخطوط و العلامة الشيخ سليمان البلخي الحنفي في ينابيع المودة 107 و العلامة السيد محمد صديق حسنخان ملك بهوبال في فتح البيان 7: 277 و العلامة الشيخ عبد اللّه الشيباني في تيسير الوصول 160 و العلامة الشيخ يوسف النبهاني في الشرف المؤبد و العلامة الحضرمي في القول الفصل 2: 210 و العلامة السيد ابو بكر العلوي الحضرمي الشافعي في رشفة الصادي 15 و العلامة السيد محمد بن يوسف التونسي في السيف اليماني و العلامة الشيخ عبيد اللّه الحنفي الأمر تسرى في أرجح المطالب 52 و العلامة السيد احمد بن سودة الحسني الادريسي في رفع اللبس و الشبهات 65 و العلامة الشيخ منصور بن علي ناصف المصري في التاج الجامع للأصول 3: 308 و العلامة الملا علي بن سلطان الهروي الحنفي في جمع الوسائل في شرح الشمائل 1: 147 (3) و مما

روي عن ام سلمة ما أخرجه محمد بن جرير الطبري عن حكيم بن سعد قال‏ ذكرنا علي بن أبي طالب كرم اللّه وجهه عند ام سلمة فقالت: في بيتي نزلت‏ «إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ ..» جاء رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) الى بيتي فقال: لا تاذني لأحد فجاءت فاطمة فلم أستطع أن احجبها عن أبيها ثم جاء الحسن فلم أستطع ان احجبه عن أبيها ثم جاء الحسن فلم أستطع ان احجبه عن جده ثم جاء الحسين فلم أستطع ان احجبه عن جده ثم جاء علي فلم أستطع ان احجبه فاجتمعوا فجللهم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بكساء، كان عليه ثم قال: اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا فنزلت هذه الآية اجتمعوا على البساط فقلت يا رسول اللّه و انا فواللّه ما أنعم و قال: انك الى خير و اخرج ابن المغازلي و كثير مثله عنها انها قالت نزلت هذه الآية في رسول اللّه و علي و فاطمة و الحسن و الحسين (عليه السلام)

و ممن اخرج حديث التطهير عنها الحافظ ابو بشر الدولابي في كتاب الكنى 2: 421 و الحافظ الحسين بن الحكم الجري في تنزيل الآيات 20 نسخة فوتوغرافية جامعة طهران و العلامة الحضرمي في وسيلة المآل 73 نسخة الظاهرية بدمشق و العلامة ابن المغازلي الشافعي في‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 123

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

المناقب 110 نسخة مكتبة صنعا يمن و العلامة الشيخ محمد رضى المصري المالكي في الحسن و الحسين 7 و الحافظ ابو عيسى الترمذي في صحيحه 13: 241 و احمد بن حنبل في مسنده 6: 298 و الطبري في تفسيره 23: 7.

و البخاري في التاريخ الكبير 1: 70 و احمد بن علي بن ثابت الشافعي في تاريخ بغداد 9: 126 و عبد اللّه بن محمد بن حيان الاصبهاني في أخلاق النبي 116 ابو إسحاق الثعلبي في الكشف و البيان المخطوط و العلامة النبهاني في الأنوار المحمدية 434 و الواحدي النيسابوري في اسباب النزول 267 و ابو نعيم في اخبار اصبهان 1: 108 و البغوي في معالم التنزيل 213 و علي بن ثابت الشافعي في موضح أوهام الجمع و التفريق 3: 281 و ابن الأثير في اسد الغابة 4: 29 و محب الدين الطبري في الرياض النضرة 2: 188 و الذهبي في تاريخ الإسلام 6 و علي بن الحسين بن عساكر في تاريخ دمشق و النابلسي في ذخائر المواريث 4: 293 و الزرندي في نظم درر السمطين 238 و البيهقي في السنن الكبرى 2: 150 و القاضي يوسف بن موسى في المعتصر من المختصر 2: 266 و جلال الدين السيوطي في مفحمات الإقران في مبهمات القرآن 32 و الشيخ ابو الحسن الكازروني في شرف النبي على ما في مناقب الكاشي المخطوط 224 و القسطلاني في المواهب اللدنية 7: 4 و العسقلاني في الاصابة 4: 336 و الذهبي في سير أعلام النبلاء 3: 190 و ابن حمزة الحسيني في البيان و التعريف 149 و الشيخ حسن الحمزاوي في مشارق الأنوار 113 و القرماني في اخبار الدول 120 و علي بن عبد العال الكركي في نفحات اللاهوت 53 و الازدي في التبيان 125 و السيد احمد زيني دحلان في السيرة النبوية 3: 329 و الملا علي القاري في الأربعين حديثا 61 و ابن الديبع في تيسير الوصول 160 و ابن حمزة الحسيني في البيان و التعريف 1: 150 و البدخشي في مفتاح النجا 14 و الحضرمي في رشقة الصادي 14 و الكاشفي في المواهب العلية و الذهبي في المنتقى من منهاج الاعتدال 168 و ابن محمد كرام القناني المالكي في الجواهر الحسان 294 و القندوزي في ينابيع المودة 106 و الشيخ عبد الهادي الابياري المصري في جالية الكدر 196 و الحضرمي في القول الفصل 2: 165 و الشيخ عبيد اللّه الحنفي الأمر تسري في أرجح المطالب 52 و ابن الالوسي في جلاء العينين 39 و الشيخ حسن النجار في الاشراف 10 و ابن كثير الدمشقي في البداية و النهاية 7: 338» (4) و مما

روي عن زينب بسند عن عبد اللّه بن جعفر الطيار عن أبيه قال: لما نظر

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 124

و علي امير المؤمنين عليه السلام‏ «1»

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) الى جبرئيل هابطا من السماء قال: من يدعو لي؟ فقالت زينب: انا يا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)! فقال:

ادعي لي عليا و فاطمة و حسنا و حسينا فجعل حسنا عن يمينه و حسينا عن يساره و عليا و فاطمة تجاههم ثم غشاهم بكساء، خيبري و قال (صلى اللّه عليه و آله و سلم) اللهم ان لكل نبي أهلا و ان هؤلاء اهلي فانزل اللّه الآية فقالت زينب: الا ادخل معكم؟ قال (صلى اللّه عليه و آله و سلم) مكانك فإنك على خير إنشاء اللّه‏

اقول: أخرجه عنها جماعة مما يجلب النظر تسابق نساء النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) في اختصاص هذه الفضيلة ببيتها حتى عائشة المعادية لعلي (عليه السلام) مما يدل على مدى القاطعية الصارمة في واقع هذه القضية!

(1). يروى عند حديثان أحدهما

«كان النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ياتي كل يوم باب فاطمة عند صلاة الفجر فيقول: الصلاة يا اهل بيت النبوة «إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ ..

» تسعة أشهر بعد ما نزلت‏ «وَ أْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَ اصْطَبِرْ عَلَيْها» .. رواه عنه ثلاثمائة من الصحابة و ممن أخرجه عنه العلامة القندوري في ينابيع المودة 174 و العلامة السيد احمد بن عبد الحميد العباس في عمدة الاخبار 78 و العلامة السهمودي في خلاصة الوفاء 213 و الكاشفي في المواهب العلية و المراغي في تحقيق النضرة 75 و السهمودي في وفاء الوفاء تاريخ المدينة المنورة 1: 331 و ثانيها مختلف احتجاجاته (عليه السلام) يوم الشورى على أبي بكر و منها:

فانشدك باللّه أ لي و لاهلي و ولدي آية التطهير من الرجس ام لك و لأهل بيتك؟ قال: بل و لك و لأهل بيتك‏ (عن الخصال)

و منها احتجاجه على الناس يوم الشورى ح 90 و احتجاجه ايام خلافة عثمان في جمع من المهاجرين و الأنصار:

ايها الناس أ تعلمون ان اللّه عز و جل انزل في كتابه‏ «إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ ..» فجمعني و فاطمة و ابني حسنا و حسينا و القى علينا كسائه و قال: اللهم هؤلاء اهل بيتي و لحمتي يولمني ما يولمهم و يحرجني ما يحرجهم فاذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا فقالت ام سلمة و انا يا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)! فقال: أنت- او- انك على خير انما أنزلت فيّ و في اخي و ابنتي و ابني و في تسعة من ولد ابني الحسين خاصة ليس معنا فيها احد فقالوا كلهم: نشهد ان ام سلمة حدثنا بذلك فسألنا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فحدثنا كما حدثتنا ام سلمة

(كمال الدين و تمام النعمة

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 125

و ابن عباس‏ «1» و أبي سعيد

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

باسناده الى سليم بن قيس الهلالي عنه (عليه السلام) و في العلل باسناده الى ابن أبي عمير عمن ذكره عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) قال: لما منع ابو بكر فاطمة فدكا و اخرج وكيلها جاء امير المؤمنين (عليه السلام) الى المسجد و ابو بكر جالس و حوله المهاجرون و الأنصار فقال يا أبا بكر لم منعت فاطمة ما جعله رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) لها و وكيلها فيه منذ سنين- الى قوله- فقال (عليه السلام) لابي بكر تقرء؟؟

القرآن؟ قال: بلى قال: فاخبرني عن قول اللّه عز و جل‏ «إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ ..» فينا او في غيرنا نزلت؟ قال: فيكم قال: فاخبرني لو ان شهودا شهدوا على فاطمة بفاحشة ما كنت صانعا؟ قال: كنت أقيم عليها الحد كما أقيم على نساء المؤمنين، قال (عليه السلام): كنت إذا عند اللّه من الكافرين! قال: و لم؟ قال: لأنك كنت ترد شهادة اللّه و تقبل شهادة غيره لان اللّه عز و جل قد شهد لها بالطهارة فإذا رددت شهادة اللّه و قبلت شهادة غيره كنت من الكافرين قال: فبكى الناس و تفرقوا و دمدموا» (نور الثقلين 4: 271 ح 93).

(1). و قد روى عنه حديث التطهير جماعة من أعلام القوم و منهم الحافظ الحسين بن الحكم الجري في تنزيل الآيات 24 ان الآية نزلت الى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و علي و فاطمة و الحسن و الحسين، و

في ملحقات الاحقاق 14: 68 بسند عن ابن عباس قال قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ان اللّه تبارك و تعالى قسم الخلق قسمين فجعلني في خيرهم قسما فذالك قوله‏ «وَ أَصْحابُ الْيَمِينِ ما أَصْحابُ الْيَمِينِ» فانا من اصحاب اليمين و انا خير اصحاب اليمين ثم جعل القسمين أثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا فذلك قوله‏ «فَأَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ ما أَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ وَ أَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ ما أَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ» فانا من السابقين و انا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة فذلك قوله‏ «وَ جَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا» فانا اتقى ولد آدم و أكرمهم على اللّه و لا فخر ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا فذلك قوله‏ «إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»

و أخرجه ابو عبد الرحمن السلمي بسند عن عطية و ابو حفص عمر بن احمد العابد عن أبي سعيد. و العلامة إسماعيل بن عبد اللّه النقشبندي في مناقب العشرة 194 و العلامة الأمر تسري في أرجح المطالب 54 و السيوطي في الدر المنثور و ابن مردويه‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 126

الخدري‏ «1» و انس‏ «2» و عطاء «3» و أبي الحمراء «4» او واثلة بن الأسقع‏ «5»

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). و ممن روى عنه القاري في مرقاة المفاتيح 11: 371 و الجري في تنزيل الآيات 23 مخطوط و الحضرمي في وسيلة المآل 76 و الشيخ محمد رضا المصري المالكي في (الحسن و الحسين سبطا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)) و ابن المغازلي الشافعي في المناقب مخطوط و محمد بن جرير الطبري و مما

رواه عنه قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) نزلت هذه الآية في خمسة فيّ و في علي و حسن و حسين و فاطمة «إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ ...»

كما أخرجه ابو إسحاق الثعلبي في الكشف و البيان مخطوط و عبد اللّه الشافعي في مناقبه 12 مخطوط و الطبراني في المعجم الكبير 134 و نور الدين علي بن أبي بكر في مجمع الزوائد 9: 167 و الزرندي في نظم در السمطين 238 و ابن حجر لهيثمي في الصواعق 227 و ابن عساكر في تاريخه 4: 204 و ابن حسنويه الحنفي في درر بحر المناقب 5 مخطوط البدخشي في مفتاح النبي 13 و الواحدي في اسباب النزول 266 و القندوزي في ينابيع المودة 108

(2) و ممن أخرجه عنه الترمذي في جامعه 4: 144 و الهندي في كنز العمال ج 16 و القاري في مرقاة المفاتيح 11: 371 و المصري المالكي، و احمد بن حنبل في مسنده 3: 259 و الطبراني في المعجم الكبير 134 و ابن جرير الطبري في التفسير 22: 6 و ابن اثير في اسد الغابة (5: 521) و الذهبي في تاريخ الإسلام 9: 97 و ابن شاهين في فضائل سيدة النساء و الصفوري في المحاسن المجتمعة 189 و الهندي في المنتخب 5: 96 و ابن كثير في التفسير و السمعاني في الرسالة القوامية و السيد محمد صديق في فتح البيان 7: 277 و النابلسي في ذخائر الموارث 1: 38 و المالكي في مشارق الأنوار 113 و النجار في الاشراف 9 و ابن البديع في تيسير الوصول 160 و البدخشي في مفتاح النجا و البلخي في الينابيع 193 و العظيم‏آبادي الهندي في تجهيز الجيش مخطوط و النبهاني في الشرق المؤبد 706 و الأمر تسري في أرجح المطالب و مما

روى عنه‏ ان النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كان يمر ببيت فاطمة ستة أشهر كلما خرج الى الصلاة فيقول: الصلاة اهل البيت‏ «إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ ...».

(3) و ممن رواه عنه ابن المغازلي في المناقب و الحسكاني في شواهد التنزيل و ابن الأثير في اسد الغابة 3: 413 و العسقلاني في الاصابة 2: 479.

(4) و ممن اخرج عند ابن الحكم الجري في تنزيل الآيات 24 مخطوط و الحضرمي في وسيلة المآل.

(5) و ممن أخرجه عنه‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 127

و سعد «1» و جعفر بن أبي طالب (عليه السلام) «2» و أبي برزة «3» و صبيح‏ «4» و أبي سلمة «5» و جماعة آخرون من الصحابة «6» كلهم رووا انها نزلت في‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

الحضرمي و ابن المغازلي و محمد القاري و ابن موسى في المعتصر من المختصر و الثعلبي في الكشف و البيان مخطوط و البيهقي في السنن الكبرى 2: 152 و الطبري في ذخائر العقبي 24 و ابن كثير في التفسير و القسطلاني في المواهب 7: 3 و ابن بكر في مجمع الزوائد 9: 167 و الكركي في نفحات اللاهوت 52 و الذهبي في سير أعلام النبلاء 3: 312 و القندوزي في الينابيع 229 و الحمزاوي في مشارق الأنوار 113 و الساعاتي في بدايع المنن 2: 495 و الهاشمي في أئمة الهدى 145، و

من حديثه بإخراج المغازلي 111 مخطوط و المناقب عن أبي عمار قال‏ دخلت على واثلة بن الأسقع و عنده قوم يذكرون عليا فقال لي واثلة: الا أخبرك لما رأيت عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)؟ قلت: بلى- قال: أتيت فاطمة (عليها السلام) فسألتها عن علي (عليه السلام) فقالت: توجه الى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فجلت انتظره في رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و علي (عليه السلام) معه فدخل معهم البيت فأدنى عليا و فاطمة فاجلس واحدا عن يمينه و الآخر عن يساره و دعا الحسن و الحسين فاجلس كل واحد منهما على فخذه ثم قال: «إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ ..» اللهم هؤلاء اهل بيتي و اهل بيتي أحق.

(1). و ممن أخرجه عنه تسعة و سبعون من هؤلاء الحفاظ و المحدثين و المفسرين و سواهم‏

(2) و ممن أخرجه عند الحضرمي في القول الفصل 185 و الثعلبي في الكشف و البيان‏

(3) و

ممن أخرجه عنه علي بن أبي بكر في مجمع الزوائد في حديثه: صليت مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) سبعة عشر شهرا فإذا أخرج من باب بيته أتى باب فاطمة فقال: الصلاة عليكم‏ «إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ ...» رواه الطبراني.

(4) و ممن أخرجه عنه العسقلاني في الاصابة 2: 169 و الثعلبي في الكشف و البيان مخطوط و ابن الأثير في اسد الغابة 3: 11 في ترجمة صبيح بسنده الى ابراهيم بن عبد الرحمن بن صبيح مولا ام سلمة عن جده صبيح قال: كنت بباب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و ساق حديث التطهير

(5) و ممن أخرجه عنه الترمذي في جامعه و الحضرمي في وسيلته و السهلاوي في وسيلة النجاة 204.

(6) و منهم سعد بن أبي وقاص و سهل بن سعد و ابو هريرة و بريده الاسلمي و ابو سعيد

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 128

الخمسة او الاربعة، و في أكثرها انه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) جمعهم و إياه تحت الكساء بعد نزولها- و في بعضها قبل نزولها- و دعا لهم بما دعا.

و الرواة عنهم يبلغون المآت في كتب الحديث و التفسير و سائر المصنفات‏ «1» و قد يربو قاطع التواتر في حديث الطهارة حول آية التطهير كل‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

الخدري و عبد اللّه بن عمر و عمران بن الحصين و سلمة بن الأكوع كلهم بمعنى واحد عن النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) اخرج عنهم ابن عبد البرفي الاستيعاب 2: 460 و الحضرمي في القول الفصل 1: 48 و بهجت افندي في تاريخ آل محمد 42 و الترمذي في صحيحه و الذهبي في سير أعلام النبلاء 3: 190 و القندوزي في الينابيع 15 و الثعلبي في الكشف و البيان مخطوط و الجنابذي الحنفي في معالم تنزيل النبوة مخطوط

(1). و من مصنفات إخواننا السنة التي تحوي حديث الكساء و التطهير مائة كتاب كمسند أبي داود بسنده عن انس 2- و مسند ابن حنبل بأسانيد عن صحابيين و صحابيات- 3- و صحيح الترمذي- 4- و خصائص النسائي- 5- و تفسير الطبري عن خمسة عشر طريقا الى أبي سعيد و عائشة و أبي الديلم و ام سلمة و عمر و بن أبي سلمة و انس و أبي الحمراء و وائلة و يونس بن أبي إسحاق و أبي عمار- 6- و مسند الرازي- 7- و معجم الطبراني- 8- و احكام القرآن للجصاص- 9- و مستدرك الحاكم- 10- و الامالي للهاروني- 11- و تاريخ جرجان السهمي- 12- و السنن الكبرى للبيهقي- 13- و تاريخ بغداد- 14- و الاستيعاب للأندلسي- 15- و اسباب النزول للواحدي- 16- و الفردوسي للديلمي- 17- و مصابي السنة للبغوي- 18- و الكشاف للزمخشري- 19- و احكام القرآن للإشبيلي- 20- و الشقا للقاضي عياض- 21- و المناقب لموفق بن احمد- 22- و تاريخ دمشق لابن عساكر- 23- و التفسير الكبير للرازي- 24- و جامع الأصول لابن الأثير- 25- و كتب متعددة لابن بطريق- 26- و اسد الغابة لابن الأثير- 27- و التذكرة لابن الجوزي- 28- و كفاية الطالب للكنجي- 29- و مطالب السئول لابن طلحة- 30- و احكام القرآن للقرطبي- 31- و شرح المهذب للنووي- 32- و أنوار التنزيل للقاضي البيضاوي- 33- و ذخائر العقبى لمحب الدين الطبري- 34- و المدارك للنسفي- 35- و مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي- 36- و تفسير ابن كثير القرشي- 37- و مجمع الزوائد للهيثمي- 38- و الفصول المهمة لابن صباغ- 39- و الاصابة لابن حجر العسقلاني- 40- و الكافي الشاف له- 41- و فتح الباري له- 42- و تلخيص‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 129

تواتر في أي حديث مهما اختلف النقل في نزولها في: أيّ من بيوت:

فاطمة بنت النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم)؟ او ام سلمة؟ او

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

المستدرك للذهبي- 43- و الحدائق الوردية لليماني- 44- و تفسير النيسابوري- 45- و روضة الأحباب للدشتكى الشيرازي- 46- و الدر المنثور للسيوطي- 47 و الخصائص له- 48- و الإتقان له- 49- و الإكليل له- 50- و الابطال لابن روزبهان- 51- و حبيب السير لخواند مير- 52- و الصواعق المحرقة لابن حجر- 53- و مناقب مرتضوي للترمذي الكشفي- 54- و منتخب كنز العمال لعلي المتقي 55- و السراج المنير لسراج الدين الخطيب- 56- و المناقب لابن النقيب- 57- و السعدية للغيثي- 58- و بخر المناقب للبلخي- 59- و شرح الفقه الكبير لعلي القاري- 60- و شرح الجامع الصغير للمناوي- 61- و أرجح المطالب لشمس الدين- 62 و الكافية لشرف الدين- 63- و السيرة الحلبية لبرهان الدين الحلبي- 64- و مدارج النبوة للدهلوي- 65- و المناقب للزرقاني- 66- و الالتحاف لحب الأشراف للشراف للشبراوي- 67- و اسعاف الراغبين لمحمد الصبان- 68- و الروض النضير للحيمي اليماني- 69- و فتح الغدير للشوكاني- 70- و روح المعاني للالوسي- 71- و نور الأبصار للشبلنجي- 72- و تشريف البشر للسيد صديق- 72- و مشارق الأنوار لحسن العدوى- 74- و كتاب الشرف المؤيد لآل محمد للنبهاني- 75- و رشفة الصادي للحضرمي العلوي- 76- و أئمة الهدى للسيد عبد الغفار الأفغاني- 77- و السيف المسلول للتونسي الكافي- 78- و القول الفصل للحضرمي الجاوي و يذكر ثمانية عشر رجلا من أعاظم ارباب الكتب و نقل صحيح الحديث عن ستة عشر رجلا من فطاحل المحدثين وعد خمسة عشر صحابيا ممن ينتهي اليه الحديث- 79- و الوسيط للواحدي- 80- و الجمع بين الصحيحين للحمدي- 81- ابو نعيم الاصبهاني في كتابه- 82- الجمع بين الصحاح الستة للعبدري- 83- و تلخيص المستدرك للذهبي- 88- و مصابيح السنة للغوي- 89- و تهذيب الأسماء و اللغات للنووي- 90- و الرياض النضرة لمحب الدين الطبري- 91- و تاريخ الإسلام لشمس الدين الذهبي- 92- و عقد الفريد للأندلسي- 93- و المقتل للخوارزمي- 94- و السيرة المحمدية للكازروني- 95- و شكل الآثار للطحاوي- 96- و شرف النبي- 97- و حسن الاسوة للصديق حسن خان- 98- و كتاب المرزباني- 99- و المستدرك للحاكم- 100- و كفاية الطالب للكنجي و كتب اخرى.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 130

عائشة؟ او زينب؟ مما يدل على شرف الموقف لحد تتسابق في انتسابه نساء النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) او ان ذلك تكرر في هذه البيوت! و لان لفظ عائشة «خرج غداة غد ..» فعلّها تعني الى بيت فاطمة، كذلك و أم سلمة، اللهم إلّا في البعض من حديثيهما! و في كتاب إدريس النبي (عليه السلام) تأييد أكيد لشرف بيت الرسالة المحمدية كما تعنيه آية التطهير و حديث الكساء و التطهير، كما في الأصل السرياني «پارقليطا إيليا طيطه شبّر شبّير: محمد- علي- فاطمة- حسن- حسين- «هليلوه لت شوق منّى محمّد انّوي دأله»: هللوني فانه لا اله الا انا و محمد رسولي «إني لهويوه انا لبرين وارخ الشّماي و لا ال ارعا و لا البردس و لا الكيهن و لا الشمش و لا السّعر»: لولاهم لما خلقتك «يا آدم» و لا السماء و لا الأرض و لا الجنة و لا النار و لا الشمس و لا القمر «1»! و من بالغ اهتمام الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بشأن أهل بيته المطهرين (عليهم السلام) انه كان يتلوا آية التطهير عند صلاة الفجر او عند كل صلاة على بيت علي و فاطمة حسب مختلف الإحصاء من شهر «2» الى أربعين يوما «3» الى ستة أشهر «4»

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). راجع كتابنا رسول الإسلام في الكتب السماوية ص 131.

(2)

أخرجه ابو داود الطيالسي في المسند 8: 274 قال: حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن انس عن النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) انه كان يمر على باب فاطمة شهرا قبل صلاة الصبح و يقول: الصلاة يا اهل البيت‏ «إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ ..» و أخرجه ابن حنبل عن عائشة.

(3) أخرجه ابن مردويه و موفق بن احمد و جماعة آخرون عن أبي سعيد الخدري و سالم بن أبي حفصة عن أبي الحمراء

(4) أخرجه الطبراني و ابو داود و مالك بن انس و الترمذي عن أبي الحمراء، و معقل بن يسار و ام سلمة، الحمراء الحسكاني في انس 2: 11- 91 و رواه جماعة عن عفان‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 131

الى سبعة «1» او ثمانية «2» أو تسعة «3» او عشرة «4» او سنة «5» او سبعة عشر شهرا «6» او منذ نزولها حتى ارتحاله الى جوار رحمة ربه‏ «7» تدليلا على اختصاصها باضرابهما من اهل بيت الرسالة، و لكيلا ينساهم المسلمون او يتناسوهم، استمرارا في‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

و رواه عنه عبد الحميد في تفسيره و تابعه جماعة عن حماد منهم ابراهيم السامي، و رواه ايضا الأسود بن عامر- شاذان و حجاج بن منهال و عبيد اللّه محمد العبس عن حجاج و عن البغوي و رواه موسى بن إسماعيل التبوذكي.

(1). أخرجه محمد رضى المالكي عن أبي الحمراء.

(2) أخرجه ابن جرير و ابن مردويه عن أبي الحمراء و عن أبي سعيد الخدري و رواه الحاكم عن ابن شاهين عن الأشعث و عن السبعي في تفسيره‏

(3) أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس (الدر المنثور 5: 199) و الثعلبي عن أبي الحمراء و موفق بن احمد عن أبي سعيد الخدري‏

(4) أخرجه محمد بن عمران المرزباني بسنده الى أبي الحمراء فقال: قدمت رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) نحوا من تسعة أشهر او عشرة فرأيته ... و في ينابيع المودة 260 و يروى هذا الخبر بأسانيده عن الثلاثمائة من أصحابه منهم من قال: ثمانية أشهر و منهم من قال عشرة أشهر أقول هذا الخبر يشير الى خبر مروره على بيت فاطمة (عليها السلام)

(5) أخرجه جماعة.

(6) في ملحقات احقاق الحق 14: 80 أخرجه الطبري بسند عن أبي الحمراء و الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر عن أبي برزة.

(7)

أخرجه ابن أبي شيبة و احمد و الترمذي و حسنه و ابن جرير و ابن المنذر و الطبراني و الحاكم و صححه و ابن مردويه عن انس‏ ان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كان يمر بباب فاطمة إذا خرج الى صلاة الفجر و يقول: الصلاة يا اهل البيت‏ «إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ ..»

أقول: ظاهر (كان) استمرارية مقالته (صلى اللّه عليه و آله و سلم) تلك منذ نزول الاية حتى ارتحاله و عن داود السبيعي عن أبي الحمراء مثله و رواه جماعة عن أبي عاصم النبيل و أخرجه عنه عبد بن حميد في تفسيره و يعقوب بن سفيان و يونس بن أبي إسحاق السبيعي.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 132

احترامهم دون اخترام، و لكنهم اضطهدوا ما لا يخلد بخلد ويكأنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أوصى باضطهادهم و أكّد! و لقد نرى الإحتجاج بآية التطهير للإمام علي (عليه السلام) و سائر اهل البيت عليهم السلام) في مختلف الحقول، كضرورة لا مرد لها فيتسلمها المحجوجون كلهم بكل قبول دونما ريبه و نكول! و لولا هذه الأحاديث لم تكن الآية لتشمل غير أهلها لمكان «إنما» الحاصرة لتلك الطهارة باهل البيت (عليهم السلام) و «يُرِيدُ اللَّهُ» تعني ارادة لدنية مستمرة مدى حياة العصمة القمة لهم مهما اختلفت درجاتها قبل النبوة و الإمامة و بعدها، و اختلفت طولهما حيث التكامل لا يستثنيهم! أ ترى أنها ارادة تشريعية في النفي و الإثبات «ليذهب و يطهر»؟ و هي تعم المكلفين أجمعين! ام تكوينية؟ فكذلك الأمر حيث التوفيق لمن سلك سبيل الهدى و ترك الردى موعود لهم من اللّه! «وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدىً» ام تخص تكوين العصمة القمة في بعدي السلب و الإيجاب؟ و ليس محطّ الارادة هذه يمتاز على من سواه، حيث الارادة من اللّه، فالعصمة-.

إذا- هي فقط من فعل اللّه! إنه ارادة العصمة تكوينية بين الأمرين، عصمة بشرية كأفضل ما يستطاع، و ليست بالتي تعصم صاحبها عصمة مطلقة، حيث الطاقة البشرية ليست مطلقة، بل هي مقدّرة بقدرها و قدراتها، ثم عصمة إلهية تكفيّها فتجعلها مطلقة في الدرجة التي يعنيها دونما فوضى، و انما بحساب و مقدار، و كل شي‏ء عنده بمقدار.

إن الرسالة الختميه تتطلب خاتمة العصمة القمة، محاولة بشرية كأفضل ما تكون و أعضله تتوسط إرادة الهية من قبل و من بعد، فمن قبل قدر اهل بيت العصمة المحمدية في أصلاب شامخة و أرحام مطهرة، لم‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 133

تنجسهم الجاهلية بأنجاسها و لم تلبسهم من مدلهمات ثيابها، تقديرا لظرف لائق فائق تتمكن فيه كافة المجالات لأفضل المحاولات البشرية لإعداد العصمة القمة.

ثم حاولوا كأفضل ما يمكن و أعضله تطهيرا لأنفسهم الزاكية لمدى اللياقة و اللباقة لارادة العصمة العليا، فعصمهم اللّه تعالى بما قدر و حاولوا، بما أرادوا رادوا! ف- «إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ» تشمل مثلث أحوالهم بما في أوسطه من محاولة بشرية بتوفيق اللّه، ارادة دائبة منذ فطموا، حتى ارتحالهم الى جوار رحمته تعالى، مهما اختلفت درجاتها بظروفها.

تلك الإرادة القاطعة الإلهية لزامهم منذ كانوا، تعصمهم عن كل رجس و تطهرهم تطهيرا، فما هو الرجس و ما هي الطهارة؟

الرجس لغويا هو كل قذر مادي او معنوي، ما يستقذره الإنسان ماديا أيا كان، او معنويا أيا كان، فهو أعم من النجس إذ يخص القذر المادي، كما و يوصف به الرجس «أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم».

و لان الاقذار الجسمانية هي لزام كل انسان مهما يومر بالتجنب عنها من أحداث و أخباث، فإذهابها يخص جماعة خصوصا فلا تعنيها الإرادة الإلهية الخاصة باهل بيت الرسالة المحمدية، كما و أن الرجس في القرآن لا يعني القذارة المادية في سائر آياته، و انما مرض القلب: وَ أَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَ ماتُوا وَ هُمْ كافِرُونَ (9: 125) و عمل الشيطان: إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ وَ الْأَنْصابُ وَ الْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ ... (5: 90) و اتباع الشيطان: فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ جَزاءً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ (9: 95) و معبوداتهم: فَاجْتَنِبُوا

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 134

الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثانِ (22: 30) و ختم القلب على الذين لا يعقلون:

وَ ما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَ يَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ‏ (10: 100) و كذلك كل اكلة تحوّل الإنسان الى حيوان ك- لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ (6: 145) و قبله الميتة و الدم المسفوح لم يشملهما الرجس مع انهما من النجس، و كالعذاب على الرجس فانه رجس على رجس: قالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَ غَضَبٌ (7: 71) كَذلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ (6: 125)! هذه جماع الآيات التي تضم الرجس كلها تعني الرجاسة المعنوية، و هي هي التي ترجس الإنسان و تخرجه عن العقلية و الايمان و رحمة الرحمان! و لان مرض القلب و عمل الشيطان و اتّباعه دركات يشملها الرجس، فذهابه ايضا درجات يشملها اذهاب الرجس، و الجنس المحلى باللام يستأصل نفسه في نفيه.

إذا فجنس الرجس أيا كان بعيد عنهم و عن ساحتهم من رجس الفطرة و العقلية و الفكرة و الصدر و القلب و النية و العمل «و كل انسان يعمل على شاكلته» لا غبرة على أرواحهم، و إنما نور على نور، لا ينقصهم إلّا انهم مخلوقون، ثم الفقر الى ربهم فخرهم.

كل قلب يتقلب الى غير اللّه إلا تذرعا أو تضرعا إلى اللّه، فيه رجس قدر اتجاهه الى غير اللّه، و كل اتجاه في أدقّ منحنيات الحياة و متجهاتها الى غير اللّه رجس، و المتدلي باللّه دونما إبقاء لغير اللّه خارج عن كل رجس، و هكذا: يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ ..»!

أ ترى بعد ان اذهاب الرجس عنهم هو رفعه عن ساحتهم بعد كونه؟

و لا يذهب رجسا هكذا إلّا بتوبة ام اي تكفير يناسبه! و هذا يعم سائر اهل الرجس دون اختصاص! و هذا من فعل صاحب الرجس ان يذهب رجسه‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 135

بتوبته! و العصمة لا تحل محلّ الوصمة! اللهم إلا في أدنى أدانيها بمعصية صغيرة بعد توبة كآدم: «وَ عَصى‏ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى‏. ثُمَّ اجْتَباهُ رَبُّهُ فَتابَ عَلَيْهِ وَ هَدى‏» انه اذهاب لكل رجس بدفعه عنهم حين يعتريهم او يهاجم عليهم ببواعثه، تسديدا لهم بما حاولوا و انتجبهم اللّه- عن كل رجس، شكا في قلب، او جهلا بواجب الشرعة او المعرفة، او خطأ في فكر، او زلقا في فعل، في عصمة عليا بمثلثها: تلقيا للوحي- و إلقاء له- و تطبيقا إياه.

هنالك محاولات بشرية لا ذهاب الرجس عن أنفسهم رفعا او دفعا، و ليست لتكفي استئصالا لكل رجس، و أهلها مخلصون! و هنا ارادة دائبة إلهية تكفي محاولات قمة من أخلص المخلصين، فتستأصل عنهم كل رجس و أهلها مخلصون، و هكذا «إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً».

و كما «لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ» يجتث في نفي الجنس كل رجس، كذلك‏ «وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» يختص بإثبات كل طهارة، فالسلب مطلق كما الإيجاب، و الإيجاب مطلق كما السلب، تخلية عن كل نقص إلّا انهم مخلوقون، و تحلية بكل كمال دون انهم ليسوا بخالقين، فقد يصدق فيهم ما يقال عنهم «نزلونا عن الربوبية و قولوا فينا ما شئتم»:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ز احمد تا أحد يك ميم فرقست‏ |  | همه عالم در آن يك ميم غرقست. |

هنا طهارة متصلة بهم، متعرقة فيهم، متزرعة في قلوبهم، هي العصمة الضافية «إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ ...»! تكوينية و تشريعية فواجب الحفاظ على الشرعة تشريعا فيهم، يوازي واجب العصمة الموهبة لهم تكوينا، عصمة بشرية تتصل بها و تحل فيها عصمة الهية دونما فوضى جزاف، فكل درجة من العصمة الالهية تتطلب كظرف لها عصمة بشرية تقتضيها، ف-

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 136

«إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ» إرادة تشريعية ما لم يردها من أحد العالمين، ارادتان منحصرتان لهم و فيهم، منحسرتان عمن سواهم، فلا يطلب من اهالى سائر البيوت الرسالية ما يطلب من اهل بيت الرسالة المحمدية (صلى اللّه عليه و آله و سلم) من مدارج التقوى و العبودية و الاجتهاد الاضطهاد في سبيل اللّه، و كما

يروى عنه‏ «ما أوذي نبي مثل ما أوذيت»

و قال عنه ربه‏ «قُلْ إِنْ كانَ لِلرَّحْمنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعابِدِينَ» فلو لم يكن هو اوّل العابدين على ضوء الرعاية القمة للشرعة لم يكن اوّل المعصومين في ارادة تكوينية.

و هناك طهارة منفصلة عنهم، و هي للمتصلين بهم، المنسوبين إليهم، يريدها اللّه منهم للحفاظ على محتد الطهارة لأهل بيت النبوة الأصول، فطهارة نساء النبي و أقربائه و انسبائه لها تأثير منفصل في طهارته عند الناس، و ليس اللّه ليريد الطهارة لأهل بيت الطهارة أنفسهم ثم يهمل طهارتهم عند الناس، فليكونوا وجها عند اللّه ليصلحوا دعاة الى اللّه، و وجهاء عند الناس ليتجه بهم الناس الى اللّه.

لذلك تحل آية التطهير محلات نساء النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) لتحمل تطهيرهن الى تطهيرهم، و لذلك نرى في الاكثرية المطلقة من روايات التطهير ليس الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ليرضى دخول مثل ام سملة الطاهرة في اهل البيت المعنيين بآية التطهير، اللّهم إلّا شذرا بقوله‏ «إِنْ شاءَ اللَّهُ» انها قد تدخل في اهل البيت دخولا منفصلا إذا أصلحت و قنتت للّه و رسوله، فطهرّت اهل هذا البيت و جاه الناس بعد طهارتهم عند اللّه! وَ اذْكُرْنَ ما يُتْلى‏ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آياتِ اللَّهِ وَ الْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كانَ لَطِيفاً خَبِيراً (34) إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَ الْمُسْلِماتِ وَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ وَ الْقانِتِينَ وَ الْقانِتاتِ وَ الصَّادِقِينَ وَ الصَّادِقاتِ وَ الصَّابِرِينَ وَ الصَّابِراتِ وَ الْخاشِعِينَ وَ الْخاشِعاتِ‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 137

وَ الْمُتَصَدِّقِينَ وَ الْمُتَصَدِّقاتِ وَ الصَّائِمِينَ وَ الصَّائِماتِ وَ الْحافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَ الْحافِظاتِ وَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَ الذَّاكِراتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَ أَجْراً عَظِيماً (35).

«و اذكرن» أنتن نساء النبي، القاطنات في بيت الوحي و التنزيل‏ «وَ اذْكُرْنَ ما يُتْلى‏ فِي بُيُوتِكُنَّ ...» فأنتن أحرى من يذكر فيتذكر، لنزول الوحي ابتداء في بيوتكن، و لانتسابكن الى النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فلكن ضعف الثواب و ضعف العذاب، ثم: «إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَ الْمُسْلِماتِ ...» هذه الصفات الكثيرة الغزيرة التي جمعت في هذه الآية تتعاون في تكوين النفس المسلمة.

و تلك هي عشرة كاملة، لا بد ان تكون عشيرة المسلمين على درجاتهم، من إسلام و ايمان و قنوت و صدق و صبر و خشوع و تصدّق و صيام و حفظ للفرج و ذكر اللّه كثيرا: «أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ» كلهم‏ «مَغْفِرَةً وَ أَجْراً عَظِيماً» و الخطوة الاولى هي الإسلام الاستسلام امام اللّه، إقرارا باللسان، ثم الايمان تصديقا بالجنان، ثم القنوت الطاعة الناشئة من الايمان، ثم صدق في الطاعة و الايمان، ثم صبر على أخطار الصدق و الايمان، ثم خشوع في الجنان يربط كل جوانب الإنسان، ثم تصدق في هذه السبيل بمال او حال او مقال على اية حال، ثم صيام في شهر الصيام و في كل مجال، ثم حفظ للفرج عما يجب حفظه، ثم ذكر اللّه كثيرا في قال و حال و اعمال.

انه لا فرق بين قبيلي الرجال و النساء في فضيلة الأعمال أم رذيلتها، مهما كان‏ «الرِّجالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّساءِ بِما فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلى‏ بَعْضٍ وَ بِما أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوالِهِمْ» حيث القوامة هنا غيرها هناك في يوم الحساب، فرب قائم بأمر، ولي على امر يرجح عليه المولى عليه لرجاحة الأعمال.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 138

[سورة الأحزاب (33): الآيات 36 الى 40]

وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لا مُؤْمِنَةٍ إِذا قَضَى اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً (36) وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَ اتَّقِ اللَّهَ وَ تُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَ تَخْشَى النَّاسَ وَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ فَلَمَّا قَضى‏ زَيْدٌ مِنْها وَطَراً زَوَّجْناكَها لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْواجِ أَدْعِيائِهِمْ إِذا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً (37) ما كانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيما فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً (38) الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسالاتِ اللَّهِ وَ يَخْشَوْنَهُ وَ لا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللَّهَ وَ كَفى‏ بِاللَّهِ حَسِيباً (39) ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَ لكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ وَ كانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْ‏ءٍ عَلِيماً (40)

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 139

ان تزويج زينب بنت جحش من زيد بن الحارثة و من ثم تزويجها من رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يحمل بعدين عميقين من أبعاد التربية الاسلامية، فأول البعدين هو تحطيم الفوارق الطبقية و حتى بين الأحرار و العبيد، فيزوج النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) مولاه زيدا من شريفة بني هاشم بنت عمته، ليسقط هذه الفوارق أولا بنفسه و في أسرته، ثم يتزوجها هو (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ليحطّم عمليا سنة التبنيّ و حرمة الزواج بحليلة المتبنى، و لم يكن ليكتفي في تحطيم هذين الصرحين الجاهليين بالقول فقط ام فعل من غيره، فليدخل هو بنفسه في الميدان ليؤتسى به في الامة الاسلامية مع الأبد.

ان اللّه يقضي امر الزواج بين زيد و زينب لتقرير مبدئين جديدين في الأمة، و لكن زينب يخلد في خلدها شي‏ء من ذلك الزواج قائلة له (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بعد ما خطبها لزيد:

«او امر نفسي فانظر» «1»

فانزل:

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

الدر المنثور 5: 200- اخرج ابن جرير و ابن مردويه عن ابن عباس قال: ان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) انطلق ليخطب على فتاه زيد بن حارثة فدخل على زينب بنت جحش الاسدية فخطبها قالت لست بناكحته قال: بلى فأنكحيه قالت:

يا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أوامر نفسي فبينما هما يتحدثان انزل اللّه هذه‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 140

وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لا مُؤْمِنَةٍ إِذا قَضَى اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا مُبِيناً (36) هنا «قَضَى اللَّهُ وَ رَسُولُهُ» لا تعني إلا التشريع من اللّه، ثم بلاغ الشرعة من رسول اللّه، ام و ولاية الرسول على المؤمنين فيما يأمر و ينهى كولي لأمر الأمة فإنه‏ «أَوْلى‏ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ»! هذه الآية تقرر قرارا حاسما على الكتلة المؤمنة أن ليست لهم خيرة من أمرهم إذا قضى اللّه و رسوله أمرا سواء أ كان من أمورهم الشخصية او الجماعية في اي حقل من الحقول، في احكام جامعة كسائر الشرعة، ام خاصة كذلك الزواج الصارم لما يحمل من بعدين، تبنيا لصرح الامة على ما يريد اللّه و تقتضيه مصلحة الامة.

«ما كان» هنا و في سواها نفي يضرب الى الأعماق، يعني نهيا صارما لا قبل له، و الانتهاء به قضية أصل الايمان، و إلّا فلا ايمان‏ «ما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لا مُؤْمِنَةٍ ..» و «أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ» يستأصل كون‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

الآية قالت قد رضيته لي يا رسول اللّه منكحا؟ قال (صلى اللّه عليه و آله و سلم): نعم قالت إذا لا أعصي رسول اللّه قد انكحته نفسي و اخرج ابن جرير عن ابن عباس قال:

خطب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) زينب بنت جحش لزيد بن حارثة فاستنكفت منه و قالت: انا خير منه حسبا و كانت امراة فيها حدة فانزل اللّه» وَ ما كانَ ..»

و

فيه عنه قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) لزينب‏ اني أريد ان أزوجك زيد بن حارثة فاني قد رضيته لك قالت يا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) لكن لا أرضاه لنفسي و انا أيّم قومي و بنت عمتك فلم أكن افعل فنزلت الآية

و

فيه عن قتادة قال‏ خطب النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) زينب و هو يريدها لزيد فظنت انه يريدها لنفسه فلما علمت انه يريدها لزيد أبت فانزل اللّه هذه الآية.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 141

اية خيرة لهم إلّا ما قضاه اللّه و رسوله، و حتى إذا كانت خيرة الاستئمار من أنفسهم او الشورى بينهم، ثم اختيار ما قضاه اللّه و رسوله! فادنى درك من العصيان هو خيرة كهذه التي توافق قضاء اللّه، و أسفل درك منه بدار العصيان دونما تفكير، و أوسطه العصيان بعد استئمار او شورى، و «الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ» تستأصل الثلاثة، ثم لا تبقى إلّا الطاعة المطلقة دونما خيرة من أمرهم في جانحة و لا جارحة، و انما مطلق الاستسلام! «وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» تشمل الثلاثة «فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا مُبِيناً» مهما اختلفت دركات الضلال و العصيان! ان قضاء اللّه كوحي خاص في تشريع يحمله رسول اللّه في بلاغ الشرعة ثم قضاءه كوحي عام قضاء لرسول اللّه كولي لأمر الأمة بما أراه اللّه، هو «إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِما أَراكَ اللَّهُ وَ لا تَكُنْ لِلْخائِنِينَ خَصِيماً» ف- «ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى‏. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى‏» مهما كان بلفظ القرآن او السنة، او كان حكما سياسيا أمّاذا من احكام، ف- «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ»! و-

«ان كنت لا تطيع خالقك فلا تأكل رزقه، و ان كنت واليت عدوه فاخرج من ملكه، و إن كنت غير قانع برضاه و قدره فاطلب ربا سواه»! «1»

«يقول الله: من لم يرض بقضائي و لم يؤمن بقدري فليلتمس إلها غيري» «2»

و

قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم): في كل قضاء

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نور الثقلين 4: 280 ح 123 في كتاب التوحيد باسناده الى الأصبغ بن نباتة قال قال امير المؤمنين (عليه السلام): ..

(2) المصدر ح 124 فيه باسناده إلى الحسين بن خالد عن علي بن موسى الرضا عن أبيه عن آبائه عن علي بن أبي طالب قال: سمعت رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يقول قال اللّه جل جلاله: ..

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 142

الله عز و جل خيرة للمؤمن» «1».

فاللّه يقضي زواجا بين قريبة الرسول الشريفة في قومها و بين عبده قضاء على سنة الفوارق و لا خيرة إذا دون خيرة اللّه! ثم اللّه يقضي زواج رسوله بحليلة دعيّه قضاء على سنة جاهلية اخرى و فارقة اخرى فارغة كما الاولى، و ليس للمؤمنين إلّا التسليم لقضائه! و اللّه يقول الحق و هو يهدي السبيل! و لا سبيل مستقيما إلا الاستسلام المطلق امام قضاءه دون اختلاج خالجة في ضمير، و لا سيما في الأقضية التي تتبنى الإسلام، أصولا يؤتسى بها على طول الخط، و لا بد من تجاوب من الأمة مع الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) في تبنّي صرح هذه الرسالة السامية. فان يدا واحدة لا تصفق!.

وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَ اتَّقِ اللَّهَ وَ تُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَ تَخْشَى النَّاسَ وَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ فَلَمَّا قَضى‏ زَيْدٌ مِنْها وَطَراً زَوَّجْناكَها لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْواجِ أَدْعِيائِهِمْ إِذا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (37) هذا زيد بن حارثة «أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ» بالتربية المحمدية قبل الإسلام و بالايمان بعده و انكحه شريفة بني هاشم بنت عمة النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) «وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ» في احضانه بتربية صالحة و عتقه و إنكاحه بنت عمك و هي ترغبك دونه!. تقول له بعد منازعة مستمرة بينه و بينها «أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ» و قضى اللّه إطلاقها لينكحك إياها هدما لسنة جاهلية «وَ اتَّقِ اللَّهَ» و كان تقواه طلاقها في الواقع مهما كانت إمساكها في الظاهر «وَ تُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ» من فرض زواجها لك بعده كما

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). المصدر ح 125 و قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم): ..

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 143

أبداه في اذاعة قرآنية «زَوَّجْناكَها ..» و ليس مما أخفاه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) في نفسه انه عشقها رغبة الجنس لما رآها تغتسل كما اختلق عليه! و يشهد له‏ «مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ» و ما أبدى اللّه إلّا اصل الزواج‏ «لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْواجِ أَدْعِيائِهِمْ»! «وَ تَخْشَى النَّاسَ» إن أبديت أمرك فيها أن يقولوا طمع في حليلة دعيّه، كما انطلقت ألسنة المنافقين: «تزوج حليلة ابنه»! «وَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ» في تحقيق قضاءه، دون ان تخشى الناس في خشيته، فانما خشية بلا وسيط!.

أ ترى الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) في هذه المعركة الصاخبة خشي الناس و لم يخشى اللّه؟ و هو أخشي اللّه من كل‏ «الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسالاتِ اللَّهِ وَ يَخْشَوْنَهُ وَ لا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ» و هو ابلغ من‏ «يُبَلِّغُونَ رِسالاتِ اللَّهِ» فأخشاهم للّه فانه‏ «أَوَّلُ الْعابِدِينَ»؟.

إن خشية اللّه خشيتان، خشية عن طريق الناس و قد خشيه عنهم فأخفى في نفسه ما اللّه مبديه، لكيلا يمس من كرامة رسالته بما يتقوّله الناس، و كما خشيهم في بلاغ رسالة الولاية «بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ ..»

و خشي أزواجه في قصة مارية فحرمها على نفسه خشية تظاهرهن عليه‏ «لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضاتَ أَزْواجِكَ»؟ فآمنه اللّه عما يخشاه:

«وَ اللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ» في بلاغ الولاية «وَ إِنْ تَظاهَرا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَ جِبْرِيلُ وَ صالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذلِكَ ظَهِيرٌ» في مارية «وَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ» في زينب.

فقبل ان يؤمنه اللّه باس الناس ما كان ليأمنهم ان يمسوا من كرامة رسالته، و كان عليه حفاظها تقديما للأهم على مهمه، ثم الوحي الحبيب من الحبيب آمنه بأسهم، فنقله من خشيته تعالى من طريق الناس، الى خشية

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 144

خالصة لا وسيط لها «وَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ»! فذلك- إذا- انتصار له في صيغة عتاب و لا عتاب، فانه يبرأ ساحته الرسالية في هذه الإذاعة القرآنية عن كافة التقوّلات الموجهة اليه: انه رآها فأعجبته‏ «1» أما ذا من هرطقات جاهلية و هراءات عراء و ساحة الرسول منها براء!.

فَلَمَّا قَضى‏ زَيْدٌ مِنْها وَطَراً زَوَّجْناكَها لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْواجِ أَدْعِيائِهِمْ إِذا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (37)!.

لقد كان لزيد منها وطر: نهمة و حاجة مهمة، قضاء على سنة جاهلية في التفاخر بالأنساب، و وقاء لشهوة الجنس، و الاول مقضي بمجرد الزواج و لكنما الثاني باق ما بقي صاحب الجنس في إربته، ثم و لا يحل لزوجته زواج آخر ما دامت في حبالته و إن قضيت إربته، فكيف «زوجناكها»

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

في نور الثقلين 4: 280 ح 127 عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) فيما رواه القمي عن أبي الجارود عنه (عليه السلام) في الآية و ساق القصة الى: ثم انهما تشاجرا في شي‏ء الى رسول اللّه فنظر إليها رسول اللّه فأعجبته ...

و

فيه ح 130 عن الامام الرضا (عليه السلام) ان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قصد دار زيد بن حارثة في امر اراده فرأى امرأته تغتسل فقال لها: سبحان اللّه.

الذي خلقك ... فلما عاد زيد الى منزلة أخبرته امرأته بمجي‏ء الرسول و قوله لها فلم يعلم زيد ما أراد بذلك فظن انه قال ذلك لما أعجبه من حسن فجاء الى النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فقال يا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ان امرأتي في خلقها سوء و اني أريد طلاقها فقال له النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) امسك عليك زوجك و اتق اللّه ...

أقول انهما و لا سيما الثاني مختلق على الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فلو أراد زوجها شهوة لبادر إليها قبل تقديمها لزيد و قد كانت تريده (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ثم كيف يدخل الرسول بيتا دون استئناس من اهله لحد يرى امراة اجنبية تغتسل فتعجبه و يقول مقالته؟!

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 145

ان نهمة الجنس و شهوته قد تنقضي بطبيعة الحال و لم تنقض من زيد و هو في شبق الشباب، و زوجه شريفة جميلة! و قد يقضيها هو بأسباب اخرى و لم تنقض، من عدم الوفاق لحد ينجر الى الفراق فذلك قضاء وطر اوّل نهمّة و شهوة، ان يطلقها في طهر لم يواقعها فيه، فلو لم يقض وطرا منها لم يطلقها، ثم ان بقي له وطر منها راجعها في عدتها و لم يراجعها! فقد قضى منها وطرا ثانيا و أخيرا إذ سرّحها دونما رجعة: «فَلَمَّا قَضى‏ زَيْدٌ مِنْها وَطَراً زَوَّجْناكَها» حيث تم الزواج إذ تم قضاء الوطر بتمام العدة!.

فهنالك للزوج و هناك للزوج أوطار اخرى كحاجة و تمايلة الى زوجه بعد الطلقة الثانية، ثم بعد الثالثة بمحلّل حيث يعقد عليها بعده، ثم وطر بعد وطر حتى تبلغ الطلقات تسعا بمحلّلين ثلاثة، و لا وطر له بعد الطلقة التاسعة حيث تتحقق بها الحرمة المؤبدة.

و أولى الأوطار التي يحل فيها زواجها بزوج آخر هي في الطلقة الاولى بمضي عدتها دون رجعة منه في الرجعية او منها في المختلقة و المبارأة حين يقبل رجوعها.

و «وطرا» هنا مطلق يشمل قبل الطلاق و بعده و لمّا تخلص العدة، و يقيده بخلاص العدة قبل الرجعة آيات الرجعة، و المطلقة رجعية زوجة، فلا يحل لها زواج آخر ما دامت في العدة.

و هنا نرى الرسول و هو مأمور بزواجها لنفسه لا ينكحها بنفسه حتى يزوجه اللّه إياها: «فَلَمَّا قَضى‏ زَيْدٌ مِنْها وَطَراً زَوَّجْناكَها «1» و ان كان يخطبها

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). في الدر المنثور 5: 202- اخرج الحاكم عن الشعبي قال كانت زينب تقول للنبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) انا أعظم نسائك عليك حقا انا خيرهن منكحا

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 146

في ظاهر الأمر «1» و قد كانت تفتخر على سائر أزواجه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بزواجها الإلهي‏ «2»! و لماذا «زوجناكها» أ لحظوة الجنس فقط؟ و قد كان له ان يتزوج بها قبل ان يزوجها لغلامه و لم يفعل و هي راغبة اليه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)! أ ترى الشريفة القريبة الى النبي ترجّح غلامه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) عليه، ثم النبي يرجح ثيبة غلامه على البكر؟!

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

و اكرمهن سترا و اقربهن رحما و زوجنيك الرحمن من فوق عرشه و كان جبرئيل (عليه السلام) هو السفير بذلك و انا بنت عمك ليس لك من نسائك قريبة غيري.

(1).

يروى الامام احمد و مسلم و النسائي من طرق عن سليمان ابن المغيرة عن انس قال: لما انقضت عدة زينب قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) لزيد بن حارثة «اذهب فاذكرها علي» فانطلق حتى أتاها و هي تخمر عجينها قال: لما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع ان انظر إليها

و أقول ان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ذكرها فوليتها ظهري و نكحت على عقبي و قلت يا زينب ابشري أرسلني رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بذكرك قالت: ما ان بصانعة شيئا حتى أوامر ربي عز و جل فقامت الى مسجدها و نزل القرآن و جاء رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فدخل عليها بغير اذن‏

(2)

في الدر المنثور 5: 203- اخرج الطبراني و البيهقي في سننه و ابن عساكر من طريق الكميت بن يزيد الاسدي قال حدثني مذكور مولى زينب بنت جحش قالت: خطبني عدة من اصحاب النبي (ص) فأرسلت اليه (ص) اخي يشاوره في ذلك قال (ص) فأين هي ممن يعلمها كتاب ربها و سنة نبيها؟ قالت: من؟ قال (ص): زيد بن حارثة فغضبت و قالت تزوج بنت عمتك مولاك ثم اتتني فأخبرتني بذلك فقلت أشد من قولها و غضبت أشد من غضبها فانزل اللّه تعالى: «وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ ..» فأرسلت اليه زوجني من شئت فزوجني منه فأخذته بلساني فشكاني الى النبي (ص) فقال له: إذا طلقها فطلقني فبت طلاقي فلما انقضت عدتي لم أشعر الا و النبي (ص) و انا مكشوفة الشعر

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 147

فانما «زوجناكها» لسياسة رسالية: «لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم إذا قضوا منهن وطرا» قضاء على سنة عريقة جاهلية هي حرمة حلائل الأدعياء اعتبارا انهم أبناء «وَ ما جَعَلَ أَدْعِياءَكُمْ أَبْناءَكُمْ» ما كان ليقضى عليها إلّا عملا جاهرا من الرسول نفسه و قد فعل بأمر اللّه‏ «وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا».

فقد قضى الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) على جاهلية الفوارق الطبقية في بعدي تزويجه شريفة بعبد، ثم تزويج زوجة عبده لنفسه، و من ثم جاهلية حرمة حلائل الأدعياء قضاء على كونهم أبناء، و لم يكن إبطال هذه الآثار الواقعية في حياة المجتمع ليمضي بسهولة، حيث التقاليد الاجتماعية اعمق أثرا في النفوس من أن تزول بسنّ القوانين المجردة، إلا أن يسنها و يطبقها الرسول عمليا في نفسه، و يواجه المجتمع بهذه العملية الصارمة التي لا يستطيع أحد ان يواجه بها ذلك المجتمع الصلد العارم! يأتيه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) زيد مرة بعد اخرى يشكو اضطراب حياته الزوجية، و الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يحمل امر اللّه في تزويجها لنفسه، و لكنه يحسّ ثقل التبعة ان اظهر أمره- على نفاذ رسالته، فهو على شجاعته في مواجهة قومه في أمّر أمر من العقيدة المضادة لما يعتقدون، دون أية لجلجة و لا خشية، إذ ما كانت لتمس من ساحة رسالته، نراه هنا متلجلجا يخشاهم على رسالته خشية من ربه أن تتهدّم اركان دعوته بما يتوقعه من مجابهة عنيدة في هذه المواجهة فيقول:

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

فقلت هذا امر من السماء دخلت يا رسول الله بلا خطبة و لا شهادة؟ قال: الله المزوج و جبريل الشاهد.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 148

«أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَ اتَّقِ اللَّهَ» فأخفى في نفسه فعلا ما اللّه مبديه، و يعلم أن اللّه مبديه، و لكن اين إبداء محمد من إبداء اللّه؟ إذ هم ليسوا ليعارضوا اللّه و يتهموه! مهما تجاسروا على معارضة رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، إذ جاء وحي حبيب من الحبيب يطمئنه بعصمته من بأسهم فنقله من خشيته تعالى بهم الى خشيته في تعميتهم، فمهما كان حقا لك ان تخشى اللّه احتراسا عن الناس حراسا على رسالتك، فاللّه أحق أن تخشاه إذ يطمئنك عن بأس الناس، فهو الذي أمرك بتحقيق أمره العجيب الإمر، حملا لا عباء الرسالة مهما كانت ثقيلة: «إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا» و هو الذي يلقي في قلب الزوجين عزيمة الفراق، و هو الذي يزوجك زوجة زيد بعد ذلك الفراق، بولاية قاطعة لا مرد لها و دونما استمارة و استئمار منكما «زوجناكها» فهو الخاطب لك و هو المجرى صيغة الزواج، فيدخل عليها الرسول بمجرد نزول الآية و دونما استئناس، و كانت هذه إحدى ضرائب الرسالة الباهظة التي حملّها فحملها في مواجهة المجتمع الذي كان يكرهها و يتقول فيها كما تقوّل البعض من المسلمين و الجاهليون و المسيحيون‏ «1»!

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

في الدر المنثور 5: 203- اخرج الطبراني و البيهقي سننه و ابن عساكر من طريق الكميت بن يزيد الاسدي قال حدثني مذكور مولى زينب بنت جحش قالت: خطبني عدة من اصحاب النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فأرسلت اليه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) اخي يشاوره في ذلك قال (صلى اللّه عليه و آله و سلم): فأين هي ممن يعلمها كتاب ربها و سنة نبيها؟ قالت: من؟ قال (صلى اللّه عليه و آله و سلم): زيد بن حارثة فغضبت و قالت تزوج بنت عمتك مولاك ثم اتتني فأخبرتني بذلك فقلت أشد من قولها و غضبت أشد من غضبها فانزل اللّه تعالى: «وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ ..» فأرسلت اليه زوجني من شئت فزوجني منه فأخذته بلساني فشكاني الى النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فقال له: إذا طلقها فطلقني فبت طلاقي فلما انقضت عدتي لم أشعر الا و النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و انا مكشوفة الشعر فقلت هذا امر من السماء دخلت يا

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 149

و لكن‏ «وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا» لا يمنعه مانع و لا يردعه رادع! إذ:

ما كانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيما فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً (38) ضابطة سارية المفعول ترسمها الآية لحملة الرسالات الإلهية ألّا تقية لهم من الناس في بيان او تطبيق شرعة اللّه. فالحرج على اقسام عدة، فقد يتحرج عن أصل الفرض على أية حال فلا يفرض على النبي و الامة على أية حال: ف- «ما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ» (22: 78) و قد يتحرّج لأمر في نفسه يعرضه كمرض يحرجه في فرضه فهو مفروض إلّا في حرجه للنبي و الأمة، و قد يتحرج بتحريج الناس فيتقيهم بتركه، فذلك خاص بالامة بمن فيهم الأئمة دون الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) إذ لا تقية له، و «ما كانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ» يعني الثالثة، فان‏ «فِيما فَرَضَ اللَّهُ لَهُ» تثبت فرضه فيخرج المحرج في أصله، ثم «له» يخرج المحرج في نفسه، فانه موضوع عنه و عن الامة سواء، فليكن هو المحرج الخارج عن نفسه من بأس الناس إذ يحرّجون موقفه من تطبيق‏ «فِيما فَرَضَ اللَّهُ لَهُ» فليس له أن يتقيهم حيث ضمن اللّه وقايته عن بأسهم كما هنا و في قصة مارية و قضية بلاغ الإمرة.

و لماذا «فَرَضَ اللَّهُ لَهُ» دون «عليه» لأن الفرض هنا كان «له» حظوة بشرية و دعوة رسالية، و حتى فيما لا خطوة له فيه شخصية، بل عب‏ء و ثقل، فلا يثقل على كاهله، بل يستقبل فرض اللّه بكل رحابة صدر و رياحة خاطر، فكل فرائض اللّه «له» لا «عليه» إذ لا يستثقلها على أية حال!

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

رسول اللّه بلا خطبة و لا شهادة؟ قال: اللّه المزوج و جبريل الشاهد.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 150

إذا فليس النبي ليتحرج فيما فرض اللّه له مهما كان عبأه و ثقله، لا في قرارة نفسه لأنه يحمل الرسالة فعليه ما حمّل، و لا يحق للامة تحريج موقفه لأنهم مرسل إليهم و عليهم ما حمّلوا، فلا تقية للنبي فيما يحمله من رسالة اللّه مهما صعبت الظروف و التوت لأنه يقرر مصير الامة و عليه تمام المسئولية، و هذه من سنن اللّه الثابتة في الذين خلوا من قبل من الرسل مهما تخلّف المرسل إليهم عن هذه السنة و لا يفرض اللّه لنبي ما لا يطيقه او يحيقه مهما كان أمرا إمرا و عبئا ثقيلا «و كان» طول الزمن الرسالية «امر اللّه» لأنبيائه «قدرا» قدره بعلمه و حكمته لصالحهم الرسالي «مقدورا» لهم قدر الطاقة لا محرجا و لا معسورا.

فهناك يشجع الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) على ذلك الزواج دون تحرّج من قالة الناس، و عطفا لخشية الناس في اللّه الى خشية اللّه مجردا عن الناس و هنا يندد بالذين يحرّجون موقفه فيما فرض اللّه له كسنة ثابتة للرسول و على الأمة ثم نفي الحرج عن النبي- لا محمد- و فيما فرض اللّه له- لا عليه- يدلان على ان الفرض هو الفرض الرسالي الذي يقرر مصير الأمة إذا فلا تقية في بلاغه حتى على نفسه، و اللّه يكفي خشية على رسالته، و اما المفروض على الامة فقد يكون فيه حرج و قد لا يكون فيفعل أحيانا و يترك اخرى ثم‏ «فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ» في هذه السنة هم:

الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسالاتِ اللَّهِ وَ يَخْشَوْنَهُ وَ لا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَ كَفى‏ بِاللَّهِ حَسِيباً (39) إنهم رجالات رسالات الوحي حيث يكثرون البلاغ و يشدقون في رسالات اللّه التي حمّلوا بلاغها. و يخشونه فقط في سبيل التبليغ، و لا

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 151

يخشون أحدا إلّا اللّه، حتى فيما يخشى على ساحة رسالتهم، حيث اللّه ضامن لهم أمرهم، ف- «يخشونه» تحصر خشيتهم في اللّه‏ «وَ لا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ» تنفي خشيه اي أحد في اللّه إذ يطمئنهم اللّه عن باس من سوى اللّه في سبيله الى اللّه.

و الخشية خوف يشوبه تعظيم، فخشية الناس في اللّه ان يخافوا عظم ما يفعلون حيث يغضب اللّه، فان كفى اللّه خطرهم فلا خشية الّا من اللّه دون سواه و كما كفي الرسول بأسهم فأمر أن يتحول من خشية الناس في اللّه الى خشية اللّه في اللّه. «1»

و من الخشية في اللّه من غير اللّه خشية العنت، أن يخلف تخلفا جنسيا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). و قد عدت الجمعية الرسالية الأمر مكية زواجه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بزينب في عداد سيئاته قائلين: انه أخذ امراة زيد الذي تبناه مع ان قومه عيروه الا انه لم يبال بتعييراتهم لان الشهوة إذا استولت على المجرد من النعمة الإلهية اماتت منه الاحساس، نعم و ان داود وقع في خطيئة الزنا و لكن يوجد فرق جسيم بين الأمرين فلم يأخذ داود امراة ابنه و ثانيا إنه استغفر ربه و اعترف بذنبه و تاب اما محمد فجعل هذه الخطيئة سنة لكل انسان فادعى ان اللّه امره بذلك.

و يقول الدكتور فندر الالماني في كتابه ميزان الحق ردا على الإسلام ص 254 و من ذنوبه انه في يوم من الأيام يذهب الى بيت زيد دعيه فلما دخل سبقت نظرته الى امراة زيد فأعجبته و شغفها حبا فقال: سبحان اللّه خالق النور تبارك اللّه احسن الخالقين فشعرت زينب بذلك فأخبرت به زوجها زيد فطلقها زيد اما خوفا من محمد او حبا و إخلاصا له فاختلق محمد الآيات التالية ان امره ربه بنكاح زينب ...

أقول هذه و تلك من القالة التي قيلت عليه من المسيحيين فتسربت قالتهم الى روايات المسلمين و كما نراها في الدر المنثور و نحن نضربها عرض الحائط لأنها خلاف كتاب اللّه و الثابت من عقمه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم).

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 152

«ذلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ» (4: 25) و خشية القول الإمر: «إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرائِيلَ وَ لَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي» (20: 94) و خشية الارهاق كفرا «فَخَشِينا أَنْ يُرْهِقَهُما طُغْياناً وَ كُفْراً» (18: 80).

فكل خشية في غير اللّه منهية، و خشية غير اللّه في اللّه مرغوبة ما لم يكن هنالك مندوحة كما خشي الرسول الناس من قالهم عليه، و إذا كانت هناك مندوحة كأن يكفي اللّه بأس ما يخشى فمنهية بعد ما كفى اللّه، لا قبله، و كما الرسول لم يخش الا اللّه بعد ما كفاه اللّه قالة الناس، فخشيته قبله لم يكن بذلك المنهي! «وَ كَفى‏ بِاللَّهِ حَسِيباً» تبليغهم رسالات اللّه و خشيتهم اللّه و أجرهم على اللّه، فلا حسيب في هذه و تلك إلّا اللّه، كما ليس بلاغهم و خشيتهم إلّا للّه و في اللّه! ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَ لكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ وَ كانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْ‏ءٍ عَلِيماً (40) هذه الآية مما كفى اللّه بها محمدا بأس قالة الناس: انه تزوج حليلة ابنه، استئصالا ان يكون أبا أحد من رجالكم ابوة اصيلة ام رضاعية ام دعيّة هي بالإسلام منفية، فهلا كان أبا ابراهيم و القاسم و الطيب و الطاهر؟ اجل كان و لكنهم ماتوا قبل رجولتهم، ثم و «رجالكم» لا تشملهم و لو كانوا في رجولتهم، فإنهم- إذا- من رجاله دون رجالهم! أم لم يكن أبا الحسنين (عليهما السلام) و من ثم الأئمة من ذرية الحسين (عليه السلام) و سواهم من ذريته؟ اجل و لكن «ما كان» تضرب إلى الماضي قبل نبوته و بعدها لحّد نزول الآية و الحسنان بعد طفلان لم يتزوجا حتى ياتي دور حليلتيهما انهما حل له ام لا! و لمّا تزوجا كان قد قضى نحبه‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 153

بزمن بعيد، ثم و هم ليسوا من رجالهم بعد رجولتهم بل من رجاله (صلى اللّه عليه و آله و سلم)! ففيما سبق استأصل بنوة الأدعياء: «وَ ما جَعَلَ أَدْعِياءَكُمْ أَبْناءَكُمْ» فلم يكن زيد ابن محمد (صلى اللّه عليه و آله و سلم) من قبل، حتى تحرم حليلته، و هنا يستأصل أبوته لأحد من رجالكم لا الرجال و لا رجاله، نفيا لابوته لزيد فتحل له حليلته، ام امكانية زواجه بحلائل ابنائه، فإنهم بين من توفي في صباه، و من ترجل بعد موته (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فمن تزوج بها لم تكن حليلة ابنه، و من تزوج من رجاله فانما كانت رجولته و زواجه بعد موته، إذا ففرية زواجه بحليلة ابنه منفية عنه مع الأبد.

انه‏ «ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ» تنتسبون اليه بالبنوّة، و ليست علاقته بالمسلمين إلّا علقة النبي بالامة «وَ لكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ» يحمل الرسالة و النبوة القمة الأخيرة «وَ كانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْ‏ءٍ عَلِيماً» أن لم يجعله أبا أحد من رجالكم و أبطل سنة الأدعياء و جعله (صلى اللّه عليه و آله و سلم) خاتم الأنبياء.

و لماذا «خاتَمَ النَّبِيِّينَ» بعد «رَسُولَ اللَّهِ» لا «خاتم المرسلين» «نبي الله و خاتم النبيين» او «خاتَمَ النَّبِيِّينَ» فقط؟

إن الرسالة الإلهية هي بعد وحي النبوءة، و لأنها درجات بعضها فوق بعض اختصت العالية بصيغة النبوة من النبوة الرفعة، لا النباء الوحي‏ «1» و لذلك وصف النبوة ياتي بعد الرسالة دون معاكسة: كما «وَ كانَ رَسُولًا نَبِيًّا» (19: 51) في موسى و 54 في إسماعيل و «الرَّسُولَ النَّبِيَّ» (7:)

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). لذلك لما يخاطب به نبئ اللّه يقول: لا تقل يا نبي‏ء اللّه انا نبيّ اللّه.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 154

157) في محمد (صلى اللّه عليه و آله و سلم) حيث الوصف الأعلى ياتي بعد العال، فالنبوة هي منزلة اشرف من الرسالة.

ف- «رَسُولَ اللَّهِ» تثبت منزلته الثانية مطابقة و قبلها النبوءة الوحي التزاما، «وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ» تثبت ثالثة هي النبوة، و رابعة هي القمة و الاخيرة انه ختم و تصديق للنبوات، فليكن أفضلهم و آخرهم، فلا نبوة بعده فضلا عن رسالة او نبوءة اللّهم إلّا إلهاما على هامشة تفهما لنبوته دونما استقلال! و قد يعني «النبيين» جمع النبي‏ء و النبي معا، استئصالا لأية نبوءة وحي او نبوة رسالة و بينهما رسالة الوحي فذلك المثلث السامي مسلوب بعد نبوته، مصدّق لمن قبله به، فلا نبئ بعده و لا رسول و لا نبيّ حيث «ختم به الوحي»! فلو قال «خاتم النبيئين» لكان هنالك مجال الرسالة بعده او نبوّة! و لو قال «خاتم المرسلين» لكان بعده مجال النبوة، فلما قال‏ «وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ» زال كل مجال من مثلث الوحي على أية حال! و حتى ان كان جمع النبي فكونه خاتمهم يقتضي انقطاع الوحي به، فلما ذا يوحي بعده، أتكميلا لما اوحي إليه كما في ولي العزم الآتي بعد سابقه؟ و هو خاتم النبيين فلا أفضل منه و لا يسامى! ام حفاظا و تصديقا لوحيه عن تطرق التحريف كما كان يوحى الى أنبياء بعد اولي العزم بهذا الصدد؟ و قرآنه محفوظ بحفاظ اللّه‏ «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ» فلما ذا الوحي بعد، اللهم إلّا إلهاما لعترته المعصومين، تفصيلا لما أجمله من كتاب او سنة، فان دور الإمامة لا يعني إلّا نشر الرسالة بتفاصيلها الواقعة، دونما زيادة و لا نقيصة. فكل رسول بعد ولي عزم من الرسل كانت رسالته وقائية غير مكملة لما كانت مع ولي العزم، فانما كان يوحى اليه ما أوحي من قبل ليواصل رسالته متحللة عن كل تحريف. و هذه الرسالة السامية معصومة بكتابها القرآن العظيم، و هو العاصم لها عن كل‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 155

ما يتقوّل عليها دونما حاجة إلى رسالة متواصلة بعدها، ثم الائمة المعصومون يوفون اكثر مما يوفى بأية رسالة و قد فعلوا! ان أفضل النبيين هم الخمسة الذين دارت عليهم الرحى و هو خاتمهم الذي يرأسهم لأن في تصديقه لهم اثبات كيانهم، و كما أخذ اللّه ميثاقهم بالايمان به و النصرة له: «وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ قالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلى‏ ذلِكُمْ إِصْرِي قالُوا أَقْرَرْنا قالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ».

لذلك نرى «النبي» بمختلف صيغه في سائر القرآن اقل من «الرسول» كذلك‏ «1» مما يوحي بقلة النبيين بين المرسلين، و حين تذكر النبوة بعد الرسالة لا نجد من الخمس إلّا محمدا و موسى، و من سائر المرسلين إلا إسماعيل و ان كان سائر الخمس و جماعة من المرسلين نبيين.

ثم رسالته الالهية هي القمة لحد يلمح كأنه الرسول لا سواه حيث «الرسول» معرفا لا نجده إلّا إياه (84) مرة و كذلك «النبي» (33) مرة لا يعني إلّا إياه، مما يطمئننا أن الرسالات و النبوات الإلهية مركزة في جنابه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و سائر الرسل و الأنبياء انما جاءوا لتعبيد الطريق لهذه الرسالة النبوة السامية!

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). النبي (69) مرة و الرسول «394» مرة لكنهما معرفا مفردا لا يعنيان الا محمدا (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و

في نور الثقلين 4: 284 ح 143 في مناقب ابن شهر آشوب عن انس في حديث طويل سمعت رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يقول: انا خاتم الأنبياء و أنت يا علي خاتم الأولياء

و

قال امير المؤمنين (عليه السلام): ختم محمد الف نبي و اني ختمت الف وصي و اني كلفت ما لم يكلفوا».

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 156

فهو هكذا «رسول اللّه» و هكذا «نبي اللّه» لا فحسب بل‏ «وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ» حيث ختم النبؤآت و الرسالات و النبوات فلا نبئ بعده و لا رسول و لا نبيّ، و لا وحي بعده و لا كتاب، و لا شرعة بعده و لا اي جديد من سماء الوحي! ليس هو- فقط- خاتم النبيين، بل‏ «وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ» فالخاتم و هو اسم لما يختم به و يصدّق فهو أبلغ من الخاتم و أعمق دلالة على خاتميته للنبوات، فقد بلغ من ختمه النبوات و تصديقه لها الى حدّ سمي بالخاتم كما الرسول و النبي على سواء، دون من يختم كآخر لما يختمه و ليس يصدقه، او قد ياتي بعده من هو ارقى منه، و لكن موقع هذا النبي من النبيين موقع الخاتم ختام‏ «1» المكتوب حيث يصدقه و المكتوب تحته مكذوب، و كذلك الرسول محمد (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فمدعي النبوة بعده مكذوب و الذي لم يصدقه ممن قبله غير مصدق، فهو السطر الأخير من أسطر الوحي يصدّق ما قبله من وحي، و يكذب ما بعده من دعوى الوحي و كما

يروى عنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم): انه سيكون في امتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي و أنا خاتم النبيين لا نبي بعدي» «2»

و هو اللبنة الاخيرة من بناية الرسالة كما

يروى عنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قوله: «مثلي و مثل النبيين كمثل رجل بنى دارا فأتمها إلا لبنة واحدة فجئت أنا فأتممت تلك اللبنة» «3».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الخاتم ما يختم به و سمى خاتم الزينة به لان فصه كان يحكّ عليه اسم صاحبه يختم به كتاباته‏

(2) الدر المنثور 5: 204- اخرج ابن مردويه عن ثوبان قال قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و

فيه اخرج احمد عن حذيفة عن النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قال: في امتي كذابون دجالون سبعة و عشرون منهم اربع نسوة و اني خاتم النبيين لا نبي بعدي‏

(3) المصدر اخرج احمد و مسلم عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم): ... و اخرج ما في معناه باختلاف يسير مع الاحتفاظ على الأصل‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 157

و يوجد العديد من تصريحات خاتميته بطيات بشارات في كتابات الوحي برسالته و كما في الأصل العبراني من كتاب حبقوق؟؟؟ النبي الفصل 3: 3- 6 إلوه متيماه يابوء و قادوش مهر پاران سلاه ... 3 و نعه كااورتهيه ... 4 هليخوت عولام لو 6:

اللّه من يتمان ياتي و القدوس من جبل پاران: فاران- حرى- مع الأبد .. شعاعه كالشمس .. و مسالك الأزل له» ف- «باران» هو جبل حرى‏ «1»: فاران مطلع النور المحمدي، اشراقه مع الأبد حيث شعاعه كالشمس و مسالك الأزل له، فلا انطفاء لشعاعه إلّا بانتفاء الدنيا.

و في «نبوءت هيّلد» وحي الطفل حسب الأصل الانقلوسي «محمد كايا إعابايا ديطمع هويا و هيهى كليليا»: محمد كبير قدير- الشجرة الرفيعة الطيبة- مأمول لإفناء ما كان و إطفاء النائرة، و هو الكل و التاج و حمل على الأكتاف».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

لبخاري و مسلم و الترمذي و ابن أبي حاتم و ابن مردويه عن جابر عنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و احمد و البخاري و مسلم و النسائي و ابن مردويه عن أبي هريرة عنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و احمد و الترمذي و صححه عن أبي بن كعب عنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و

في نور الثقلين 4: 284 ح 144 في روضة الكافي باسناده الى علي بن عيسى رفعه قال: ان موسى ناجاه اللّه تبارك و تعالى فقال له في مناجاته: لا يطول الدنيا أملك- الى قوله عز و جل: له في وصيته له بالنبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم):

يا موسى انه امي و هو عبد صدق و يبارك عليه كذلك فيما وضع يده عليه كذلك كان في علمي و كذلك خلقته به افتح الساعة و بأمته اختم مفاتيح الدنيا

و

ح 145 في عوالي الكالى و قال (صلى اللّه عليه و آله و سلم): انا أول الأنبياء خلقا و آخرهم بعثا».

(1). و هذا اجماع مؤرخي العرب ان فاران هو حرى و كما يصرح في سفر التكوين 21:

21 «و اقام ببرية فاران «يعني إسماعيل بن ابراهيم من هاجر، راجع ص 46- 53 من كتابنا «رسول الإسلام في الكتب السماوية» تجد تفصيل هذه البشارة.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 158

فكونه كلّا يفصح أنه مجمع جماع الرسالات الإلهية، و كونه تاجا على رءوس رجالات الوحي يجعله أفضلهم، فما ذا بعد الأفضل الكلّ؟! إلا الناقص الكلّ؟! و في إنجيل يوحنا 14: 16 حسب الأصل السرياني: «و أنا بت طالبن من ببى وخين بار قليطا بت يبل لوخون هل ابد»:

«و انا أسأل الآب: الخالق- خالقي- فيعطيكم فارقليطا آخر ليقيم معكم إلى الأبد» و فار قليطا في الأصل اليوناني: بريكليطوس بمعنى محمد- أحمد، و محمّد آخر يعني نبيا محمودا في غاية المحمودية هو آخر الآخرين ليقيم معكم الى الأبد «1».

و ليست خاتمية الرسول محمد (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بحاجة الى سرد الادلة- و هي كثيرة في الكتاب و السنة لأنها من الضروريات القاطعة الإسلامية حيث تردف رسالته بخاتميته دونما ريبة، و الآيات في مثلث من خاتميته بين المرسلين و النبيين، و خاتمية كتابه بين كتب السماء، و خاتمية شرعته بين الشرائع تبلغ عشرات.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). راجع رسول الإسلام 146- 157 فيه تفصيل البشارة بفارقليط.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 159

[سورة الأحزاب (33): الآيات 41 الى 52]

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً (41) وَ سَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَ أَصِيلاً (42) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَ مَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ وَ كانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً (43) تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ وَ أَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً (44) يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً (45)

وَ داعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَ سِراجاً مُنِيراً (46) وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً (47) وَ لا تُطِعِ الْكافِرِينَ وَ الْمُنافِقِينَ وَ دَعْ أَذاهُمْ وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَ كَفى‏ بِاللَّهِ وَكِيلاً (48) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِناتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَما لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَها فَمَتِّعُوهُنَّ وَ سَرِّحُوهُنَّ سَراحاً جَمِيلاً (49) يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنا لَكَ أَزْواجَكَ اللاَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَ ما مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَ بَناتِ عَمِّكَ وَ بَناتِ عَمَّاتِكَ وَ بَناتِ خالِكَ وَ بَناتِ خالاتِكَ اللاَّتِي هاجَرْنَ مَعَكَ وَ امْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَها لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَها خالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنا ما فَرَضْنا عَلَيْهِمْ فِي أَزْواجِهِمْ وَ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ لِكَيْلا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (50)

تُرْجِي مَنْ تَشاءُ مِنْهُنَّ وَ تُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشاءُ وَ مَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُناحَ عَلَيْكَ ذلِكَ أَدْنى‏ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَ لا يَحْزَنَّ وَ يَرْضَيْنَ بِما آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ ما فِي قُلُوبِكُمْ وَ كانَ اللَّهُ عَلِيماً حَلِيماً (51) لا يَحِلُّ لَكَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ وَ لا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْواجٍ وَ لَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلاَّ ما مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَ كانَ اللَّهُ عَلى‏ كُلِّ شَيْ‏ءٍ رَقِيباً (52)

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 161

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً (41) وَ سَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَ أَصِيلًا (42) من لزام الايمان باللّه ذكر اللّه، و كما الايمان ليس له حد او زمان او مكان او حالة خاصة، كذلك ذكر اللّه على كل حال، ف-

«ما من شي‏ء إلا و له حد ينتهي اليه إلا الذكر فليس له حد ينتهي اليه، فرض الله عز و جل الفرائض فمن أداهن فهو حدهن و شهر رمضان فمن صامه فهو حده، و الحج فمن حج فهو حده، إلا الذكر فان الله عز و جل لم يرض منه بالقليل و لم يجعل له حدا ينتهي اليه ..» «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

نور الثقلين 4: 284 ح 147 في اصول الكافي عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن جعفر بن محمد الاشعري عن ابن القداح عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) قال: ... ثم تلا آية الذكر فقال: لم يجعل اللّه له حدا ينتهي اليه قال: و كان أبي (عليه السلام) كثير الذكر لقد كنت امشي معه و انه ليذكر اللّه و آكل معه الطعام و انه ليذكر اللّه و لقد كان يحدث القوم ما يشغله ذلك عن ذكر اللّه و كنت ارى لسانه لازقا بحنكه يقول: لا اله الا اللّه و كان يجمعنا فيأمرنا بالذكر حتى تطلع الشمس و يأمر

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 162

و الذكر في الأصل حالة في القلب تظهر في مظاهر الأقوال و الأفعال، و لان اللسان يتأثر بالقلب في ذكره و القلب يؤثر فيه، لذلك يسمى ذكره ذكرا و إلا فليس إلّا لقلقة البغبغاء- و

«لا أقول سبحان الله و الحمد لله و لا اله الا الله و الله اكبر، و لكن ذكر الله عند ما أحل له و ذكر الله عند ما حرم عليه» «1».

فاشتغال اللسان بذكر اللّه و القلب لاه و العمل متخلف عن شرعة اللّه، إنه ليس ذكرا، بل هو مهانة و استهتار باللّه، فليسكت عن ذكر اللّه، او و يذكر اللّه في حلاله و حرامه!

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

بالقرائة من كان يقرأ منا و من كان لا يقرء منا امره بالذكر، و البيت الذي يقرأ فيه القرآن و يذكر اللّه عز و جل فيه تكثر بركته و تحضره الملائكة و تهجره الشياطين و يضي‏ء لأهل السماء كما يضي‏ء الكوكب لأهل الأرض و البيت الذي لا يقرء فيه القرآن و لا يذكر اللّه تقل بركته و تهجره الملائكة و تحضره الشياطين و قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) الا أخبركم بخير اعمالكم ارفعها في درجاتكم و أزكاها عند مليككم و خير لكم من الدينار و الدرهم و خير لكم من ان تلقوا عدوكم فتقتلوهم و يقتلوكم؟ فقالوا:

بلى، قال: ذكر اللّه عز و جل كثيرا ثم قال: جاء رجل الى النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فقال: من خير اهل المسجد؟ فقال (صلى اللّه عليه و آله و سلم):

أكثرهم للّه ذكرا و قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) من اعطي لسانا ذاكرا فقد اعطي خير الدنيا و الاخرة و قال: في قوله تعالى: وَ لا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ» قال:

لا تستكثر ما عملت من خير لله.

(1).

نور الثقلين 4: 287 ح 156 في الخصال عن زيد الشحام قال قال ابو عبد اللّه (عليه السلام) ما ابتلي المؤمن بشي‏ء أشد عليه من ثلاث خصال يحرمها، قيل: و ما هي؟ قال: المواساة في ذات يده و الإنصاف من نفسه و ذكر اللّه كثيرا اما اني لا أقول ...

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 163

ف- «ذِكْراً كَثِيراً» تعني كثرة في عدّة و كثرة في عدّة، عدّة الجوارح؟؟؟

و الجوانج و عدّتها، كثرة العدد بعددها، و لكل بكثرته، و كثرة العدد بحق الذكر و حاقّه، دون ان يترك باطن الذكر الى ظاهره، او ظاهره الى باطنه، او يترك عدّته او عدته أو عدّته الى عدته و ليكن محافظا على باطن الذكر كمحور اصيل يتبنّاه طول حياته، فذكره بالقلب هو قلب الذكر و سائر الذكر هو قالب الذكر! ف- «اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً» بقلوبكم في عدد و عدد، و بألسنتكم في عدد و عدد، في حلكم و ترحالكم، و على كل أحوالكم، حيث النسيان أيا كان و أيّان يخلّف قدره العصيان لا تقل إن أكثرت ذكر اللّه بلساني قيل إنه منافق، ما دمت ذاكره بقلبك و لسانك ف-

«اذكروا الله حتى يقول المنافقون إنكم مراءون» «1»

و

«حتى يقولوا مجنون» «2»!

فانما المجنون من لا يذكر اللّه، و المنافق من لا يوافق لسانه قلبه او قلبه لسانه! ذكر اللّه من مخلقات الايمان على قدره و مستواه‏ الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (13: 28).

و لان في ذكر اللّه حالة ايجابية ذكرا لذاته تعالى و أفعاله و صفاته، و قصورنا الذاتي عن ان ندركه سبحانه قد يوردنا موارد الخطأ عند ذكره،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 5: 205- اخرج الطبراني عن ابن عباس و عبد اللّه بن احمد في زوائد الزهد عن أبي الجوزاء قال قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم): ...

(2) المصدر اخرج احمد و ابو يعلى و ابن حبان و الحاكم و صححه عن أبي سعيد الخدري ان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قال: ...

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 164

فلنشفعه بتسبيحه: «وَ سَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَ أَصِيلًا، من بكرة إلى اصيل و من أصيل الى بكرة كلما ذكرناه تسبيحا بحمده! ام في الوقتين الاصيلين: بُكْرَةً وَ أَصِيلًا، لكي يصفو ذكره عن كل كدر، و كما

في حديث قدسي.

«اذكرني بعد الفجر و بعد العصر ساعة أكفك ما بينهما» «1».

فليكن المؤمن بتمام ذاته و تعلقاته ذكرا للّه و تسبيحا، أسوة برسول اللّه في تحقيق أمر اللّه: قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِ اللَّهِ ... (65: 10) فيصبح حينئذ من المفردين‏ «2» و لان الرسول هو بنفسه ذكر اللّه: «ذِكْراً رَسُولًا» فلا ينسى اللّه، لذلك لا يشمله خطاب‏ «الَّذِينَ آمَنُوا» و انما «اتَّقِ اللَّهَ» اتقاء عن زهوة القرب الى اللّه و عما سوى اللّه.

فاتصال القلب باللّه و الانشغال عن اللّه اشتغالا باللّه في مراقبة دائبة، يجعل العبد ذكرا للّه و سبحان اللّه ثم اللّه يذكره اكثر من ذكره‏ «فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ» (2: 152) و اين ذكر من ذكر؟

يقول اللّه تعالى: من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي و من ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه» «3».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). المصدر اخرج احمد عن أبي هريرة قال قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فيما يذكر عن ربه تبارك و تعالى: اذكرني ... و

اخرج احمد عن أبي امامة ان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قال: لان اقعد اذكر اللّه و أكبره و احمده و أسبحه و أهلله حتى تطلع الشمس أحب الي من ان أعتق رقبتين او اكثر من ولد إسماعيل و من بعد العصر حتى تغرب الشمس أحب الي من ان أعتق اربع رقاب من ولد إسماعيل.

(2)

المصدر اخرج احمد و مسلم و الترمذي عن أبي هريرة قال قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) سبق المفردون قالوا و ما المفردون يا رسول اللّه؟ قال: الذاكرون اللّه كثيرا

(3) أخرجه البخاري عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قال قال اللّه: ...

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 165

و لئن قلت إن بواعث النسيان كثيرة كموانع الذكر، فكيف للعبد الضعيف ان يذكر اللّه كثيرا؟ فالجواب:

هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَ مَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ وَ كانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً (43) فصلوات اللّه عليكم هي إنزال رحمته و صلوات ملائكته هي استزادة فيها باستنزال رحمته، رحمتان اثنتان من اللّه تخلفها المحاولة الدائبة لذكر اللّه كثيرا، ف- «الَّذِينَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدىً».

هنالك ظلمات تحول دونك و النور، و لكنك بحولك في كل أحوالك بذكر اللّه، و بحول اللّه و قوته، سوف تخرج من ظلمات النسيان الى نور الذكر الايمان‏ «لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ»: فالنور واحد هو ذكر اللّه الواحد و الظلمات عدة هي ذكر غير اللّه فنسيان اللّه، و ليس يخرج المؤمن من الظلمات الى النور إلّا بذكر اللّه كثيرا فصلوات اللّه عليه و ملائكته إذ لا حول و لا قوة إلّا باللّه! و من صلوات الملائكة للذاكرين اللّه استغفارهم: «وَ الْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ...» (42: 5) كما و منها استنزال رحمات اخرى كرفع درجات: «إِنَّ اللَّهَ وَ مَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ...» (56).

نحن نصلي للّه و اللّه يصلي علينا و ملائكته و اين صلاة من صلاة؟ و

قد قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قلت لجبريل (عليه السلام)

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 166

هل يصلي ربك؟ قال: نعم- قلت: و ما صلاته؟ قال: سبوح قدوس سبقت رحمتي غضبي» «1».

و قد يجمع هذه الثلاث انعطاف برحمة إنزالا و استنزالا و عبودية. فانه صلة بين هذه الصلوات! و صلوات اللّه على عباده درجات أعلاها صلواته على رسوله، و أدناها على أدنى المؤمنين و بينهما متوسطات.

فإذ يصلي ربنا علينا فهلا نصلي على عباده الصالحين تخلقا بأخلاق اللّه مهما كان خصوصها بخصوص المخلصين‏ «2».

تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ وَ أَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً (44) أ تراه سلاما منهم على اللّه؟ و لا سلام على اللّه على أية حال لأنه هو بنفسه سلام فلا يحتاج الى سلام من عبيده الفقراء الى سلامه! ام سلاما من بعضهم على بعض؟ و هو سلام المؤمنين في النشأتين دون اختصاص ب- «يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ» مهما عمّت النشأتين للمخلصين و المخلصين، حيث السلام يوم الدنيا يعم المؤمنين كما في يوم الدين!

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 5: 206- اخرج ابن أبي حاتم و ابن مردويه من طريق عطاء ابن أبي رباح عن أبي هريرة قال قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قلت ...

(2) اذكر انني كنت اصلي على آل محمد لما اصلي على محمد في المسجد الحرام فاعترض عليّ كيف تضيف الآل؟ قلت لان الرسول أمرنا ان نضيف اليه الآل، فقيل لي:

أحيانا تصلون على أولاد الآل، قلت: ان اللّه يصلي علينا و بعضنا في ادنى مراتب الايمان و نحن نصلي على الصالحين من آل النبي و ولدهم! قيل لي: فلما ذا لا تضيفون الصحب الى الآل؟ قلت تأسيا برسول اللّه إذ أضاف الآل اليه و لم يزد و الصلوات درجات لا تجتمع في درجة واحدة لمن هم درجات، فلنصل على النبي و الآل لأنهم في درجة ثم نصلي على غيرهم من الصالحين كلا على حده!

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 167

إنه سلام من اللّه عليهم، على من هم ملاقوا اللّه بالمعرفة القمة، و هم السابقون و المقربون و أفضل اصحاب اليمين يوم الدنيا و يوم الدين، و بالنسبة لسائر المؤمنين يخص بيوم الدين:

أ ترى ما هو الفرق بين صلوات اللّه علينا و سلامه حيث يختص سلامه بيوم يلقونه و صلواته تعمه و يوم الدنيا ام تخصها؟

ان سلام اللّه يوم الدنيا يختص بالمصطفين: «قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ سَلامٌ عَلى‏ عِبادِهِ الَّذِينَ اصْطَفى‏» (27: 59)- «وَ سَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ» (37: 181) «سَلامٌ عَلى‏ نُوحٍ فِي الْعالَمِينَ» (37: 79) «سَلامٌ عَلى‏ إِبْراهِيمَ» (109) «سَلامٌ عَلى‏ مُوسى‏ وَ هارُونَ» (120) «سَلامٌ عَلى‏ إِلْ‏ياسِينَ» (130) و ليحيى‏ «وَ سَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَ يَوْمَ يَمُوتُ وَ يَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا» (19: 15) و عيسى «و السلام علي يوم ولدت و يوم أموت و يوم ابعث حيا (33) سلام الله التام على هؤلاء في الاولى كما الاخرى إذ هم ملاقوا الله فيهما، ف- «يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ» بالنسبة لهم، ثم من يحذو محذاهم، فهؤلاء مذكورون على نحو الخصوص، و أولاء الأتباع تعمهم‏ «يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ» على وجه العموم، ثم من سواهم سلام اللّه عليهم يوم الاخرى فانه يوم لقاءهم التام لقاء دونما اختيار حيث تكشف الغطاء.

فالسلام في الآخرة يعمهم و كل اصحاب الجنة بعد ما سلموا من كل زين: «تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ وَ أَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً» كما هنا، ذلك لأن سلام اللّه خالصا من اللّاسلام يخص المخلصين أهل السلام، و أما الصلوات فلأنها أعم من هكذا سلام كما للرسول و ذويه، و من سلام الغفران كما لمن يتأتى منه العصيان، فهي- إذا- تعم من يصلح لرحمته يوم الدنيا و من جراءها الأخرى و هي أحرى.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 168

و هلّا يلقى اللّه أهل السلام يوم الدنيا حتى يختص سلامه ب- «يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ» في الأخرى؟

ان لقاءه تقربا معرفيا بتوفية الجزاء دونما شوب من سلطان سواه، ذلك لا يتحقق إلا يوم الأخرى، اللّهم إلّا لمثل القائل:

«لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا»

حيث الغطاء الدنيا لا تغطي عليه ربّه فهو ملاقي اللّه طول الحياة في الاولى و الاخرى، و اما الأجر الكريم فهو من مختصات الاخرى: «وَ أَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً».

يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً (45) وَ داعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَ سِراجاً مُنِيراً (46) ميزات خمس يحملها هذا النبي العظيم ما لها من سباق‏ «1» و كل ذلك بإذن تكويني من اللّه و تشريعي، لولاهما لم يسطع تلك الدعوة العالية النافذة، فهو الداعي الضالين عن اللّه الى اللّه، و هو السراج المنير الذي أسرجه اللّه لينير الدرب على السالكين الى اللّه، و هو الشاهد من اللّه و على عباد اللّه، نموذجا بالغا من رسالة اللّه، و تلقيا اعمال عباد اللّه، و إلقاء لها يوم لقاء اللّه! «2» إنه ليست الدعوة الى اللّه فوضى و هرج مرج، ابتداء و ابتداعا او تطوعا، فعلة و قالة و حالة من عنده نفسه، انما هي «باذنه» كرسالته و شهادته و تبشيره و إنذاره و إنارته بسراجه!

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). فسرنا الثلاث الاولى في الفتح ج 26 الفرقان ص 166- 167 فراجع‏

(2) و

في الدر المنثور 5: 206- اخرج الحاكم و صححه و البيهقي عن العرباض بن سارية سمعت رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يقول: اني عبد اللّه و خاتم النبيين و أبي منجدل في طينة و أخبركم عن ذلك انا دعوه أبي ابراهيم و بشارة عيسى و رؤيا امي التي رأت و كذلك أمهات النبيين يرين و ان ام رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) رأت حين وضعته نورا أضاءت لها قصور الشام ثم تلا «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً ...»

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 169

وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيراً (47) فللمؤمنين البشارة و الفضل، زيادة على ما عملوا، و على سواهم النذارة العدل، كل كما يستحقه.

وَ لا تُطِعِ الْكافِرِينَ وَ الْمُنافِقِينَ وَ دَعْ أَذاهُمْ وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَ كَفى‏ بِاللَّهِ وَكِيلًا (48) لا تطعهم حتى فيما يعدونك من قبول الايمان فلا خير منهم يرجى، و ما فيهم و منهم إلّا شر ليس إلّا، «وَ دَعْ أَذاهُمْ»: اتركهم يؤذونك ما اسطاعوا حتى ياتي أمرنا، و لا تؤذهم كما يؤذونك حتى ياتي أمرنا «1» «وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ» فيما أمرت و صبرت‏ «وَ كَفى‏ بِاللَّهِ وَكِيلًا» حيث يكفيك بأسهم ما لا يكفي سواه، فلا حول و لا قوة إلّا باللّه! يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِناتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَما لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَها فَمَتِّعُوهُنَّ وَ سَرِّحُوهُنَّ سَراحاً جَمِيلًا (49) آية وحيدة في سائر القرآن تحمل سلبا لعدة الطلاق عمن طلقت قبل مسّها ثم و إيجاب المتعة و السراح الجميل، تخصص آية البقرة الموجبة لتربص القروء بالطلاق على الإطلاق مسّها «وَ الْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ» (2: 228) تخصصها بغير صورة المسّ.

و ترى ماذا يعني هنا المسّ؟ أهو مطلق اللمسّ و إن لم يجامعها كما قد يروى‏ «2» ام هو- فقط- الوطء قبلا او دبرا حيث المسّ بالنسبة للنساء لم يأت‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). «إذا هم» في الوجهين من اضافة المصدر الى الفاعل او المفعول.

(2) كما

في صحيحة الحلبي عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) قال: سألته عن الرجل يطلق امرأته و قد مس كل شي‏ء منها الا انه لم يجامعها أ لها عدة؟ فقال: ابتلي ابو جعفر

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 170

في سائر القرآن إلا بمعنى الوحى! «1» قضية الأدب البارع في وحي القرآن، ثم المسّ لغويا أبلغ من اللمس دلالة على الوطي و «لامَسْتُمُ النِّساءَ» الموجبة للجنابة ليست إلّا الجماع! و لئن أريد مطلق اللمس الشامل لغير الوطي لبدّلت المسّ باللّمس! و لئن شكّ في إيجاب غير الوطي من اللمس تربص القروء فالأصل هنا عدم القروء، لا سيما و أن آية القروء مذيلة بما يلمح بالوطي: «وَ لا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ ما خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحامِهِنَّ» اضافة الى تظافر الروايات ان المس هو الوطي فقط دون سائر اللمّس.

ثم المسّ ليس ليختص بوطي القبل بحجة رعاية حكمة الحفاظ على المياه و ليس منشأ الولادة إلّا في القبل! حيث العقيمة تتربص بوطيها، القروء، كما الولود، بل يعم الوطي في الدبر، و علّ الحكمة الجامعة لموارد العدة بالطلاق غاية اللذة الحاصلة بالمس قبلا او دبرا، و قضية اطلاق النص في عدم «المس» على أية حال، اطلاق عدم الوطي على أية حال ثم ترى هل تخص‏ «إِذا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِناتِ» احكام الآية بالمؤمنات المنكوحات بالعقد الدائم لمكان‏ «ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ»؟ فالعدة إذا ثابتة على‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(عليه السلام) بذلك فقال له أبوه علي بن الحسين (عليه السلام) إذا اغلق و ارخى سترا وجب المهر و العدة،

أقول: «ابتلي ابو جعفر» هو ابتلاء بسؤاله فليكن موضع تقية و الا فلا ابتلاء، ثم «اغلق و ارخى سترا» أعم من المس كما هو أعم من الوطء، و هاتان امارتان لكون الجواب واردا مورد التقية، او ان اغلق و ارخى سترا كناية عن الوطي‏

(1). «قالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَ لَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ» (3: 47) و 19: 20) و لا ياتي الولد إلا بمس الوطي لا مطلق المس‏ «ثُمَّ يَعُودُونَ لِما قالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ... فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا» (58: 3- 4) «لا جُناحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّساءَ ما لَمْ تَمَسُّوهُنَ‏ ... وَ إِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَ قَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ ما فَرَضْتُمْ» (2: 237).

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 171

المنفصلات بغير طلاق كالمنقطعة التي توهب وقتها او ينتهي، و الامة المحررة، و الدائمة غير المؤمنة، و المؤمنة الدائمة المنفصلة بغير طلاق، فسخا من احد الزوجين بموجبه، او انفساخا للعقد بسبب، كالتي يتزوج زوجها بنتها من غيره قبل ان يدخل بها، فانها تنفصل عنه بمجرد العقد عليها إذ تصبح إذا أما لزوجته. امّن هي من اللاتي لسن مؤمنات دائمات مطلقات قبل الدخول؟

ان قيد «المؤمنات» لا يقيد الحكم بهن، إذ ليس يعني إلا تلميحا بان المؤمنين لا ينكحون إلّا المؤمنات، دون المشركات: «وَ لا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ» (2: 221) و مهما سمحت آية المائدة نكاحهم بكتابيات‏ «وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ» فانه سماح هامشي على متن النكاح بشروطه، ثم العدة ليست إلّا لحرمة الموت و لا موت هنا! ام للحفاظ على المياه، و لا مياه هنا! ام حرمة لقضاء غاية الشهوة الحاصلة بالدخول؟ و لم يدخل بها! و إذ لا حرمة لمؤمنة غير مدخول بها في عدة فباحرى غير المؤمنة ألّا تعتد، و آية البقرة مهما عمّت المطلقات في فرض العدة، ليست لتشمل غير المدخول بها قضية ذيلها، و عند الشك فالقدر المتيقن هو المدخول بها، و اليائسة المدخول بها خارجة عن هذه الحكم كما الصغيرة فان وطئ اليائسة ليس في غاية الشهوة، ام لان فرض العدة بين الموت كعلة تامة، و بين وطئ فيه امكانية الحمل، و الثاني منفي فيمن لا عدة لها، ان يائسة موطوءة، ام غيرها البالغة غير الموطوءة، و هذه ضابطة صارمة في العدّة، و اللّه اعلم بالحكم في كل عدّة و عدّة.

ثم و قيد الطلاق وارد مورد النكاح الدائم، فليس ليقيّد الحكم بمورد الطلاق، او نتوسع في معنى الطلاق انه الفراق عن النكاح أيا كان و لكنما

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 172

المنقطعة التي تم وقتها ليست مطلقة على اية حال، مهما كانت الموهوبة وقتها و المباعة نفسها داخلتين في مطلق الطلاق.

ثم‏ «فَما لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَها» تستأصل أية عدة و ان يوما او ساعة، ثم و تستاهلها لزواج آخر فور طلاقها، و تلمح أن عدة المطلقة حق لزوجها، و لكنه مرتبط بحقه لزاما إذ لا يحق له التسامح عنه، فهو من الحقوق التي لا تسقط بإسقاط صاحبها كحق الزوجية و الابوة و أمثالها، لأنها حقوق ثابتة مرتبطة باللّه و بالمجتمع، و في زاوية ثالثة ترتبط بأصحابها، و «يتربصن» في فرض العدة حكم صارم الهي ليس ليسقط بإسقاط، فهو حق يحيط به حكم، ليس حقا خالصا يصلح لإسقاط. فكما الحكم لا يسقط بإسقاط كذلك الحق الذي فيه الحكم، ثم الحق الخالص الشخصي صالح للإسقاط إذا كان صالحا للإسقاط، دون الحق الذي له بعد جماعي بعد الشخص فانه لا يسقط بإسقاط الشخص. و لان العدة «لكم عليهن» فهي- إذا- ليست إلّا لصالح الرجل، بين الحفاظ على صالح النسل مؤكدا او محتملا، و الحفاظ على حق الرجوع كما في الرجعية، و اما البائنة غير المدخول بها فلا عدة لها، كما لا عدة لليائسة المدخول بها حيث لا ماء لها و لا رجعة إليها، و عدة الوفاة هي للزوج المتوفي حرمة له، ف- «لكم عليهن» هي في مثلث المصالح للأزواج، و لكنها مصالح تضم حقا جماعيا لا يقبل الإسقاط.

و حق القول في الحق الثابت بالشرع انه لا يسقط على اية حال إلّا بدليل كالحقوق المالية أما هيه، أصلا أصيلا صارما قائما في الحقوق إلّا ما يستثنى، كما في الأحكام و لكنها لا تستثنى.

و بصيغة اخرى: الحكم لا يسقط أيا كان، و الحق قد يسقط بإسقاط ام دونه و قد لا يسقط، و لا حق إلّا و معه حكم بضمنه يضمن تحقيقه،

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 173

و هنالك احكام لا تضمن حقوقا بشرية و اخرى تضمنها، فهما- إذا- متباينان جزئيان عموما من وجه، قد يجتمعان و قد يفترقان قضية الملازمة الأصلية، و الا فلا حق الا و معه حكم فبينهما عموم مطلق.

ثم ترى أ تفرض «فمتعوهن» على الأزواج متاعا زائدا على الفريضة؟

لأنها مطلقة تشمل اللاتي فرضتم لهن فريضة فتؤتى زيادة هي المتاع، و ليست الفريضة متعة كما ليس مهر المثل متعة، و انما هي الزائدة على الفريضة ان فرضت لها؟ و الزائدة على مثل الفريضة ان لم تفرض تحننا عليها و تعطفا؟

أو أن المتاع انما هو لمن لم يفرض لها فريضة إذ قوبلت في البقرة بمن فرضت لها فريضة: «لا جُناحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّساءَ ما لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَ مَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَ عَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ. وَ إِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَ قَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ ما فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكاحِ ..» (2: 227)؟ ف- «لِلْمُطَلَّقاتِ مَتاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ» (2: 241) يعني الفريضة او مثلها ان دخل بها، او نصف ذلك ان لم يدخل بها.

او ان متاعهن بالمعروف يعني‏

«اجملوهن بما قدرتم عليه من معروف، فإنهن يرجعن بكآبة و وحشة و هم عظيم و شماتة من أعدائهن، فان الله كريم يستحي و يحب اهل الحياء، إن أكرمكم أشدكم إكراما لحلائلهم» «1»

و ذلك الإجمال المتاع يعم مهر المثل و المسمّى و زيادة ان كانت لزام الإجمال‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

نور الثقلين 4: 288 ح 163 في من لا يحضره الفقيه روى عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر في قول اللّه عز و جل‏ «وَ إِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ ...» قال: متعوهن اي اجملوهن.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 174

قدر المستطاع، ام اجمالا في دفع الفريضة، و لا يترك الاحتياط بدفع زيادة على المسمى لصدق المتاع، و فيما لا يسمى على الموسع قدره و على المقر قدره، و اولى من غير المدخول بها هي المدخول بها «وَ كَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَ قَدْ أَفْضى‏ بَعْضُكُمْ إِلى‏ بَعْضٍ وَ أَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً» (4: 21).

ثم السراح الجميل ما لا عضل فيه و لا أذى و لا تعنت و لا رغبة في تعويقهن عن استئناف حياة جديدة، بل و مساعدة لها على ما تبغي من زواج و تعريفا بها عند من يريدها كيلا تبقى مرذولة منكوبة بقالة الناس! فكما النكاح توحيد للحياتين على حب، كذلك الطلاق فراق على حب و متاع! متاعا أخلاقيا و ماليا أما ذا مما يمتعها و يذهب بكآبتها و تضيّقها، معاملة معها في الفراق كما تعامل في النكاح الوفاق، و يجب ذلك في كل شركة في معاملة أما ذا؟

هذا هو السراح الجميل بعد الطلاق حيث العادة الجاهلية كانت تعضلهن عن زواج آخر بعد الطلاق‏ «فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْواجَهُنَّ ..» (2: 232)

يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنا لَكَ أَزْواجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَ ما مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَ بَناتِ عَمِّكَ وَ بَناتِ عَمَّاتِكَ وَ بَناتِ خالِكَ وَ بَناتِ خالاتِكَ اللَّاتِي هاجَرْنَ مَعَكَ وَ امْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَها لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَها خالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنا ما فَرَضْنا عَلَيْهِمْ فِي أَزْواجِهِمْ وَ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ لِكَيْلا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (50).

هذه و اللتان بعدها تحمل احكاما خاصة بالنبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) في امر زواجه و أزواجه، لا تعدوا الى الامة، فانها من احكام الرسالة بمختلف حقولها و متطلباتها الرسالية، فردية او جماعية.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 175

ف- «إِنَّا أَحْلَلْنا لَكَ ...» تحلل له زواجا و أزواجا لا تعد، بنكاح او ملك يمين‏ «1» ثم حرم عليه الزواج الجديد او التبديل‏ «لا يَحِلُّ لَكَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ ... إِلَّا ما مَلَكَتْ يَمِينُكَ»! و «لك» هنا من ادلة اختصاصهن به فلا تحل أزواجه من بعده لغيره: «وَ لا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْواجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً» و لا ما ملكت يمينه فيئا و إن لم يطأهن، فإنهن من زوجاته بمجرد ملك اليمين، كما المعقودة دائما او منقطعا، فتشمل إماءه ما تشمل سائر زوجاته ك- «أَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ» «وَ لا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْواجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً» و قد يحل له تحليلهن لغيره قبل ان يطأهن، حيث الأزواج قد لا تشمل غير الموطوءات من الإماء و «ما مَلَكَتْ يَمِينُكَ» إنما احلّت له دون نكاح إذا أراد. و لا من‏ «وَهَبَتْ نَفْسَها لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَها» مهما طال او قصر تحقيق ارادته، و اما بنات عمه و عماته و بنات خاله و خالاته، فهن حل لغيره قبل ان ينكحهن، ف- «لك» فيهن ترجيح في زواجهن بالقرابة و الهجرة ام فرض يخصه مهما نسخ القيد ان بعده ام لم ينسخ حيث‏ «لا يَحِلُّ لَكَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ» قريبة مهاجرة ام غريبة غير مهاجرة.

و ذلك الإحلال مرتبط بتلك النبوة السنامية، زواجا سياسيا رساليا تحكم عرى دعوته و كما في حليلة زيد دعيّه امّن هي من نساء من مختلف الأقوام، و محترج الظروف و معترك الآراء، يقصد من خلالها مصاهرة مختلف القبائل ليربط بينهم لنفسه، تعميقا لدعوته، و بسطا لرسالته، و دفعا لمكايدات منهم، فلما قضى ما عليه حرمت عليه النساء من بعد حتى‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

نور الثقلين 4: 290 ح 175 في الكافي بسند صحيح عن الحلبي عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) سألته عن قول اللّه عز و جل: يا أَيُّهَا النَّبِيُّ ..» قلت: كم أحل له من النساء؟ قال: ما شاء اللّه من شي‏ء و رواه مثله عن أبي بكر الحضرمي عن أبي جعفر (عليه السلام).

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 176

ان متن او طلقهن كلهن و قوة الجنس بعد بحالها! «لا يَحِلُّ لَكَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ».

ترى ذلك الإحلال يخص اللاتي آتى أجورهن و مهورهن؟ فلا إحلال قبله؟ و المرأة تستحل بمجرد العقد عليها حتى و ان لم توت مهرها لوقته أم على اية حال!.

إن أجورهن هي مهورهن المفروضة او أمثالها في غير المفروضة، بالنسبة لمن تزوجت على مهر، و قد يعني «آتيت» ماضيا، ضرورة الإيتاء حسب القرار، فان نوى ألا يؤتيها لم تحل له حتى ينوى او يؤتي، فليس شرط الإحلال إلا أصل الإيتاء: وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ الْمُؤْمِناتِ وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ... (5: 5)- وَ لا جُناحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ (60: 10) فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَ آتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ (4: 25) فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً (4: 24).

فإيتاء الأجر او تصحيحه في وقته هو شرط الإحلال في اللاتي يتزوجن بأجور، و من الراجح الأكيد تقديم أجورهن قبل الدخول بهن حسب المستطاع.

و لان النبي أسوة يقال له‏ «إِنَّا أَحْلَلْنا لَكَ أَزْواجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ» و لأنه كان قد آتاهن أجورهن، عنوانا مشيرا الى حالة خاصة له (صلى اللّه عليه و آله و سلم) إليهن، لا أن ايتاءها لهن مسبقا شرط احلالهن! كما و يدل عليه سائر من ذكرت من المحللات من‏ «بَناتِ عَمِّكَ وَ بَناتِ عَمَّاتِكَ وَ بَناتِ خالِكَ وَ بَناتِ خالاتِكَ ..» إذ لسن كلهن كالتي وهبت نفسها للنبي دون اجر، و قد احلهن له (صلى اللّه عليه و آله و سلم) دون ذكر أجر فضلا عن ايتاءه المسبق و قد يعني‏ «آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ» مورد

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 177

الإحلال المطلق حيث لا خيرة للزوجة في مطاوعة الجنس بعد الأجر فلها ان تمانع ما لم تأخذ المهر حتى تؤتى، و ليس للزوج حملها على الوطء قبل ايتاءها مهرها، فتقع التي لم تأخذ مهرها أمام النبي بين محظوري وجوب مطاوعة النبي لأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، و جواز ترك المطاوعة قبل أخذ المهر، و لكي لا يحمّل بالنبوة خلاف ما لها من حق ف- «إِنَّا أَحْلَلْنا لَكَ أَزْواجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ»! كما و ان استيفاء حق الجنس بعد إيفاء حقها أحق و أحرى بالنبي و احلى للزوجة، فهكذا يصبح النبي أسوة! «اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ» هن واحدة من السبع التي أحلت له (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و من ثم التحريم، و الثانية «وَ ما مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ» و هن الإماء اللّاتي تأسّرن دونما حرب و مشقة، حيث الفي‏ء هو الغنيمة التي لا تلحق فيها مشقة، ف- «مِمَّا أَفاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ» هنا هن الاسيرات الخاصة بالرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و «ما أَفاءَ اللَّهُ عَلى‏ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَما أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَ لا رِكابٍ وَ لكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلى‏ مَنْ يَشاءُ» (59: 6) فهنا إحلال يخص الرسول من‏ «ما مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ» لا نصيب لسائر المسلمين فيهن و كما في سائر الفي‏ء، و مجرد الملك في الإماء يحلّل إلّا إذا زوجهن أو أباحهن لغيره.

و علّ‏ «مِمَّا أَفاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ» ك- «اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ» ليس قيدا يخص الإحلال بمورده، فإنهما القدر الواقع له من نساءه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ام لم تحل له سواهن من الإماء اشتراء لهن او تحليلا له؟.

و كذلك الأربع الاخرى في قيدي القرابة و الهجرة، فإنهما ليستا من شروط الإحلال، و اختلاف العم و العمات و الخال و الخالات بالإفراد و الجمع علّه إذ لم تكن له إلا بنات من عم أو بنات من خال، و كانت له‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 178

بنات عمات و بنات خالات، أو إذا كانت لآخرين بنت او بنات فهن حينئذ كن مزوجات، و كانت له بنات عمات و بنات خالات.

احلّهن له اللّه كأفضل البنات و أحراهن لزواج النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و قد هاجرن معه فأصبحن ذوات الاولوية في بعدي القرابة و الهجرة، مهما حلت له الغريبات غير القريبات و المهاجرات إن كن مسلمات.

ثم السابعة «وَ امْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَها لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَها خالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ» قريبة كانت او غريبة، ممن هاجرن معه أم لم يهاجرن، فانما الشرط هنا الايمان و الوهبة، فاقتسمت هذه السبع من حيث الأجر و دونه الى ثلاث 1- «اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ»- 2: القريبات الأربع حيث لم يذكر لهن اجر اوتينه ام لا، و الأجر ثابت بعد لا مرد له- 3- «الواهبة نفسها دون اجر، و في حكم الثالثة السابعة «خالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ» شرطان:»- 1- ان وهبت نفسها للنبي»- 2- «إِنْ أَرادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَها» فلولاهما أو أحدهما لعمت الخالصة لسائر من يريدونها.

ثم‏ «إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَها لِلنَّبِيِّ» تقطع عنه كل ولاية حتى التي لأبيها، و تقطع عنها كل راغب إليها، و تقطع عنها خيرتها ترك الهبة بعد ما وهبت نفسها، اللهم إلّا إذا لم يردها النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فلها و لوليها و الراغبين فيها الخيار.

و هل ان هذه الهبة تكفي عن صيغة النكاح، كما كفت اذن الولي و المهر؟ علّها تكفي لمكان‏ «خالِصَةً لَكَ» ام لا تكفي حيث لخالصة له لا تنافي شروط الإحلال و من أهمها صيغة النكاح! و نطاق الهبة إنما هو السماح عن مهرها، لا السماح عن صيغة النكاح و ليس لها هكذا سماح لأنه‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 179

حكم شرعي، و لكنما المهر حق لها شخصي، فلها السماح فيما لها حقا، و ليس لها فيما عليها او عليهما حكما، اللهم إلّا ولاية وليها إذ أسقطها اللّه ب- «خالِصَةً لَكَ».

فتلك الوهبة من امراة مؤمنة، و ارادة الاستنكاح من النبي، هما تجعلانها «خالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ» مهما أرادوها و أرادتهم بعد الوهبة و الإرادة، فهي حلّ له (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و محرمة على غيره (صلى اللّه عليه و آله و سلم).

و هل تصح هكذا هبة لغير الرسول؟ آيات النكاح و الطلاق تفرض الفريضة مسماة و سواها كحق ثابت في اي نكاح و قد تزيد متعته! و آية الخالصة تستخلص له هكذا هبة و هكذا موهوبة فهي إذا في أبعادها من اختصاصات النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و كما

وردت بذلك الروايات المستفيضة «1» و قد وهبته (صلى اللّه عليه و آله و سلم)- فيمن وهبت- نفسها امراة من الأنصار فقال (صلى اللّه عليه و آله و سلم) لها:

انصرفي رحمك اللّه فقد أوجب اللّه لك الجنة لرغبتك فيّ و في تعرضك لمحبتي و سروري و سيأتيك امري إن شاء اللّه فانزل اللّه عز و جل: «وَ امْرَأَةً مُؤْمِنَةً ..»

فاحل اللّه عز و جل هبة المرأة نفسها لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و لا يحل ذلك لغيره‏ «2» و قد وهبت نساء أنفسهن للنبي‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). كما

في نور الثقلين 4: 291 ح 177 عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) و 178 عن أبي جعفر (عليه السلام) و 179 عن أبي عبد اللّه و 180 عن أبي جعفر و كذلك 181 و 182 و 183 و اللفظ المشترك بينها «لا تحل الهبة الا لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و أما غيره فلا يصلح نكاح إلّا بمهر.

(2)

المصدر 292 ح 184 علي بن ابراهيم عن أبيه عن ابن محبوب عن ابن رئاب عن محمد بن قيس عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: جاءت امرأة من الأنصار الى رسول‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 180

(صلى اللّه عليه و آله و سلم) فقبل البعض و زوج بعضا غيره (صلى اللّه عليه و آله و سلم) «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فدخلت عليه و هو في منزل حفصة و المرأة متلبسة متمشطة فدخلت على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فقالت يا رسول اللّه: ان المرأة لا تخطب الزوج و انا امرأة ايم لا زوج لي منذ دهر و لا ولد فهل لك من حاجة فان تك فقد وهبت نفسي لك ان قبلتني فقال لها رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) خيرا و دعا لها ثم قال (صلى اللّه عليه و آله و سلم): يا اخت الأنصار جزاكم اللّه عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) خيرا فقد نصرني رجالكم و رغبت في نسائكم فقالت لها حفصة: ما اقل حياءك و أجرأك و انهمك للرجال؟ فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كفي عنها يا حفصة فانها خير منك رغبت في رسول اللّه فلمتيها و عبتيها ثم قال للمرأة: انصرفي ...

و في نقل آخر عن علي بن ابراهيم‏ فقالت لها عائشة قبحك اللّه ما انهمك للرجال فقال لها رسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) صه يا عائشة فانها رغبت في رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) إذ زهدتن فيه ...

و

ح 186 في كتاب الخصال عن أبي عبد اللّه في حديث كانت خولة بنت حكيم السلمى و في المجمع‏ قيل انها لما وهبت نفسها للنبي قالت عائشة ما بال النساء يبذلن انفسهن بلا مهر فنزلت الآية فقالت عائشة: ما ارى اللّه تعالى إلّا يسارع في هواك فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم): و انك ان أطعت اللّه سارع في هواك و فيه عن علي بن الحسين هي امرأة من بني اسد يقال لها شريك بنت جابر لك به حاجة قال: ما عندك تعطيها؟ قال: ما عندي الا ازاري، قال: ان أعطيته إزارك جلست لا إزار لك فالتمس شيئا قال: ما أجد شيئا فقال:

التمس و لو خاتما من حديد فلم يجد فقال: هل معك من القرآن شي‏ء؟ قال نعم سورة كذا و سورة كذا لسور سماها فقال: قد زوجناكها بما معك من القرآن.

(1).

الدر المنثور 5: 209- اخرج مالك و عبد الرزاق و احمد و البخاري و مسلم و ابو داود و الترمذي و النسائي و ابن المنذر و ابن مردويه عن سهل بن سهل الساعدي‏ ان امرأة جاءت الى النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فوهبت نفسها له فصمت فقال رجل يا رسول وجنيها ان لم يكن و اخرج في الدر المنثور اربع نساء وهبن انفسهن للنبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) هما ميمونة بنت الحرث و ليلى بنت الحطيم.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 181

فقد حملت هذه الآية مربع الإحلال له (صلى اللّه عليه و آله و سلم) من مختلف النساء دونما حدّ إلا ما رآه اللّه إذ قال: «لا يَحِلُّ لَكَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ ..» و قد خصه بإتيان أجورهن قبل استحلالهن، و خصت به إماء الفي‏ء لاختصاص الفي‏ء به أيا كان، و أحلت له الأربع للقرابة و الهجرة كأن سواهن لا تحل له، و خصت به التي وهبته نفسها إن أراد استنكاحها و لماذا؟ إذ «قَدْ عَلِمْنا ما فَرَضْنا عَلَيْهِمْ فِي أَزْواجِهِمْ وَ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ» و لِكَيْلا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (51) فيكفيهم زواجا ما فرضنا عليهم في أزواجهم: «مَثْنى‏ وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ» و «ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُنَّ» من اسرى الحرب و ما يشترون او يوهب لهم، فزواجات الامة تخصر في الحقل العائلي و حظوة لجنس و الإنسال، و اما زواجات النبي فتزيد عليهم ضرورة النبوة حقولا اخرى يتوجب عليه فيها المزيد «لِكَيْلا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ..».

فهو الذي يجب عليه كحامل الرسالة أن يتزوج بحليلة دعّيه إبطالا لسنة جاهلية، و يتوجب عليه التزويج بأرامل الجهاد تشجيعا للجهاد و ترفيعا من شئون الأرامل، و يتوجب عليه زواجات اخرى من مختلف الأقوام ربطا بينها، و تخفيفا لما كان يتربص عليه من الدوائر، فلو لا ذلك الإحلال في مختلف المجال لكان عليه حرج:

تُرْجِي مَنْ تَشاءُ مِنْهُنَّ وَ تُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشاءُ وَ مَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُناحَ عَلَيْكَ ذلِكَ أَدْنى‏ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَ لا يَحْزَنَّ وَ يَرْضَيْنَ بِما آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ ما فِي قُلُوبِكُمْ وَ كانَ اللَّهُ عَلِيماً حَلِيماً (51) خيارات له (صلى اللّه عليه و آله و سلم) في نساءه قبل تزويجهن و بعده، قبل تطليقهن او بعده، ف- « «منهن» تعني فيما تعني‏ «امْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَها لِلنَّبِيِّ» فله إرجاءها تأخيرا لنكاحها كما فعل في‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 182

الأنصارية «1»، او تبعيدا لها إنكاحا لغيره كما في أخرى.، و له ايوائها عاجلا او آجلا باستنكاحها، ثم التي عزلها فلم يردها له ابتغاؤها بعد عزلها و «ذلِكَ أَدْنى‏ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَ لا يَحْزَنَّ» أن تؤوي إليك الواهبة نفسها فور هبتها، او تبتغيها بعد إرجاءها او عزلها.

و «منهن» نساءه بعد زواجهن‏ «تُرْجِي مَنْ تَشاءُ مِنْهُنَّ» تطليقا «وَ تُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشاءُ» إبقاء «وَ مَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ» ابتغاء الرجوع إليها أو نكاحها من جديد «فَلا جُناحَ عَلَيْكَ» كتأديب لها أولا ثم غفرانا «ذلِكَ أَدْنى‏ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَ لا يَحْزَنَّ».

و إرجاء ثالث تاخيرهن عن قسمهن او تقديمهن ام قسما سويا «وَ مَنِ ابْتَغَيْتَ» قسمها «مِمَّنْ عَزَلْتَ» عن قسمها «فَلا جُناحَ عَلَيْكَ ..» و لكنما القسم في المضاجعة واجب عليه كما في الأمّة، فيخص سماح ارجائه فيه في المواقعة.

و هل إن‏ «ذلِكَ أَدْنى‏ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَ لا يَحْزَنَّ وَ يَرْضَيْنَ بِما آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ» راجع الى ابتغاء من عزلها و كلا الإرجاء و الإيواء في معانيهما الثلاثة؟

و ليس ارجاء التي وهبت نفسها تركا لنكاحها قرير عينها! و لا إرجاء الطلاق، و تأخير القسم قرير عين لمن أرجئتا! و إن ذلك إيتاء لما آتاهن كلهن، و هذه و تلك سلب بعد الإيتاء او عدم الإيتاء!.

ام إنه استنكاح التي وهبت نفسها عاجلا، ام آجلا بعد الإرجاء التأخير فانه راجع الى إيواء، و

«من آوى فقد نكح و من أرجى فلم ينكح» «2»

.. ثم الإيواء الإبقاء لمن تزوجها دون طلاق ف-

«من آوى فقد

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1، 2). نور الثقلين 4: ح 190 في الكافي باسناده عن الحلبي عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) قال قلت أ رأيت قوله‏ «تُرْجِي مَنْ تَشاءُ ...»؟

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 183

نكح و من أرجى فقد طلق» «1»

ثم الإيواء الرجوع بعد إرجاء الطلاق، او تجديد العقد بعد العدة فانه ايضا من الإيواء او أحرى حيث الإيواء تلمح باضطراب سابق‏ «وَ مَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُناحَ» مورده المنصوص قبل «ذلك»! ثم الإيواء القسم بعد ارجائه، ايوائات ست بعد ارجاء ام دونه قد تعنيها «ذلك» و يناسبها «أَدْنى‏ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَ لا يَحْزَنَّ وَ يَرْضَيْنَ بِما آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ» دون إبلاس و لا إياس، و هو الأنسب للمقام أدبيا و معنويا، و قد آواهن كلهن فلم يطلّق و لم يردّ الواهبة نفسها و إن بإنكاحها غيره فتوفّي عن التسع اللاتي كن معه، على ما كان منهن من مظاهرة جامعة جامحة فنزلت ما نزلت‏ «2» و من تظاهرة عائشة و حفصة فنزلت ما نزلت‏ «3» تصبّرا على كلّ ذلك حيث إن‏ «ذلِكَ أَدْنى‏ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَ لا يَحْزَنَّ ...»!

هنا يؤمر نبي اللّه ان يقر عيونهن و لا يحزنهن مهما كلف الأمر، و طبعا ما لم يخالف شرعة اللّه و رضاه، تقديما لهواهن على هواه و رضاهن على رضاه ما لم يخالف رضى اللّه، و قد بلغ في ذلك مبلغا ما اللّه ينهاه:

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

قال: ... و رواه في المجمع عن أبي جعفر و أبي عبد اللّه (عليه السلام) و في الدر المنثور 5: 210-

اخرج ابن مردويه عن سعيد بن المسيب عن خولة بنت الحكيم قال‏ كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) تزوجها فأرجاها فيمن ارجا من نساءه.

(1). المصدر 294 ح 191 القمي في تفسيره قال الصادق (عليه السلام): ...

(2) يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْواجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَياةَ الدُّنْيا وَ زِينَتَها فَتَعالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَ أُسَرِّحْكُنَّ سَراحاً جَمِيلًا (38).

(3) «إِنْ تَتُوبا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما وَ إِنْ تَظاهَرا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَ جِبْرِيلُ وَ صالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذلِكَ ظَهِيرٌ عَسى‏ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْواجاً خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلِماتٍ مُؤْمِناتٍ قانِتاتٍ تائِباتٍ عابِداتٍ سائِحاتٍ ثَيِّباتٍ وَ أَبْكاراً».

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 184

يا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضاتَ أَزْواجِكَ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» (66: 1) تبيينا لما خالفت رضاهن رضى اللّه.

لا يَحِلُّ لَكَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ وَ لا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْواجٍ وَ لَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا ما مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَ كانَ اللَّهُ عَلى‏ كُلِّ شَيْ‏ءٍ رَقِيباً (52) من قبل لحد الآن أحلت له النساء المسلمات المذكورات و ما ملكت يمينه مما أفاء اللّه عليه و أحل له ان يبدل بهن من ازواج: «تُرْجِي مَنْ تَشاءُ مِنْهُنَّ وَ تُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشاءُ» إحلال الزواج دون حدّ، و إحلال التبديل بهن دون حدّ، و من الآن‏ «لا يَحِلُّ لَكَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ وَ لا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْواجٍ ..» فهل يعني من النساء كل النساء، و من بعد الآن‏ «لا يَحِلُّ لَكَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ وَ لا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْواجٍ ..» فهل يعني النساء كل النساء، و من بعد الآن، فلا يحل له اي زواج جديد و لا التبديل بأزواجه من ازواج؟ فلتكن هذه الآية نازلة بعد فترة من الزمن بامكانه ان يستنكح فيها التي وهبت له نفسها، و ان يتزوج من قريباته الأربع، فصلا هكذا في نزولها دون وصل، حيث الوصل يقضي على حكم الأصل! فلا يحل لك النساء من بعد هذه التسع اللاتي عندك الآن و لا التبديل بهن من ازواج، اللهم الا طلاقا دون تبديل، و قد مات عن هذه التسع لم يزد عليهن و لم ينقص عنهن و لا استبدل بهن! او يعني النساء من بعد هذه الأوصاف منذ الإحلال و حتى متى؟ و لكنه يتطلب اضافة تبيين هذا الموقف الخاص لبعد د- «من بعدهن- او- من بعد هذه الصفات» و من البعيد ان يعنى من البعد المجرد مقيدا هكذا او ذاك! ثم التبدل بهن من ازواج قسم من الزواج الجديد يستأصل اي‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 185

زواج مثلهن و سواهن، و هذه مرحلة ثانية من تحريم الأزواج من بعد، بعد الاولى المطلّقة التي قد يفل منها التبدل، فليصرح به استئصالا لاي زواج بعد حتى و ان طلقهن كلهن و يبقى بلا ازواج! او يعني النساء المحرمات في آية النساء «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهاتُكُمْ ..» «1» و لم تذكر هنا من قبل حتى تعنيهن «من بعد»! و لا أن حرمتهن «لك» كحكم يخصه دون الأمة! ثم لا معنى صالحا إذا ل- «وَ لا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْواجٍ» حيث المحرمات في آية النساء لم يكنّ محللات في اي زمن في نكاح جديد او استبدال، و الروايات الواردة هنا مما تحير العقول و لا تصلح محولة ل- «لا يَحِلُّ ..» عن نصها و ظاهرها مهما بلغت ما بلغت من كثرة! «2» كالتي تفسر «أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْواجٍ» بمبادلة الأزواج فوضى دون زواج، فانها كانت سنة جاهلية قضى عليها الإسلام منذ بزوغه بسنة الزواج على شروطه، فهل كان النبي يبادل هكذا ازواج‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1، 2).

نور الثقلين 4: 294 ح 193 في الكافي باسناده عن أبي بكر الحضرمي عن أبي جعفر (عليه السلام) في قول اللّه عز و جل: «لا يَحِلُّ لَكَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ» فقال (عليه السلام): انما عنى به لا يحل النساء التي حرم اللّه عليك في هذه الآية «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهاتُكُمْ ..» و لو كان الأمر كما يقولون كان قد أحل لكم ما لم يحل له لأن أحدكم يستبدل كلما أرادوا و لكن الأمر ليس كما يقولون ان اللّه أحل لنبيه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ان ينكح من النساء ما أراد الا ما حرم في هذه الآية في سورة النساء.

أقول و

روى ما في معناه عن الحلبي عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) و عن أبي بصير عنه (عليه السلام) بنفس الدليل، و لكنه تعالى قد أحل للامة الا يصلوا صلاة الليل، و لم يحل له تركها الى غير ذلك من مفارقات في محللات و محرمات فلا مورد لاستنكاره،

ثم تحويل «من بعد» هنا الى ما بعد آية النساء كاللغز و لا يقبل على كتاب اللّه و ان تواترت به الرواية.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 186

قبل التحريم حتى يرد نصه له خاصا دون المسلمين: «وَ لا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْواجٍ» سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم! و ترى كيف يعجب الرسول حسن نساء قبل أن يتزوج بهن او ان يراهن و ليس ليرى غير ذوات محرم؟ انها رؤية لارادة التزويج، محللة قدر الحاجة من معرفة الزوج من جمالها، و بطبيعة الحال يعجبه حسنها ان كانت جميلة، قضية تمييز الجميلة عن القبيحة لكل انسان و له (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أحرى فيما يحل.

فكما لم يكن عدد النساء اللاتي يحل له زواجهن غير محدد، لسياسة رسالية و حكمة تخصه، كذلك تحرم عليه النساء من ذلك التحليل الواسع لنفس الحكمة و السياسة، «إِلَّا ما مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَ كانَ اللَّهُ عَلى‏ كُلِّ شَيْ‏ءٍ رَقِيباً».

[سورة الأحزاب (33): الآيات 53 الى 62]

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلى‏ طَعامٍ غَيْرَ ناظِرِينَ إِناهُ وَ لكِنْ إِذا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَ لا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذلِكُمْ كانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَ اللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَ إِذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتاعاً فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَراءِ حِجابٍ ذلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَ قُلُوبِهِنَّ وَ ما كانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَ لا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْواجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذلِكُمْ كانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيماً (53) إِنْ تُبْدُوا شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِكُلِّ شَيْ‏ءٍ عَلِيماً (54) لا جُناحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبائِهِنَّ وَ لا أَبْنائِهِنَّ وَ لا إِخْوانِهِنَّ وَ لا أَبْناءِ إِخْوانِهِنَّ وَ لا أَبْناءِ أَخَواتِهِنَّ وَ لا نِسائِهِنَّ وَ لا ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُنَّ وَ اتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلى‏ كُلِّ شَيْ‏ءٍ شَهِيداً (55) إِنَّ اللَّهَ وَ مَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيماً (56) إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً مُهِيناً (57)

وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتاناً وَ إِثْماً مُبِيناً (58) يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْواجِكَ وَ بَناتِكَ وَ نِساءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذلِكَ أَدْنى‏ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (59) لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجاوِرُونَكَ فِيها إِلاَّ قَلِيلاً (60) مَلْعُونِينَ أَيْنَما ثُقِفُوا أُخِذُوا وَ قُتِّلُوا تَقْتِيلاً (61) سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً (62)

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 188

تتمة من اختصاصات النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ألّا يدخل بيته حتى باستئذان‏ «إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلى‏ طَعامٍ» رعاية لأوقاته الشريفة أن تهدر بلقاءات و زيارات لا تعني عناية جماهيرية لصالح المسلمين و كما عنته آية النجوى، و حفاظا زائدا على اهل بيته.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 189

على الامة له (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أدب الحضور في الملأ صلاة عليه و سلاما، و واجب التسليم له و كما ياتي في آية الصلاة و التسليم، و عليهم كذلك له ادب الحضور في الخلا ألّا يؤذوه بالدخول إلّا باذنه بدائيا دونما استئذان، و باطالة الجلوس إذا دعوا:

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلى‏ طَعامٍ غَيْرَ ناظِرِينَ إِناهُ وَ لكِنْ إِذا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَ لا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذلِكُمْ كانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَ اللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَ إِذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتاعاً فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَراءِ حِجابٍ ذلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَ قُلُوبِهِنَّ وَ ما كانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَ لا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْواجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذلِكُمْ كانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيماً (53).

هذه الآية تتضمن آدابا كانت الجاهلية تخالفها، دخولا في البيوت دونما استئذان و لا سيما بيت النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) إذ كان مهبط الوحي و منزل الرحمة، يعتبرونه مأواهم في كل وقت، و بيوتهم للأكل، و يطيلون الجلوس و الاستئناس لحديث بعد الاكل، مما كان يؤذي النبي و يستحيي منهم إن صارحهم بنهيه عن بيته، و عادة العرب احترام و استقبال الضيوف حتى إذا كانوا أعداء، و لكنما النبي لمكانته من رسالته يختلف عن سائر الناس في كيفية عشرته و صرف أوقاته، فمنزلته الكريمة من ناحية، و عبأه في بلاغه من اخرى، يتطلبان له فراغا لتطبيق واجبه الرسالي أكثر ممن سواه، ف- «لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلى‏ طَعامٍ» إذن‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 190

بدائي دونما استئذان فانه يتحرج و يستحيى إذا استأذن ألّا يأذن! «إِنَّ ذلِكُمْ كانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَ اللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ»! و قد تلمح‏ «غَيْرَ ناظِرِينَ إِناهُ» عدم السماح لانتظار وقت الإذن و السماح، حتى يكون هو الذي يأذن دونما انتظار و لا استئذان لطعام و سواه.

و ترى الإذن يخص اذنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)- و بطبيعة الحال- فانه صاحب البيت و اهله؟ فلما ذا «حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ» دون أن «يأذن»! علّه ليشمل موارد الضرورة، فانها إذن من اللّه قدر الضرورة و يبقى واجب الاستئذان لأجل النظر و تهيّؤ الاستقبال فهنا يجوز الاستئذان فضلا عن نظرة الإذن، لا أن يذخل دون صريح الإذن، فانه محظور في سائر البيوت و لبيت النبي فضله عليها! و علّ «الى طعام» ليس تخصيصا بطعام، فإذا أذن لغير طعام، لأمر أهم أمّاذا؟ فلا دخول! و انما تضييقا لدائرة الدخول الى بيوت النبي بدء باقلّه «الطعام» و اشارة الى ما فوقه. و قليل من هم الذين يدخلون لحاجة معرفية، و الرسول في متناولهم في اوقات الصلاة الخمسة، اللهم إلا لنجوى و قد حددته آيتها- و كانوا «إذا نهض الى بيته بادروه فأخذوا المجلس فلا يعرف بذلك في وجه رسول الله و لا يبسط يده الى طعام مستحييا منهم فعوتبوا في ذلك‏ «1».

تدخلون بيوته باذنه الى طعام و لكن «غير ناظرين إناه» فالنظر «الى» هو

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 5: 214- اخرج ابن سعد عن ممد بن كعب قال كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) إذا نهض ...

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 191

الإبصار او التفكير، و هو متعديا بنفسه كما هنا الانتظار «1».

و الإنى هو الوقت و الساعة و الحين، و هو النضج و الإدراك، فهو إنى اذنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) وقتا و هو إنى طعامه وقتا و نضجا، فليس لكم الانتظار لوقت اذنه، تربصا ان يأذن لكم الى طعام و سواه، إلا أن يأذن لكم «غير ناظرين إناه: نضج طعامه ام وقت إطعامه، و لا لكم إذا دخلتم بيوته باذنه لا الى طعام ان تنظروا «اناه»: ادراك طعامه و نضجه و قد لا يتهيأ لا طعامكم، و لا لكم إذا دعاكم الى طعام ان تدخلوا إلّا وقت الطعام، لا قبله ناظرين إني طعامه وقتا و نضجا و إدراكا «وَ لكِنْ إِذا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا» دخولا لطعام قدر وقته لا سابقا» ناظِرِينَ إِناهُ» و لا لا حقا جالسين بعد الطعام «ان ذلكم كان يوذي النبي فيستحي منكم و الله لا يستحي من الحق» «2».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ» (7: 53) «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ وَ الْمَلائِكَةُ ..» (2: 210) «فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ» (35: 43) «ما يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً واحِدَةً» (36: 49) «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ» (43:) 66) كل ذلك يعني الانتظار.

(2)

في الدر المنثور 5: 213 عن انس (رضي اللّه عنه) قال‏ لما تزوج رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون و إذا هو كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام فلما قام منهم من قام و قعد ثلاثة نفر فجاء النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ليدخل فإذا القوم جلوس ثم انهم قاموا فانطلقت فجئت فأخبرت النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) انهم قد انطلقوا فجاء حتى دخل فذهبت ادخل فالقى الحجاب بيني و بينه فانزل اللّه‏ «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا ...».

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 192

«وَ لا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ» قبل الطعام او بعده ام فيما ليس طعام، أ حديث بينكم أنفسكم؟ فله مجال في غير بيوته! فلا تتخذوها مقهى او ناديا تستأنسون فيه بحديث.

او حديث بينكم و بين نساءه فأرذل و أنكى، فما لكم و الاستئناس بحديث نساءه؟!.

او حديث بينكم و بينه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، تحدثونه و هو يسمع، او يجيب عما لا يعنيكم من سئوال «ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم و الله لا يستحي من الحق» اللهم إلّا سؤالا مفروضا ام راجحا في شرعة اللّه، و باحرى حديثا من رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ام سئوال متاع تحتاجونه من نساءه لكن: «وَ إِذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتاعاً فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَراءِ حِجابٍ» دونما استيناس لحديث، و لا سئوال راجح دون حجاب فوق حجابهن.

فآيات الحجاب لسائر الامة تخص حجاب النساء انفسهن عن الرجال الاغارب، و هذه تختص نساء النبي بحجاب فوق الحجاب، كرامة لبيت الرسالة و أمومة لنساءه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فلا يواجهوهن في سئوال ام غير سئوال إلّا من وراء حجاب و ستر يفصل بينهم و بينهن.

«ذلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ» تجنبا عن جاذبية الجنس و هن أمهاتكم «و قلوبهن» تجنبا عن مواجهة الرجال في غير حاجة راجحة و دون حجاب، ففي المواجهات القالبية اتجاهات قلبية، و هي في الجنس محرمة و لا سيما بالنسبة لأمهات المؤمنين!.

و ترى إذا لم يكن الاستحياء من الحق حقا لأن اللّه لا يستحي منه، فهل النبي يستحي باطلا؟ الحق المستحى منه هنا هو حقه (صلى اللّه عليه‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 193

و آله و سلم) الخاص القابل للسماح عنه على أذى، و هذا من كرم أخلاقه، ثم اللّه يحق حقه بكلماته و يقطع دابر المبطلين، و اما حق اللّه في عباده و عبادته، و حق الخلق فيما لهم و عليهم، فهما من حاق رسالته، ليس ليترك شيئا منهما استحياء، مهما رجع بالضرر اليه، و كما في زينب بنت جحش! كما و لا يحق له ان يستحي عن ضياع حقه في رسالته، ام في عرضه و ماله و سائر نواميسه الواجبة الحفظ.

و كضابطة عامة لا تستثنى على اية حال‏ «وَ ما كانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ» باي أذى معمّد «وَ لا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْواجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً» من بعد طلاقه او موته و كلاهما معنيان في «من بعده» إطلاقا ل «من بعده» لكلا البعدين في كلا البعدين: الطلاق و الموت، و لأنهما يؤذيانه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) على سواء، فلم يقل بعد طلاقهن او بعد موته، و انما «من بعده» منذ أصبح زوجا لهن.

فلا يحل لكم نكاح أزواجه «ابدا» في اي وقت و على اية حال و باي نكاح‏ «إِنَّ ذلِكُمْ كانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيماً» مدى عظمة رسول اللّه و رسالة اللّه، فإيذاءه عظيم عند اللّه! و ذنب كبير قد لا يغفره اللّه! «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 5: 214- اخرج ابن أبي حاتم و ابن مردوية عن ابن عباس في قوله‏ «وَ ما كانَ لَكُمْ ..» قال: نزلت في رجل هم ان يتزوج بعض نساء النبي (ص) و عنه قال رجل لئن مات محمد لا تزوجن عائشة فانزل اللّه الآية ... و

عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم قال‏ بلغ النبي (ص) أن رجلا يقول: ان توفي رسول اللّه (ص) تزوجت فلانة من بعده فكان ذلك يؤذي النبي (ص) فنزلت‏

و اخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: بلغنا ان طلحة بن عبيد اللّه قال: أ يحجبنا محمد عن بنات عمنا و يتزوج نساءنا من بعدنا لئن حدث به حدث لنتزوجن نساءه من بعده فنزلت ...

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 194

إِنْ تُبْدُوا شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِكُلِّ شَيْ‏ءٍ عَلِيماً (54).

ان تبدوا شيئا مما يؤذيه من نكاح أزواجه إمّا ذا من إيذاء «فَإِنَّ اللَّهَ كانَ» قبل نية الإبداء و بعدها، قبل الإبداء و بعده «بكل شي‏ء» من هذه و تلك «عليما» فعّمن تخفونه ما تخفونه؟

و مهما جاز دخول بيوت الأمة باستئذان لطعام و سواه فلا يجوز دخول بيوت النبي‏ «إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلى‏ طَعامٍ غَيْرَ ناظِرِينَ إِناهُ‏ ... وَ لا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ» حيث المتطلبات الرسالية تضيق عليه أوقاته الشريفة فلا يسطع ان يضيفكم او يطيل الجلوس في مجلسكم.

و هكذا تكون السنة فيمن يحذو حذو النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) «إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ» إذ يجوز دخول سائر البيوت باستئذان، و لكن بشرط ظاهر الرضا، و اما الأذن عن استحياء، او الأكل او طول المكوث، فلا يسمح باي تصرف فانه دون رضى مهما لفظ بإذن، و علينا ان نعيش واقعيين، بعيدين عن عشرة التخجيل و الاستحياء، فلا نستحي في الحق و لا نجعل الناس في استحياء، فشرّ الإخوان من تكلّف له.

آية السئوال من وراء حجاب هي اولى آيات الحجاب، ابتداء ببيت النبي كما في روايات و لكن:

لا جُناحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبائِهِنَّ وَ لا أَبْنائِهِنَّ وَ لا إِخْوانِهِنَّ وَ لا أَبْناءِ إِخْوانِهِنَّ وَ لا أَبْناءِ أَخَواتِهِنَّ وَ لا نِسائِهِنَّ وَ لا ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُنَّ وَ اتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلى‏ كُلِّ شَيْ‏ءٍ شَهِيداً (55).

أ ترى لماذا هنا يستثنى عن عموم فرض الحجاب- فقط- هؤلاء المذكورون، و يترك الأعمام و الأخوال كأنهم ليسوا من المحارم؟ ليس هنا

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 195

فرض الحجاب الأصل، و الأعمام و الأخوال ابعد من سائر المحارم فليظلوا هناك في عموم الحظر.

ام لعل آية النور متأخرة النزول عن آية الأحزاب كما تقتضيه طبيعة التكليف، فهي تعم الاستثناء بعد اختصاصه.

ثم «نسائهن» هنا و «ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُنَّ» هن كما في النور، نساء مؤمنات، و إماء مؤمنات.

إِنَّ اللَّهَ وَ مَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيماً (56).

آية منقطعة النظير، تحمل للبشير النذير هدية الصلوات الثلاث برحمات، من اللّه إنزالا، و من الملائكة و الذين آمنوا استنزالا، ثم‏ «وَ سَلِّمُوا تَسْلِيماً» له مطلقا دون شرط، كما الصلاة عليه مطلقة دون شرط! و اين تذهب صلاتنا و الملائكة بعد صلاة اللّه؟ فانما يريد اللّه تشريفنا قرنا لصلاتنا الى صلاته، لتكون صلات بيننا و بينه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كما بينه و بين ربه فيرحمنا بهذه الصلاة الصلات!.

و مثلث الصلاة هذه عليه في الملاء الأعلى و الأدنى تعني أن مقامه ارفع المقامات بين ملاء العالمين من الملائكة و الجنة و الناس أجمعين.

اجل‏ «هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَ مَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ» و اين صلاة من صلاة، حيث هذه تخرجنا من الظلمات الى النور و لكنما النبي هو نور في حالات و هالات من النور: «قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَ كِتابٌ مُبِينٌ» (5: 15) فالنبي هو النور و معه الكتاب النور، و لأن الكتاب متجسّد في روحه حيث كان خلقا القرآن فهو إذا نور على نور! فلا تعني صلوات اللّه عليه إلّا دوام تسديده بعصمة فائقة، و إتمام نوره‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 196

معرفة و عملا و علما و كما امره‏ «وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً» «يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَ اللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ» (61: 8) «أَ فَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ فَهُوَ عَلى‏ نُورٍ مِنْ رَبِّهِ ..» (39: 22).

رحمات اللّه ليست لها نهايات، فلتواصل على أفضل البريات و غاية الغايات، و قد تكفيه صلوات اللّه سلبا لما يتربصه من دوائر السوء، و إيجابا لما يليقه من مقامات الخير، فما هي حاجته الى صلوات ملائكة اللّه و صلواتنا، إلّا حاجاتهم و حاجاتنا، لهم ترفيعا لمقاماتهم، و لنا غفرانا لذنوبنا و استجابة لدعواتنا بشفاعة النبي المختار،

«بالصلاة تنالون الرحمة» «1»

مهما زادته (صلى اللّه عليه و آله و سلم) رحمة على رحمة- و لكنها لنا عون و نجاح الطلبة:

«صل على محمد و آله صلاة دائمة نامية لا انقطاع لأبدها و لا منتهى لأمدها و اجعل ذلك عونا لي و سببا لنجاح طلبتي إنك واسع كريم» «2»

«قد كان في الله و ملائكته كفاية و لكن خص المؤمنين بذلك ليثيبهم عليه» «3».

و مهما ردت دعوات منا حيث لا نأهل اجابة، لقصوراتنا و تقصيراتنا، فليست لترد صلواتنا على النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) إذ يأهل، كما اللّه يصلي عليه ابتداء دون دعاء، و هل يقبل اللّه دعائنا فيه ثم يرد دعائنا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

نور الثقلين 4: 302 ح 224 في كتاب التوحيد من خطب علي (عليه السلام) و فيها: بالشهادتين تدخلون الجنة و بالصلاة تنالون الرحمة فأكثروا من الصلاة على نبيكم و آله‏ إِنَّ اللَّهَ وَ مَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ..».

(2) في الصحيفة السجادية في دعائه (عليه السلام) في طلب الحوائج ...

(3)

الدر المنثور اخرج الاصبهاني في الترغيب و الديلمي عن انس (رضي اللّه عنه) قال قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم): ان أنجاكم يوم القيامة من أهوالها و موطنها أكثركم على في دار الدنيا صلاة انه قد كان ...

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 197

فينا؟ كلا، يا كريم! و لكن شرط «وَ سَلِّمُوا تَسْلِيماً» و كما سلّم لربه تسليما، فاستحق تلك المنزلة الرفيعة.

فمن آداب الدعاء و شرائط استجابة الدعاء ان تتوسط الصلاة على النبي و آله و كما نراه‏

في صحيفة الامام السجاد (عليه السلام): و عن الامام علي (عليه السلام) «ما من دعاء إلا و بينه و بين السماء حجاب الى ان يدعو لمحمد و آل محمد» «1».

عرفنا الصلاة عليه، فهل التسليم كما الصلاة ايضا عليه، ان نقول:

السلام عليك؟ ام التسليم له، استسلاما لأمره و مطاوعة لإمرته؟ لا فقط في لفظة القول؟ «2» علّه يعنيهما و لا سيما التسليم له و هو الأهم الأتم، «وَ سَلِّمُوا تَسْلِيماً» لا تحمل لا «له» و لا «عليه» فلتحمل التسليمين معا، و التسليم له هو الشرط الأصيل للايمان، و شرط اجابة الدعاء، فلو عني التسليم عليه فقط كما الصلاة لقال‏ «صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيماً»! و من التسليم له ان نصلي عليه كما امر: «اللهم صل على محمد و آل محمد ..» لا الصلاة البتراء كما نهى:

لا تصلوا عليّ الصلاة البتراء:

اللّهم صل على محمد!

و لقد تواترت الرواية عنه (صلى اللّه على محمد و آله محمد) ما لا تحصى بزيادة الآل، و الاكثرية الساحقة من المسلمين تعوّدوا ان يصلوا عليه الصلاة البتراء، ام إذا زادوا الآل ردفوا بهم ازواج النبي‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الديلمي في كتاب الفردوس رواه بسنده عنه (عليه السلام) و رواه مثله السمعاني في مناقب الصحابة بسنده عن الحارث و عاصم بن حمزة (عليه السلام)

(2)

نور الثقلين 4: 305 ح 235 في محاسن البرقي عن محمد بن سنان عمن ذكره عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) في الآية: اثنوا عليه و سلموا له.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 198

و أصحابه، فهم بين نقيصة بتراء و زيادة بتراء و اللّه منهما و الرسول براء! لقد اخرج الحفاظ و المصنفون و المحدثون و المفسرون ما يصعب إحصاؤه‏ «1» عن عدد من الصحابة كالإمام علي (عليه السلام) «2» و ابن‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). و ممن أورده محمد بن إدريس الشافعي في مسنده و البخاري في صحيحه باب كيف نصلي عليه و كذا في تاريخه الكبير ج 12 القسم الاول ص 351 و الحاكم في مستدركه 3: 148 و في معرفة علوم الحديث ص 32 و ابو نعيم الاصفهاني في اخبار اصفهان 1: 131 و يوسف بن عبد البر الاندلسي في تجريد التمهيد ص 185 و الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد 6: 216 و الواحدي النيسابوري في اسباب النزول ص 271 و البغوي في معالم التنزيل و الثعلبي في تفسيره و الحمويني في فرائده و ابو نعيم في الحلية و الديلمي في الفردوس و السمعاني في مناقب الصحابة و ابن العربي الاندلسي في احكام القرآن 1: 184 و الرازي في تفسيره الكبير 25: 226 و الذهبي في تلخيص المستدرك و القرطبي في تفسيره 14: 233- 234 و محب الدين الطبري في ذخائر العقبى ص 19 و محي الدين يحيى بن شرف النووي في رياض الصالحين ص 455 و الطبري في تفسيره 22: 27 و ابن كثير في تفسيره و ابو حيان الاندلسي في البحر المحيط 7: 248 و الدشتكي الشيرازي الهروي في روضة الأحباب في باب الصلاة على النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و محمد بن إدريس الهندي الكاندهلوي الحنفي في التعليق الصبيح في شرح المصابيح 1: 401 و المحدث السيد ابراهيم نقيب مصر في البيان و التعريف 3:

134 و الخازن في تفسيره 5: 326 و جلال الدين السيوطي الشافعي في بغية الدعاة ص 442 و في الدر المنثور حيث نقلنا الإخراجات عدد المروي عنه عن النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و الهيثمي في الصواعق المحرقة ص 144 و المولى محمد بن پير علي افندي البركوئي في الأربعين حديثا ص 264 و المير محمد صالح الكشفي الترمذي في مناقب مرتضوي ص 45 و الشوكاني في فتح الغدير 4: 293 و الالوسي في روح المعاني 22:

73 و ابو بكر العلوي الحضرمي في رشفة الصادي ص 34 و 29 و الجاوي في القول الفصل 3: 372 (ملحقات احقاق الحق 3: 252- 271).

(2) أخرجه عنه ابن أبي شيبة و احمد و عبد بن حميد و النسائي و ابن ماجة و ابن مردويه.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 199

عباس‏ «1» و أبي سعيد الخدري‏ «2» و أبي طالب‏ «3» و ابن أبي مسعود «4» و انس بن مالك‏ «5» و كعب بن عجرة «6» و طلحة «7» و عبد اللّه بن طلحة «8» و ابراهيم‏ «9» و أبي هريرة «10» و بشير بن سعد «11» و أبي مسعود الانصاري‏ «12»

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). أخرجه عنه ابن جرير عن يونس بن خباب قال خطبنا بفارس فقال: ان اللّه و ملائكته الآية قال: أنبأني من سمع ابن عباس يقول هكذا انزل فقالوا يا رسول اللّه قد علمنا الصلاة السلام عليك فكيف الصلاة فقال قولوا: ...

(2) أخرجه عنه عبد الرزاق و عبد بن حميد و ابن ماجة و بن مردويه.

(3) أخرجه عنه ابن مردويه.

(4) أخرجه عنه- فيمن أخرجه- ابن جرير.

(5) ممن‏

أخرجه عنه ابن جرير و سعيد بن منصور و عبد بن حميد و ابن أبي حاتم و ابن مردويه عن كعب بن عجرة قال‏ لما نزلت‏ إِنَّ اللَّهَ وَ مَلائِكَتَهُ ...» قيلنا يا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك؟ قال قولوا «اللهم صل على محمد و على آل محمد كما صليت على ابراهيم و على آل ابراهيم انك حميد مجيد و بارك‏ و اخرج مثله عنه عبد الرزاق و ابن شيبة و احمد و البخاري و مسلم و ابو داود و الترمذي و النسائي و ابن ماجة.

(6) أخرجه عنه ابن أبي شيبة و عبد بن حميد و النسائي و ابن أبي عاصم و الهيثم بن كليب الشاشي و ابن مردويه و ابن جرير.

(7) أخرجه عنه ابو داود و ابن مردويه و البيهقي في سننه و عبد بن حميد و النسائي و البخاري في الأدب المفرد.

(8) أخرجه عنه ابن سعد و احمد و النسائي و ابن مردويه.

(9) أخرجه عنه ابن جرير.

(10) أخرجه عنه فيمن اخرج ابن جرير عن عبد الرحمن بن كثير عنه و مثله مالك و عبد الرزاق و ابن أبي شيبة و عبد بن حميد و ابو داود و الترمذي و النسائي و ابن مردويه و ابن خزيمة و الحاكم و صححه و البيهقي في سننه.

(11) أخرجه عنه احمد و عبد بن حميد و ابن مردويه.

(12) أخرجه عنه مالك و احمد و عبد بن حميد و البخاري و مسلم و ابو داود و النسائي و ابن‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 200

و أبي حمية الساعدي‏ «1» و ام سلمة «2» و

أئمة اهل البيت (عليه السلام) كافة عن النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قوله: «تقولون: اللهم صل على محمد و آل محمد كما صليت على ابراهيم و بارك على محمد و آل محمد كما باركت على ابراهيم و آل ابراهيم ثم تسلمون علي»

و قد تختلف فيها صيغة النقل مع الحفاظ على الأصل: ان الصلاة على آل محمد لزام الصلاة عليه (صلى اللّه عليه و آله و سلم).

و قد يلمح وصف الخطاب‏ «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» ان الصلاة عليه و التسليم له من لوازم الايمان، اجل و كما الصلاة للّه مهما اختلفت صلاة عن صلاة اختلاف الأحد عن احمد!.

ان التسليم له (صلى اللّه عليه و آله و سلم) مما يجب ان يعيشه المؤمن في حياته الايمانية، ثم الصلاة عليه و آله من واجبات التشهد، و التسليم عليه من سنن السلام المندوبة، فلولا الصلاة عليه فلا صلاة، مهما كان التسليم عليه ندبا دون فرض.

و هل تجب الصلاة عليه دائبا دونما انقطاع؟ و هو حرج قاض على كافة الواجبات اللفظية حتى الصلاة! و كيف تربوا الصلاة عليه الصلاة للّه! فلتكن لاكثر تقدير مع كل صلاة! ام و كلما ذكر كما في متظافر

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

ماجة و ابن مردويه.

(1). أخرجه عنه مالك و احمد و عبد بن حميد و البخاري و مسلم و ابو داود و النسائي و ابن ماجة و ابن مردويه.

(2) محمد بن إدريس الشافعي في مسنده أخبرنا ابراهيم بن محمد أخبرنا صفوان بن سليم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة انه قال: يا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كيف نصلي عليك؟ فقال: تقولون ...

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 201

الروايات‏ «1» و كلما تدعوا استجابة لدعائك‏ «2» و كلما تذكر ربك‏ «3» فلتعش‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

المصدر اخرج الطبراني و ابن مردويه و ابن النجار عن الحسن بن علي رضى اللّه عنه قال: قالوا يا رسول اللّه أ رأيت قول اللّه: إن اللّه و ملائكته يصلون على النبي؟ قال:

ان هذا لمن المكتوم و لولا انكم سألتموني عنه ما أخبرتكم ان اللّه وكل بي ملكين لا اذكر عند عبد مسلم فيصلي علي الا قال ذانك الملكان غفر اللّه لك و قال اللّه و ملائكته جوابا لذينك الملكين آمين و لا اذكر عند عبد مسلم فلا يصلي علي الا قال ذلك الملكان لا غفر اللّه لك و قال اللّه و ملائكته لذينك الملكين آمين «أقول: آمين من اللّه اخبار عن الاستجابة لا دعائها

و

فيه اخرج احمد و الترمذي عن الحسين بن علي (ع) ان رسول اللّه (ص) قال: البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي‏

و

اخرج ابن ماجه عن ابن عباس و البيهقي في الشعب عن أبي هريرة قالا قال رسول اللّه (ص) من نسي الصلاة علي اخطأ طريق الجنة

أقول: يعني به التناسي و التساهل.

و

اخرج البيهقي في الشعب عن انس (رض) قال قال رسول اللّه (ص) اتاني جبرئيل فقال: رغم انف امرى ذكرت عنده فلم يصل عليك‏

و

اخرج القاضي إسماعيل عن الحسن (رض) قال قال رسول اللّه (ص) كفى به شحا ان يذكرني قوم فلا يصلون علي.

و

في نور الثقلين 4: 302 ح 220 في من لا يحضره الفقيه روى زرارة عن أبي جعفر (ع) انه قال: و صل على النبي (ص) كلما ذكرته او ذكره ذاكر عندك في أذان او غيره.

(2)

المصدر اخرج عبد الرزاق عن ابن عينية قال اخبرني يعقوب بن زيد التيمي قال قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) اتاني آت من ربي فقال: لا يصلي عليك عبد الا صلى اللّه عليه عشرا فقال رجل يا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)! ألا اجعل نصف دعائي لك؟ قال: ان شئت قال: الا اجعل كل دعائي لك؟ قال (صلى اللّه عليه و آله و سلم): اذن يكفيك اللّه هم الدنيا و الآخرة.

(3)

المصدر اخرج الترمذي و حسنة عن أبي هريرة عن النبي (صلى اللّه عليه و آله‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 202

ذكر اللّه‏ «اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً» و تعيش على ضوئه الصلاة على رسول اللّه‏ «1» و كما ندرس ذلك القرن الدائب من الشهادتين! انما الواجب من الصلاة عليه ما في تشهد الصلاة، و يليه على أشراف الواجب كلما ذكر، ثم و سائر الصلاة عليه سنة، فصلوات اللّه عليه و على آله ما طلعت الشمس و غربت‏ «2» و واجب التسليم له (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يشمل كل حياة التكليف في حياته (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و بعد مماته (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و كذلك سنة التسليم عليه فانه‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

و سلم) قال: ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا اللّه فيه و لم يصلوا على نبيهم الا كان عليهم ترة فان شاء عذبهم و ان شاء غفر لهم‏

و

فيه اخرج البيهقي في شعب الايمان عن جابر (رضي اللّه عنه) قال قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ما اجتمع قوم ثم تفرقوا عن غير ذكر اللّه و صلاة على النبي الا قاموا عن أنتن جيفة.

(1).

المصدر اخرج الترمذي و حسنة و ابن حبان عن ابن مسعود (رضي اللّه عنه) ان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قال: اولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة.

(2)

نور الثقلين 4: 301 في عيون الاخبار باب ما كتبه الرضا (عليه السلام) للمأمون عن محض الإسلام و شرائع الدين‏ «و الصلاة على النبي واجبة في كل موطن و عند العطاس و الذبايح و غير ذلك و في الخصال عن الأعمش عن جعفر بن محمد (عليه السلام) قال: هذه شرائع الدين- الى ان قال:- و الصلاة على النبي واجبة في كل المواطن و عند العطاس و الرياح و غير ذلك أقول عله يعني من واجبة ثابتة مهما اختلفت الثبوتات فرضا و ندبا،

و

في ثواب الأعمال عن أبي المعزا قال سمعت أبا الحسن (ع) يقول: من قال في دبر صلاة الصبح و صلاة المغرب قبل ان يثني رجليه او يكلم أحدا «إِنَّ اللَّهَ وَ مَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيماً اللهم صل على محمد و ذريته قضى اللّه له مائة حاجة سبعين في الدنيا و ثلاثين في الآخرة قال قلت ما معنى صلاة اللّه و صلاة ملائكته و صلاة المؤمن؟ قال: صلاة اللّه رحمة من اللّه و صلاة

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 203

المجيب ميتا كما يجيب حيا «1» ثم الصلاة عليه في صلاة و سواها فانه يسمع سلامنا و صلاتنا دون ان تهدر بلا جواب و صواب او ثواب! «2».

و لان الصلاة عليه احسن هدية اليه و هو أحق من يهدى اليه فقولوا:

«اللهم اجعل صلواتك و رحمتك و بركاتك على سيد المرسلين و إمام المتقين و خاتم النبيين محمد عبدك و رسولك إمام الخير و قائد الخير و رسول الرحمة، اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه به الأولون و الآخرون، اللهم صل على محمد و على آل محمد كما صليت على ابراهيم و آل ابراهيم انك حميد مجيد» «3»

و كما

قال (صلى اللّه عليه و آله و سلم) اللهم صل على محمد و أبلغه درجة الوسيلة من الجنة اللهم اجعل في المصطفين محبته، و في المقربين مودته، و في علّيين ذكره و داره، و السلام عليك و رحمة اللّه و بركاته اللهم صل على محمد و على آل محمد كما صليت على ابراهيم و على آل ابراهيم‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

الملائكة تزكية منهم له و صلاة المؤمنين دعاء منهم له.

(1).

المصدر اخرج البيهقي في الشعب و الخطيب و ابن عساكر عن أبي هريرة قال قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم): من صلى علي عند قبري سمعته و من صلى علي نائيا كفي امر دنياه و آخرته و كنت له شهيدا و شفيعا يوم القيامة

و

عنه قال قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم): أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة فانها معروضة علي.

(2)

المصدر أخرج البيهقي في شعب الايمان و ابن عساكر و ابن المنذر في تاريخه عن أنس بن مالك (رض) قال قال رسول اللّه (ص): إن أقربكم مني يوم القيامة في كل موطن أكثركم علي صلاة في الدنيا من صلى علي يوم الجمعة و ليلة الجمعة مائه مرة قضى اللّه له مائة حاجة سبعين من حوائج الآخرة و ثلاثين من حوائج الدنيا ثم يوكل اللّه بذلك ملكا يدخله في قبري كما يدخل عليكم الهدايا يخبرني بمن صلى علي باسمه و نسبه الى عشرة فأثبته عندي في صحيفة بيضاء.

(3) الدر المنثور 5: 219- اخرج عبد الرزاق و عبد بن حميد و ابن ماجه و ابن مردويه عن ابن مسعود قال: إذا صليتم على النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فأحسنوا الصلاة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه قالوا: فعلّمنا قال: قولوا ...

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 204

انك حميد مجيد و بارك على محمد و على آل محمد» «1».

و أخصر صلاة عليه «اللهم صل على محمد و آله» يكتفى بها حال الدعاء كما في الصحيفة السجادية، ثم «و آل محمد» كلما ذكر، ثم أحسنوا الصلاة عليه حسب المستطاع في سائر الحالات و المجالات و كما في صلاة الجمعة و الميت.

و من اللمحات اللامعة في هذه الآية فرض الصلاة على النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) لمّا مات، و كما صلى عليه اهل المدينة و اهل العوالي‏ «2» فصلوات اللّه عليه حيا و صلوات اللّه عليه حين مات و صلوات اللّه عليه مدى الدهر، كما و من التسليم له التسليم لمن وصاه بأمر اللّه‏ «3».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). المصدر اخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال قلنا يا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)! قد عرفنا كيف السلام عليك فكيف نصلي عليك قال: ...

(2)

نور الثقلين 4: 303 ح 228 في اصول الكافي عن أبي مريم الانصاري عن أبي جعفر (عليه السلام) قال‏ قلت له كيف كانت الصلاة على النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم)؟ قال: لما غسله امير المؤمنين (عليه السلام) و كفنه و سجاه ثم ادخل عليه عشرة فداروا حوله ثم وقف امير المؤمنين (عليه السلام) في وسطهم و قال: «إِنَّ اللَّهَ وَ مَلائِكَتَهُ ...» فيقوم القوم كما يقول حتى صلى عليه اهل المدينة و اهل العوالي‏

و

فيه عن جابر عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: لما قبض النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) صلت عليه الملائكة و المهاجرون و الأنصار فوجا فوجا

قال و قال امير المؤمنين (عليه السلام) سمعت رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يقول‏ في صحته و سلامته: انما نزلت هذه الآية علي بعد قبض اللّه لي‏ «إِنَّ اللَّهَ وَ مَلائِكَتَهُ ..»

أقول: يعني انها تعني فيما تعني الصلاة علي بعد موتي.

(3)

المصدر 305: 234 في كتاب الاحتجاج عن امير المؤمنين (عليه السلام) فاما ما علمه الجاهل و العالم من فضل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) من كتاب اللّه فهو قول اللّه سبحانه‏ «إِنَّ اللَّهَ وَ مَلائِكَتَهُ ...» و لهذه الآية ظاهر و باطن، فالظاهر قوله «صلوا عليه» و الباطن قوله‏ «وَ سَلِّمُوا تَسْلِيماً» اي سلموا لمن وصاه و استخلفه عليكم فضله و ما عهد به اليه تسليما و هذا مما أخبرتك انه لا يعلم تأويله الا من لطف حسّه وصفي ذهنه و صح تمييزه.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 205

إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً مُهِيناً (57).

إيذاء اللّه و رسوله لا تحمله إلّا هذه الآية، و قرن الرسول في ايذاءه باللّه مما يؤذون ان في إيذاء الرسول إيذاء اللّه، فانه يحمل رسالة اللّه، فإيذاءه كرسول إيذاء للمرسل، و اين إيذاء من إيذاء؟

الذين يؤذون رسول اللّه ينالون منه و يظلمونه، انتقاصا من ساحته و تكديرا لقلبه، و تكويرا لنوره، فهو يتغير بما يغيّرون و يتأثر بما يتقولون و يفتعلون: «وَ مِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَ يَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ يُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ رَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ» (9: 61).

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسى‏ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قالُوا وَ كانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً» (33: 69).

أ ترى الوقيعة في اهل بيت الرسول (عليهم أفضل الصلوات) و شكيمتهم لا تؤذيه؟

او ان سن السباب على أخيه و خليفته علي امير المؤمنين (عليه السلام) لا يؤذيه؟

ام إن تحريض المؤمنين في حرب الجمل من صاحبة الجمل لا يؤذيه؟

سلوا خال المؤمنين و أمهم امّن هم من هؤلاء الذين نكلوا بأفلاذ كبده و ركلوهم، هل إن هذه تفرحه ام تؤذيه‏ «لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً مُهِيناً»! ثم اللّه ليس ليتأذى كخلقه سواء، إذ لا يتغير بانغيار المخلوقين، فإيذاءه أمّاذا من هذه المتشابهات يجرّد عما للخلق من تأثّر و تغيّر، و يستخلص كما يناسب ساحة الربوبية في تحرير خلو عن اي تعيير، فكما ان‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 206

غضب اللّه عذابه، كذلك ايذاءه من موجبات عذابه.

و ما أشنعه و أبشعه و هم يحاولون أذى ربهم و ما هم ببالغيه و لو بشق الأنفس، و انما ذلك تعبير يصور حساسية مرهفة بإيذاء الرسول، و كأنما هو إيذاء للّه، كما و إجاعة المؤمن كأنها إجاعة اللّه، أماذا من تعابير تصور فضاضة الفعل و هزازته في ميزان اللّه، و كأنها واصلة الى اللّه! ثم و من الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يستطرد الى المؤمنين:

وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتاناً وَ إِثْماً مُبِيناً (58).

قد يكتسب المؤمن ذنبا بحق اللّه او الخلق فيؤذى حدا او تعزيرا كما حدد في شرعة اللّه، او يعتدى عليه كما اعتدى، و أما أذاهم بغير ما اكتسبوا في براءة متأكدة، ام جريمة غير ثابتة فإنها احتمال لحملين اثنين.

1- «فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتاناً» حيث الأذى من مؤمن الى مؤمن تنادي في ظاهر الحال انه اكتسب إثما به يؤذى، فرية عملية و بهتة فعليه.

2- «وَ إِثْماً مُبِيناً» في اصل الإيذاء شكيمة له و تحسسا منه، قد يخلّف ما لا تحمد عقباه، و هكذا تكون الأذى قوليا بقالة السوء عنهم، و اشاعة التهم ضدهم، ثم ويلاه الجمع بين قالة و فعلة مؤذية، و كما افتعلوها باهل بيت الرسالة القدسية و من نحى نحوهم من الكتلة الايمانية «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

نور الثقلين 4: 306 ح 241 عن المفضل بن عمر قال قال ابو عبد اللّه (عليه السلام) إذا كان يوم القيامة نادى مناد اين الصدود لاوليائي فيقوم قوم ليس على‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 207

قضية الايمان هي الرحمة الى اهله، و قضية اللاايمان الشرس إيذاء إلهه، و بينهما عوان لا رحمة و لا أذى هو من ضعفاء الايمان، غير الملتزمين بقضايا الايمان و لزاماته.

يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْواجِكَ وَ بَناتِكَ وَ نِساءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذلِكَ أَدْنى‏ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (59).

كما تحرم أذى المؤمنين و المؤمنات بغير ما اكتسبوا، كذلك يحرم التعرض للأذى بتهيئة أسبابها، و ذلك في بعدية بالنسبة للمؤمنات اشدّ و أنكى، فعلى نساء المؤمنين إماء و حرائر «1» ما دمن مؤمنات ان يدنين عليهن من جلابيبهن: الملابس الشاملة قرن ذيل، فلا يرسلنها مبسوطة ترى زينهن من خلالها، فهنالك حجاب لرءوسهن هي الخمر: «وَ لْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلى‏ جُيُوبِهِنَّ» سترا للصدور و الثديّ الثغور، و هنا حجاب لسائر أبدانهن هي الجلابيب: «يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ» و كما الباء في «بخمرهن» تلمح بتبعض الحجاب في رءوسهن فلا يشمل وجوههن، كذلك «من» في «من جلابيبهن» و الوجوه هي اقل تقدير من الخارج عن فرض حجابهن، ثم اليدان و الرجلان و كما في متظافر الأحاديث.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

وجوههم لحم فيقال: هؤلاء الذين آذوا المؤمنين و نصبوا لهم و عاندوهم و عنفوهم في دينهم ثم يؤمر بهم الى جهنم‏

و 242

في الخصال عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: الناس رجلان مؤمن و جاهل فلا تؤذي المؤمن و لا تجهل على الجاهل فتكون مثله‏

و

القمي عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قال: من بهت مؤمنا او مؤمنة أقيم في طينة خبال او يخرج مما قال.

(1). هنا روايات وردت في الدر المنثور ان هذا الفرض يخص الحرائر، فهل ان الإماء المؤمنات لا باس في إيذائهن و التعرض للإيذاء؟ هذه خرافة طبقية قومية تجنب عنها ساحة الإسلام.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 208

«ذلك» الإدناء دون إرسال، «أَدْنى‏ أَنْ يُعْرَفْنَ» بالعفاف‏ «فَلا يُؤْذَيْنَ» فالمرأة المكشوفة، المسترسلة المبتذلة تؤذى زعم انها من اهل التونس، فلتظهر العفيفة بمظاهر العفاف كيلا تؤذى، زعم الباطل بحقها.

إن أذى القالة فيهن و من ثم متابعتهن الى الفعلة فيهن من قبل الفساق و اضرابهم، هي من مخلفات عدم حجابهن كما يجب، إذ لا يعرفن بالعفاف حيث لا ظاهرة له، فكما يفرض عليهن عفاف الباطن كيلا ينجذبن بجواذب من سراق الجنس، كذلك عليهن آياته الظاهرة من حجاب و سائر الملامح كيلا يخيّل فيهن عدم العفاف.

فإذا تحجبت بكاملها و لكنها تغنجت و أبرزت حركات و قولات تدل على سخافتها فقد عرفت بعدم العفاف، فلم ينفعها الحجاب- إذا- إلّا هزء بكل حجاب، و هي اشر ممن لا تحتجب و ليست عليها ملامح عدم العفاف إلّا عدم الحجاب، و خير منهما غير المحتجبة التي تلمح بعفافها قولة و فعلة و في حركات و تصرفات، و لكنما الواجب على المؤمنة الجمع بين العفافين منعا لإثارة الجنس و استثارته، فمهما عرفت بالعفاف فلا يؤذيها الفساق، ففي تبرّجها او عدم الحجاب تأذي المؤمنين و تبذل المؤمنات! و قد يبدو من ملامح آية الجلابيب- و كما تؤيده الروايات- انها اولى آيات الحجاب، حيث تكتفي ب «ادنى» ان يعرفن فلا يؤذين «كحكمة اولى هي أقوى الحكم لفرض الحجاب، و من ثم آية النور «قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا ... وَ لْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلى‏ جُيُوبِهِنَ‏ ... وَ لا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ ما يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ..» تفرض حجابا فوق الحجاب، و بصورة مطلقة تحلّق على «ان يعرفن» او لا يعرفن، او ذين ام لا يؤذين، حيث الحجاب الإسلامي على النساء تتبناه حكم عدة أولاها و أولاها «أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ».

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 209

لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجاوِرُونَكَ فِيها إِلَّا قَلِيلًا (60).

تهديد شديد يعم المنافقين و الذين في قلوبهم مرض، منهم كأنحسهم و من سواهم من المشركين ام ضعفاء الايمان المستغلين، كذلك و المرجفون في المدينة أية رجفة ضد الطمأنينة الإسلامية.

لئن لم ينتهوا «لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ»: نحرضنك عليهم‏ «ثُمَّ لا يُجاوِرُونَكَ» فيها بعد ذلك التحريض «إلّا قليلا» من الوقت، او قليلا منهم هم اقل إرجافا و إرهافا، و من ذلك التحريض الحكم الصارم:

مَلْعُونِينَ أَيْنَما ثُقِفُوا أُخِذُوا وَ قُتِّلُوا تَقْتِيلًا (61).

«ملعونين» في حساب اللّه إذ لعنهم اللّه و «ملعونين» بين المؤمنين باللّه إذ عليهم طردتهم و عزلهم عن جوّ الايمان كيلا يكدّروه و يقذروه.

«مَلْعُونِينَ أَيْنَما ثُقِفُوا» و «أَيْنَما ثُقِفُوا أُخِذُوا وَ قُتِّلُوا تَقْتِيلًا» فآخر الدواء الكي حين لا يكفي طردهم بأسهم.

سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (62).

سنة دائبة إلهية «فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ» مؤمنين و سواهم، طردا و قتلا للمرجفين ضد الرسل و الرسالات الإلهية، و واجبا جماهيريا للكتلة المؤمنة أن يطهروا الأجواء حسب المستطاع من المرجفين‏ «وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا».

و ليست التقية في ظروفها تبديلا لهذه السنة السنية، حيث التكليف مرفوع عندها، و انما تطبّق هذه السنة عند الاستطاعة حسب المستطاع.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 210

[سورة الأحزاب (33): الآيات 63 الى 73]

يَسْئَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ اللَّهِ وَ ما يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً (63) إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكافِرِينَ وَ أَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً (64) خالِدِينَ فِيها أَبَداً لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَ لا نَصِيراً (65) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يا لَيْتَنا أَطَعْنَا اللَّهَ وَ أَطَعْنَا الرَّسُولا (66) وَ قالُوا رَبَّنا إِنَّا أَطَعْنا سادَتَنا وَ كُبَراءَنا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا (67)

رَبَّنا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذابِ وَ الْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً (68) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسى‏ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قالُوا وَ كانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً (69) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ قُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمالَكُمْ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ فازَ فَوْزاً عَظِيماً (71) إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَ أَشْفَقْنَ مِنْها وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً (72)

لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنافِقِينَ وَ الْمُنافِقاتِ وَ الْمُشْرِكِينَ وَ الْمُشْرِكاتِ وَ يَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (73)

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 211

يَسْئَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ اللَّهِ وَ ما يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً (63).

سئوال عن وقت الساعة تعنتا لها و نكرانا، كأنها حين لا جواب عنه فلا حقيقة لها، و الجواب الحاسم‏ «قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ اللَّهِ» و لا جواب سواه إلّا ترجي قربها «لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً» عل البداية هي خلق هذا الإنسان حيث السائلون هم من هذا النسل فلا يعرفون مدى قربها إلا بمعرفة البداية، ام هي بداية خلق المكلفين قبل هذا الإنسان، فقربها يطمئننا ان الأكثر أيا كان لقد مضى، و على اية حال:

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 212

إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكافِرِينَ وَ أَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً (64) خالِدِينَ فِيها أَبَداً لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَ لا نَصِيراً (65).

السعير نار شديدة الحرارة و الزبانية، و هي من مظاهر اللعنة الاخروية، «خالِدِينَ فِيها» اللعنة بمطلق الخلود الذي فيه خروج، او الخلود المطلق الذي ليس فيه خروج، و الخلود- أيا كان- يخص الكافرين، و اما سواهم ممن يستحق العذاب، فعذاب البرزخ، ثم الشفاعة في القيامة، ثم مس سقر دون خلود، اللهم الا من هو كالكفار المعاندين، كما و من الكفار من لا يخلد او لا يعذب و هم القاصرون.

يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يا لَيْتَنا أَطَعْنَا اللَّهَ وَ أَطَعْنَا الرَّسُولَا (66).

«تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ» عما كانت يوم الدنيا الى حقائقها النحسة الكالحة، و «تقلب» حال بعد حال في سيئات الأحوال، و «تقلب» من جهة على النار كاللحم يشوى، و الى سائر التقلبات السوء هناك حسب سوء التقلبات هنا جزاء وفاقا.

ثم «يا ليتنا» التحسر الدائب عذاب فوق العذاب، كما:

وَ قالُوا رَبَّنا إِنَّا أَطَعْنا سادَتَنا وَ كُبَراءَنا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (67).

و هي مقالة الأتباع، حيث الكافرين يعمهم و المتبوعين و للكل خلود، مهما اختلف خلود عن خلود و هذه القيلة لهم حيلة كأنها لهم عاذرة عن كفرهم، ام مخفقة عن عذابهم، و اما مضاعفة العذاب لمضلليهم فهو لا محالة واقع:

رَبَّنا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذابِ وَ الْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً (68).

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 213

مهما لا يستجابون ككل، فقد يضاعف لهم العذاب، و اخرى‏ «لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَ لكِنْ لا تَعْلَمُونَ» (7: 38) مهما اختلف ضعف عن ضعف، فضعف المضللين لضلالهم و اضلالهم، و ضعف المضللين لضلالهم و تخاذلهم في اتباعهم!.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسى‏ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قالُوا وَ كانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً (69).

هذه اذية خاصة فيها فرية و تهمة لمكان‏ «فَبَرَّأَهُ اللَّهُ» مهما كانت مطلق الأذية محرمة: «إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ ..»

و لكن اذية الفرية هي العن و أنكى.

و ل «إِنَّ اللَّهَ يُدافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا» (32: 38) فضلا عن الرسل، فلا تبقى فرية على رسول إلّا مبرئة بما وعد اللّه، مهما طالت المدة ام قصرت، و مهما مضت على الفرية ردح فالمهم هو الوجاهة عند اللّه‏ «وَ كانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً».

و مما آذوا النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) هي قصة الإفك، و قصة حليلة زيد، و قد برأه اللّه في اذاعة قرآنية خالدة، كما برء موسى مما نسبوا اليه من فاحشة «فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قالُوا».

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ قُولُوا قَوْلًا سَدِيداً (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمالَكُمْ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ فازَ فَوْزاً عَظِيماً (71).

القول السديد هو شديد السداد حيث يسدّ عنه تخلفه عن العقيدة فانه نفاق، ام تخلفة عن الواقع فهو كذب، ام تخلفه عما يعنيه فهو لغو، فليسدّ عن اقوال المؤمنين كافة الثغرات و النوافذ الى باطل، و هذا من مخلفات تقوى اللّه، إذ تشمل القول الى العمل الى الاعتقاد.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 214

و القول السديد يصلح الأعمال، و هو ذريعة لغفر الذنوب، ثم القول السديد و صالح العمل هما طاعة اللّه الرسول، و هي الفوز العظيم.

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَ أَشْفَقْنَ مِنْها وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولًا (72) لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنافِقِينَ وَ الْمُنافِقاتِ وَ الْمُشْرِكِينَ وَ الْمُشْرِكاتِ وَ يَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (73).

آية الامانة هذه منقطعة النظير في عرض الأمانة على الكون كله فإبائها عن حملها و الإشفاق منها و ان الإنسان حملها «إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولًا» فما هي تلك الامانة و ما هو عرضها و حملها و الاباء عن حملها؟

الامانة- بوجه عام- هي كل ما يؤمن عليه و يطمئن به مالا او حالا او عملا إمّا ذا من واجب الأداء الى أهلها كما اؤتمنت و حيث و أنّى و كيفما، و لا تصدق الأمانة إلّا فيما قبلت طوعا او كرها فأداء لها ام خيانة فيها، و اما التي لم تقبل حتى يؤمن عليها فتؤدى او تخان، فلا تحمل اسم الامانة مهما وجب قبولها او لم يجب، و كما و هي مستحيلة بالنسبة للأمور التي ليست لتنفصل عن المؤتمن حتى يأتمن غيره فيها.

ثم المقبولة طوعا كسائر الأمانات او كرها كامانة السماوات و الأرض و الجبال و من ضمنها الإنسان، هي بين محمولة دون رد و بين مؤداة، فمن طبع الامانة أداؤها لا حملها إلّا لأدائها، فمن حملها فقد خانها: فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمانَتَهُ وَ لْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ (3: 283) إن‏ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى‏ أَهْلِها وَ إِذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ (4: 58) كشريطة من شروط إسلام التكليف، و باحرى ايمانه: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ وَ تَخُونُوا أَماناتِكُمْ (8:) 27) وَ الَّذِينَ هُمْ لِأَماناتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ راعُونَ (23: 8).

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 215

و قد تختلف الأمانات و جاه متقبليها في عرضها، فلا تعرض امانة العقل على من ليس يعقل، و لا امانة الشعور على من ليس يشعر، و لا اية امانة على ما ليس ليحملها، و هنا «الامانة» معروضة على الكون كله فكائنة كامنة في الكون كله، المعبر عنه هنا و في سائر القرآن ب «السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» و تخصيص الجبال من زمرة غير العقلاء يعني مثالا لأصلب كائن و أصلده، كما تخصيص الإنسان من زمرة العقلاء يعني اعقل كائن، فهذه الامانة من الرحمة الرحمانية بعد الخلق كالهداية العامة «رَبُّنَا الَّذِي أَعْطى‏ كُلَّ شَيْ‏ءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى‏» و من الهدى لكل شي‏ء هدي التسبيح‏ «وَ إِنْ مِنْ شَيْ‏ءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ» و تجمعهما الولاية و كما في رواية.

إذا فليست هي فقط- امانة العقل إذ تخص العقلاء، و لا امانة الشعور إذ تخص الدواب، و لا اية امانة تخص كائنا دون سواه، فهي إذا امانة تعم كل كائن هي مخلوقة معه مفطورة فيه، خلقت مع الخلق كله و عرضت على الخلق كله فانقسم في هذا العرض العريض الى من‏ «فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَ أَشْفَقْنَ مِنْها وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولًا» فهي- إذا- الولاية، شعور التسبيح بحمد اللّه و واقعه.

و لأنها امانة فقد تحملها الكون كله كرها في تكوينه، إذ لا تسمى امانة و جاه من لم يتقبلها، ثم و لا موقف لها امانة إلّا أداؤها او خيانتها:

«فَأَبَيْنَ‏ ... وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ» بعد تحملّها في كره التكوين فحمل الامانة هو خيانتها، و الإنسان هو رأس الزاوية في خيانة الامانة ثم الجن ثم سائر المكلفين، فهو من هذه الناحية- ككلّ و مجموعة- في أسفل سافلين، و من حيث السابقين و المقربين و اصحاب اليمين هو رأس الزاوية في أداء الامانة سليمة فهو في أعلى عليين، حيث الرسالات الإلهية في الأصل ليست الا في‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 216

قبيل الإنسان. و لو ان حمل الامانة يعني- فقط- تحملها، لم يكن للإباء عنها مجال لأي كائن، حيث العرض الرباني لها بجمعية الصفات «انا عرضنا» ليس الا لصالح الكائنات، فالتخلف عن قبولها تخلف عن ارادة اللّه، و لو كان بالإمكان لكان من العصيان، فقبولها طاعة، فكيف يعلّل‏ «وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ» إذا ب «إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولًا»، و من ثم «ليعذب ..» فهل ان مطاوعة الرب في تقبل الامانة المعروضة ظلم و جهل يستتبعان العذاب؟! إذا فهي بعد ثان من تكوين كل شي‏ء و كينونته، لكل حسب مستواه و مستطاعه و وهبته دون زائد و لا ناقص، فهي لمن يعقل تكليف العقل قدره، و لمن يشعر تكليف الشعور قدره في حيوان ام نبات ام جماد:

تُسَبِّحُ لَهُ السَّماواتُ السَّبْعُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ وَ إِنْ مِنْ شَيْ‏ءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً (17: 44).

ان امانة التكليف بصيغة اخرى هي «الولاية» «1» ولاية اللّه في تسبيح دائب كما لسائر الكون، و سائر الولايات في درجاتها لكل كتلة كما تناسبها كولاية الرسل لسائر المكلفين و ولاية الرسول و الأئمة «2» في خاتمة الرسالات‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

نور الثقلين 4: 309 ح 258 في عيون اخبار الرضا باسناده الى الحسين بن خالد قال: سألت أبا الحسن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) عن قول اللّه عز و جل‏ «إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ ..» فقال: امانة الولاية من ادعاها بغير حق كفر

و في معاني الاخبار ح 260 مثله و في ح 267 بصائر الدرجات عن أبي جعفر (عليه السلام) في الآية قال‏ الولاية أبين ان يحملنها كفرا و حملها الإنسان و الإنسان الذي حملها ابو فلان‏

أقول حملها كفرا هو خيانتها كما خانها ابو فلان.

(2)

المصدر ح 261 في اصول الكافي عن إسحاق بن عمار عن رجل عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) في الآية قال: هي ولاية امير المؤمنين (عليه السلام) أقول انه من‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 217

للخلق أجمعين، و التكليف صفة عامة في الولايات بدرجاتها و من أهم الأمانات العملية الصلاة «1».

اجل! انها بوجه يعم و يطم هي امانة التكليف طوعا او كرها حيث كلّفها كلّ وسعه، و تسبيح اللّه بحمده واقع لا ريب فيه في كل شي‏ء، اللهم الا الإنسان و أضرابه‏ «إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولًا»! و عرض الأمانة هذه بذلك العرض العريض ليس ليعني عرض التخيير الترديد، بل هو عرضها على كل كائن بفرضها في ذات تكوينه، عرض يعني عرض الحال للبعد الثاني في كل كائن، حال واقعة لا مناص عنها في كينونته، «إِنَّا عَرَضْنَا ..» ليس إلّا عرض واقع الحال للإنسان الظلوم الجهول، انه المتخلف الوحيد في الكون كله بمن معه من أضرابه الجن امّن ذا، و كما الأسماء عرضت على الملائكة لبيان حالهم و جاه العلم بها «وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ» (2: 31) و كما الصافنات الجياد عرضت على سليمان (38: 31) كما «وَ عُرِضُوا عَلى‏ رَبِّكَ صَفًّا» (18: 48) كعرض الخير على اهله، و يماثله في اصل العرض الشر لأهله: «وَ عَرَضْنا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكافِرِينَ عَرْضاً» (18: 100) «وَ يَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّباتِكُمْ فِي حَياتِكُمُ الدُّنْيا وَ اسْتَمْتَعْتُمْ بِها» (46: 40) «النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها غُدُوًّا وَ عَشِيًّا» (40: 46).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

باب الجري و التطبيق على بعض المصاديق فقبلها ولاية الرسول و قبلهما ولاية اللّه، و الاخيرة هي العامة للكون كله.

(1).

المصدر ح 265 في عوالي اللئالي في الحديث‏ ان عليا (عليه السلام) إذا حضر وقت الصلاة يتململ و يتزلزل و يتلون فيقال له مالك يا امير المؤمنين (عليك السلام) فيقول: جاء وقت الصلاة وقت امانة عرضها اللّه على السماوات و الأرض و الجبال فأبين ان يحملنها و أشفقن منها أقول صلاة كل شي‏ء بحسبه فهي لهذه الثلاث التسبيح كما في آياته.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 218

فكما الجنة و الرحمة هما البعد الثاني لاهلهما لزاما لهما عطاء من ربك جزاء وفاقا، و كما النار هي البعد الثاني لأهلها جزاء حسابا يوم الاخرى، كذلك الامانة المعروضة على الكون كله هي البعد الثاني في الاولى، المتبني حياة الاخرى الى سجين ام الى عليين! «انا» في جمعية الصفات لا الذات و سبحانه «عرضنا» كذلك الأمر «الامانة»: مطلق التكليف لا التكليف المطلق الخاص بذوي العقول، فسائر الكون مكلف بمعداته ان يعيش سائرا إلى ما خلق لأجله، امام الخالق مسبحا و أمام الخلق عدلا سائرا «فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها» دون رد و بأداء كما حمّلن، فان حمل الامانة مطلقا دون أداء خيانة لها مطلقا، و في أداء غير سليم خيانة نسبية، فأبين ان يخونها و كل يعمل كما حمّل‏ «وَ أَشْفَقْنَ مِنْها» خوفا خليطا بتعظيم، خوفا من اللّه و تعظيما لجلال اللّه: وَ لِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً وَ ظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ (13:) 15) أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ وَ النُّجُومُ وَ الْجِبالُ وَ الشَّجَرُ وَ الدَّوَابُّ وَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَ كَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذابُ وَ مَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ ما يَشاءُ (22:) 18).

فهناك في الكون كلّه تسبيح و سجود للّه و الكل مسخر بأمره‏ ... وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ وَ النُّجُومَ مُسَخَّراتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ تَبارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ (7: 54) أَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّراتٍ فِي جَوِّ السَّماءِ (16:) 79) أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَ تَسْبِيحَهُ ... (24: 41). هؤلاء و هؤلاء من حيوان و نبات و جماد «فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَ أَشْفَقْنَ مِنْها وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولًا».

أ ترى بعد ان في حمل الامانة تحملا لها ظلما و جهلا حتى يؤنب قبيل‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 219

الإنسان بذلك الحمل، و في تحملّها و أدائها كما حمّل عدل و علم! فليكن حملها خيانة لها ناشئة عن ظلمه بها و جهله بمن حمّلها إياه‏ وَ آتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوها إِنَّ الْإِنْسانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (14: 34).

«فقد خاب من ليس من أهلها انها عرضت على السماوات المبنية و الأرض المدحوة و الجبال ذات الطول المنصوبة فلا أطول و لا اعرض و لا أعلى و لا أعظم منها و لو امتنع شي‏ء بطول او عرض او قوة او عز لامتنعن و لكن أشفقن من العقوبة و عقلن ما جهل من هو أضعف منهن و هو الإنسان انه كان ظلوما جهولا» «1».

انه لا أظلم من الإنسان و لا أجهل و جاه الامانة العامة إلّا القليل ممن وفى لرعاية الحق فيها فمؤديها كما حمّل، فهو في احسن تقويم إذا وعى و رعى، و هو في أسفل سافلين إذا أودع و غوى، فلا مثيل له في سائر الكون في حمل الامانة خيانة و أدائها صيانة.

«انه كان» فيما كان أيا كان و أيان، في كينونة الخلقة فان النفس لامارة بالسوء، مهما خلقت له الفطرة و العقل، و لكنه بالفعل في الاكثرية الساحقة تتغلب هواه عقله و طبعه فطرته.

«إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً» فيما يؤتمن من امانة و ما لا يؤتمن، ظلوما بنفسه و غيره و أمانته، ظلوما بحقه و كل حق و حقوق الآخرين ... «جهولا»

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). نهج البلاغة للسيد الشريف الرضي عن الإمام أمير المؤمنين (ع) و أخرجه عنه (ع) في الكافي مثله.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 220

بحق اللّه و امانة اللّه و رعاية الحق في خلق اللّه! و من مخلفات حمل الامانة في دركات الخيانة «لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنافِقِينَ وَ الْمُنافِقاتِ وَ الْمُشْرِكِينَ وَ الْمُشْرِكاتِ» و من ذلك في عدم تحملها كما حمّل قصورا او تقصيرا في أداء الامانة كما يجب: «وَ يَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً» و يبقى الرعيل الأعلى من المقربين و من ثم اصحاب اليمين الذين أدوها كما حمّلوها في واجب التحمل و الأداء، هؤلاء لا عذاب لهم إذ لم يحملوها حيث أدوها سليمة، و لا توبة إذ لم يقصروا فيها و لا هم قاصرون و جاهها.

فالتقسيم الثلاثي هنا راجع الى مقسم حملها خيانة كما في المنافقين و المشركين، و تقصيرا او قصورا كما في المؤمنين، دون من لم يحملها على اية حال كالمعصومين.

و «المشركين» هنا يعم الكافرين، و ثنيين و كتابيين امن ذا ممن أشرك في توحيد اللّه او شرعته و امره، او في طاعته، فهو يشمل كافة دركات الإشراك باللّه في مختلف دركات العذاب، كما «المؤمنين» يعم كتلة الايمان بدرجاته، الذين يعيشون حياة الايمان مهما تفلتت عنهم صغيرة او كبيرة حيث تكفّر بتوبة او شفاعة او رجاحة الحسنات او ترك الكبائر أما ذا من معدات التوبة من اللّه: «وَ يَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً».

فيا للإنسان من ظلوم بحق الامانة ما أظلمه و جهول بها ما أجهله و هو اعقل من في الوجود، و قد منح ما لم يمنح غيره من معدات التكامل!

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 221

سورة سبا مكيّة و آياتها أربع و خمسون‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 222

سورة سبأ

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 223

[سورة سبإ (34): الآيات 1 الى 9]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ‏

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (1) يَعْلَمُ ما يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَ ما يَخْرُجُ مِنْها وَ ما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ وَ ما يَعْرُجُ فِيها وَ هُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (2) وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلى‏ وَ رَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ فِي السَّماواتِ وَ لا فِي الْأَرْضِ وَ لا أَصْغَرُ مِنْ ذلِكَ وَ لا أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ (3) لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ (4)

وَ الَّذِينَ سَعَوْا فِي آياتِنا مُعاجِزِينَ أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ (5) وَ يَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَ يَهْدِي إِلى‏ صِراطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (6) وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلى‏ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (7) أَفْتَرى‏ عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذابِ وَ الضَّلالِ الْبَعِيدِ (8) أَ فَلَمْ يَرَوْا إِلى‏ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفاً مِنَ السَّماءِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (9)

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 224

آيات سبع من هذه السورة تختص بسبإ، طيا لدورهم الحائر الى كورهم البائر، في حياة جهنمية كانوا يحسبونها جنة بجنّتيهم، ترمز هذه السبع لدركاتهم السبع، و تختص بهم اسم السورة فإنهم هم فيها المسرح لنوازل البلاء بعد منازل الترح و الخيلاء إذ بدلوا نعمة اللّه كفرا و أحلوا قومهم دار البوار. جهنم يصلونها و بئس الفرار! موضوعات هذه السورة هي موضوعات العقيدة الرئيسية: الأصول‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 225

الثلاثة: المبدأ و المعاد و ما بين المبدأ و المعاد، طالما التركيز الأكثر فيها على المعاد، تبحيلا بمن يعتقدونها فثوابا، و تخجيلا بمن ينكرونها فتبابا، يأخذهم يوم الدنيا قبل الآخرة: «لَقَدْ كانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ...».

يبدأ فيها بالمبدء «الْحَمْدُ لِلَّهِ ..» و يختم بالمعاد: «وَ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ ما يَشْتَهُونَ كَما فُعِلَ بِأَشْياعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ» و فيما بينهما عرض لما بينهما من الوحي و النبوة و صنويهما و مصدقيها و ناكريها و بمسائرهم و مصائرهم و اللّه من وراء القصد.

و انها رابعة السور المفتحة بالحمد له، إذ تسبقها الأنعام و الكهف و الفاتحة و تلحقها الملائكة! طالما هي في الفاتحة معلّلة بخمس: «الله- رب العالمين- الرحمن- الرحيم- مالك يوم الدين» ثم هي في الانعام معللة- فقط- بالرحمة الرحمانية: «الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ» و في الكهف بالرحيمية «أَنْزَلَ عَلى‏ عَبْدِهِ الْكِتابَ» و كما في الملائكة رحمانية و رحيمية «فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ جاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا»! و هي هنا تجمع بين رحمة الدنيا و الآخرة:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (1).

«الحمد» كله و من كل حامد «للّه» لا سواه فانه «الذي له»:

ملكا و ملكا «ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ» و هي صيغة أخرى عن الكون كله، و طالما يحمد هنا غير اللّه مع اللّه شركا، ام يلحد في حمده ف- «وَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ» لا سواه، فلا حامد هناك إلّا له، ف- «الْحَمْدُ لِلَّهِ» هنا استحقاقا مهما تخلف عن الواقع‏ «وَ لَهُ الْحَمْدُ» هناك واقعا دون تخلف حتى ممن كانوا يجحدونه في الدنيا او يشركون به سواه فيتمحض له الحمد في أخراه:

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 226

لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ (40: 16)؟ ثم‏ «وَ هُوَ الْحَكِيمُ» في خلقه تكوينا و تشريعا «الخبير» بعباده علما و من سعة علمه بحكمته:

يَعْلَمُ ما يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَ ما يَخْرُجُ مِنْها وَ ما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ وَ ما يَعْرُجُ فِيها وَ هُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (2).

... يَعْلَمُ ما يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَ ما يَخْرُجُ مِنْها وَ ما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ وَ ما يَعْرُجُ فِيها وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (57: 4) فالوالج و الخارج، و النازل و العارج هي صيغة أخرى عن كل حركة هي لزام كل كائن، محسوسة ملموسة، ام مغموسة مطروسة فهو خبرة شاملة و علم كامل بكل شي‏ء، و لا شي‏ء مخلوقا الّا في حراك دائب ولوجا و خروجا، ام نزولا و عروجا «وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ» معية القدرة النافذة، و الحيطة العلمية «وَ هُوَ الرَّحِيمُ» بعبادة على أية حال «الغفور» على أية حال، اللّهم الّا إذا كان الغفر ظلما، فانه ارحم الراحمين في موضع العفو و الرحمة و أشد المعاقبين في موضع النكال و النقمة! و «ما» هنا لا يعزب عنها عازب و لا يغرب عنها غارب، من والج الماء و الهواء و البذر و الدفناء من حيوان و انسان و من خارج النبات ام اي خارج، كما نازل السماء يعم- فيما يعنيه- نازل الماء و الملائكة بالوحي و من كل امر، و العارج إليها من أرواح و اعمال و أبخرة أماهيه! نقف هنا أمام هذه الصفحة المعروضة العريضة في كلمات قليلة غير طويلة، فإذا نحن أمام حشد هائل و جمع طائل من أشياء بحركاتها و تحولاتها في كل مجالاتها باحجامها و صورها و اشكالها و معانيها، لحد لا يصمد لها الخيال و لا يخطر في هيمنتها ببال!

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 227

و لو ان العالمين اجمع وقفوا وقفة واحدة لا لإحصاء ما يحصل في لحظة واحدة من بليارات اللحظات و الحركات التي تطمها هذه الآية لرجعوا حاسرين.

أ ترى «الأرض» هنا أرضنا هذه؟ ثم «السماء» هي المحيطة بها لا سواها، و القائل هو خالق السماوات و الأرضين!. إنه كل ارض و كل سماء، فكل والج و خارج، و كل نازل و عارج، من اي ارض فيها و الى سماء و من كل سماء فيها و الى كل ارض او سماء، تشمله هذه الآية دون تحديد.

فكم من حبة تختبي او تخبى في جنبات الأرضين، ام اية دودة او حشرة، ام هامة و زاحفة تلج فيهن، و كم من ذرات غازات و اشعاعات كهربائات تندس في هذه البسيطة و رفاقها، و كم و كم مما لا نعرفها و لن ... و عين اللّه يرعاها ساهرة معها! و كم تخرج منها من نبعة فوارة، ام بركانة ثوارة، او غازة متصاعدة اماهيه، لم يخلد بخلد؟! و كم من نازل من السماوات و عارج فيها من مجاهيل عندنا، و مهما عرفنا طرفا منها نجهل أقدارها و أعمارها و أسرارها؟! فيا لآية قصيرة واحدة من إحاطة لحراكات الكائنات في لمسة واحدة تتجلى فيها مملكة الوجود فوق مدّ البصائر و الأبصار و حدّ العلوم و الأفكار! أ فبعد هذه القدرة الجامعة و الحيطة اللامعة يعني ربنا عن إعادتنا نحن الهز الى الصغار الصغار؟:

وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلى‏ وَ رَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ فِي السَّماواتِ وَ لا فِي الْأَرْضِ وَ لا

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 228

أَصْغَرُ مِنْ ذلِكَ وَ لا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتابٍ مُبِينٍ (3).

قالة من‏ «الَّذِينَ كَفَرُوا» بالساعة «لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ» و حتى لو أتت غيرنا حيث السلب يخصهم فيما قالوا!.

و الجواب بصورة ادعاء دون برهان و في سيرة أقوى برهان «قل بلى» لتأتيكم الساعة كما أتي غيركم «و ربي» فملامح التربية الإلهية الخاصة في دليل نبوتي، و إتيان الساعة اصل من أصولها، ف- «و ربي» هنا كما في قالة المرسلين في يس‏ «قالُوا رَبُّنا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ» فلان النبوة المحمدية تفوق النبوات، محلقّة على كافة النبيين، ففائقة التربية الإلهية فيه ناصعة، فهو بنفسه دليل للمبدء و المعاد عبر الوحي بواقعه و ظاهره.

«قُلْ بَلى‏ وَ رَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ» و من هو ربي؟ «عالِمِ الْغَيْبِ» و الشهادة فكل شي‏ء عنده شهادة «لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ ...» و لا يغرب .. و قضية الحيطة العلمية هي العلم الشامل بكل ما يحصل من تقوى و طغوى أ فبعد علمه و قدرته و حكمته سوف لا يجازي التقاة و الطغاة، و هو جهل ام عجز ام ظلم، و ما اللّه بظلام للعبيد! ام لان الأجساد بأرواحها تضل في الأرض فلا يمكن جمعها فلا جمع و لا يوم جمع؟ وَ قالُوا أَ إِذا ضَلَلْنا فِي الْأَرْضِ أَ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ... قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ... (32: 11)! «قُلْ بَلى‏ وَ رَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ ..» مهما عزب عن علمكم، فلا عزب عن قدرته و لا عن علمه و لا عن حكمته‏ «لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَ لا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصاها».

و ليس فقط: لا يعزب عن علمه «كبيرة» بل و لا «مِثْقالُ ذَرَّةٍ فِي السَّماواتِ وَ لا فِي الْأَرْضِ وَ لا أَصْغَرُ مِنْ ذلِكَ وَ لا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتابٍ مُبِينٍ».

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 229

و لان آية المثقال تحلّق على كل كائن أيا كان سوى ذاته تعالى و تقدس إذ ليس مثقالا و لا ذرة و لا هو في السماوات و لا في الأرض، فليكن لكل كائن مثقال و هو وزن يقتضي حجما من مادة و مادي، و هو الطاقة المنبثقة عن المادة، فلا مجرد- إذا- سوى اللّه! ثم «ذرة» و أصغر منها و اكبر، ليست لتعني- فيما تعنيه- الخارج عن حدود المادة، حيث المحور في مثلث «ذرة- أصغر منها- و اكبر منها» هو المادة، فلا كائن- إذا- سوى اللّه إلّا في نطاق هذا المثلث دون إبقاء! و مهما كانت الذرة معروفة قبل ردح من الزمن انها أصغر الأجسام المرئية، فقد كشفت البشرية عن ذرات هي أصغر منها بكثير، و من ثم بعد تحطيم الذرة تعرفت الى أصغر من ذرة و هو جزئياتها الإلكترونية و البروتونية و النيترونية و البوزيترونية أماهيه، و لما يصل العلم- و لن،- الى المادة الأم، التي منها الذرات و الجزئيات و العناصر كلها- ثم لا اجزاء لنفسها تتجزأ إلا تجزئة عن كونها الى فناء مطلق و انعدام مطبق‏ «1».

آية الذرة هذه لا نظيرة لها إلا ما في يونس‏ وَ ما تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَ ما تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَ لا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَ ما يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لا فِي السَّماءِ وَ لا أَصْغَرَ مِنْ ذلِكَ وَ لا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتابٍ مُبِينٍ (61) و علّها أكد شمولا لمكان «من» الضاربة الى اعماق الكائنات بذراتها و أصغر منها دون ان يفلت منها فالت، كما و ل- «ربك» موقعها من ذلك التأكيد الأكيد!.

و «كِتابٍ مُبِينٍ» أهو القرآن: «قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَ كِتابٌ مُبِينٌ»؟

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). راجع تفسير الآية «وَ مِنْ كُلِّ شَيْ‏ءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ» في الجزء (26: 237) من الفرقان و «حوار بين الإلهيين و الماديين».

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 230

(5: 15) و لكنه البعض من علم ربك الممكن تعليمه لعباده لا كلّه. و لكن ذلك العلم يختص بكل الكائنات، لا و حتى الذات المقدسة، فليكن ذلك دونها: وَ لا رَطْبٍ وَ لا يابِسٍ إِلَّا فِي كِتابٍ مُبِينٍ (6: 59) حيث الرطب و اليابس كناية عن كائنات الممكنات ككلّ دونما استثناء!: ... يَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَ ما يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ، وَ ما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُها وَ يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها وَ مُسْتَوْدَعَها كُلٌّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ (11: 6).

فالكائنات كلها «فِي كِتابٍ مُبِينٍ» كتاب العلم المطلق و القدرة المطلقة، الصادر منه كل رطب و يابس!:

لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ (4) وَ الَّذِينَ سَعَوْا فِي آياتِنا مُعاجِزِينَ أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ (5).

ترى و لماذا «بَلى‏ وَ رَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ»؟ «ليجزي ..» قضية العدل، و «عالِمِ الْغَيْبِ .. «ليجزي» قضية العلم! فالعدل- فقط- لا يكفي لضرورة الجزاء لولا العلم بالصالحين و الطالحين، و العلم- فقط- لا يكفي لولا العدل، إذا ف- «ليجزي ..» هي حصيلة العلم المطلق و العدل المطبق على كل الكائنات، فلو لا الجزاء فإمّا ظلم أم جهل، أم هما معا فأسوء و أنكى! و لئن شك الجاهلون المتجاهلون في ذلك الذكر الحكيم و نبيه الرسول الكريم، فهنالك العالمون يصدقون و يوقنون:

وَ يَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَ يَهْدِي إِلى‏ صِراطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (6).

أ ترى‏ «الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» هم- فقط- علماء اهل الكتاب كما يقال؟

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 231

فغيرهم حين لا يرون‏ «الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ ..» ليس الا قصورا في العلم إذ لم يؤتوا، فهم- إذا- لا حجة عليهم حين يكفرون، كما لا حجة لهم حين يؤمنون، فلا قيمة لايمانهم دون علم و لا سئوال عن كفرهم دون علم! «أُوتُوا الْعِلْمَ» ليست إلّا وسيلة للتفتح الى ذلك الكتاب الخالد المفتوح بمصارعه للاجيال طول الزمان و عرض المكان، و للعلم درجات عدة يرى صاحبه‏ «الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ» حسب درجاته و محاولاته، فقد يكون من علماء الكتاب عارفا بالبشارات المودوعة في كتابات الوحي بحق القرآن و نبيه ثم يجحد متجاهلا قاحلا!.

و قد يكون من جهال المشركين، فلانه يحاول الحصول على الحق المرام يتحراه فيجد بغيته في ذلك الكتاب لأنه مسرح فصيح بليغ فسيح عن تجوال آيات اللّه البينات، و اللّه يشهد بكلامه لحقه! ف- «الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» هم بوجه عام كافة المكلفين غير القصرّ و المجانين، مهما كان اهل الكتاب و علمائهم، و سائر اهل العلم أقوى حجة من غيرهم تدليلا على حق القرآن، و لكنه لا يمانع اصل التكليف بحجة العلم، و اقله علم الفطرة- مهما كان أصله- ثم العقل ثم علم الكتاب تقليديا ثم باجتهاد و كذا سائر العلوم البشرية، و الجامع بينها كلها معرفة اللّه، فالعارف ربه يعرف كلامه قدر ما عرفه.

فما من عاقل يفتح عينه الى هذه الآيات البينات، ام أذنه و سمعه لسماعها، متدبرا فيها، إلّا و سوف يحصل على علم: «الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ» فانه أفضل الآيات و اخلد المعجزات‏ «أَ وَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ يُتْلى‏ عَلَيْهِمْ ...» مهما كان الأوفر علما هو اوقر ثقلا حيث الحجة عنده اكثر، فنكرانه لحق القرآن أنكى و أنكر.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 232

هنا لا بد من علم ما يعرف به الحق من الباطل، ثم و إعماله كما يصح حتى يحصل على الحق المرام، و العلم المبدئي حاصل لكافة المكلفين، ثم عليهم حسب درجاتهم ان يدّبرّوا القول و يتفكروا: «أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى‏ قُلُوبٍ أَقْفالُها» فلا حجة- إذا- للأغفال الكفار ما دامت لهم عقول تعقل، ثم لا حجة على القصر و المجانين.

فالذين أوتوا العلم من اهل الكتاب عندهم علم الوحي الكتابي بحق هذا القرآن اضافة الى سائر العلم فطريا و عقليا ... «1»

و الذين أوتوا العلم من سواهم، بدراسات علمية لمختلف معلومات الكون، عندهم علم دون الوحي بحق هذا القرآن و الذين أوتوا العلمين، عندهم علم مضاعف، حيث العلم أيا كان هو مفتاح للتفتح على حظيرة العلم و خزانته و إنما يعرف اهل الفضل ذووه.

و الذين حرموا العلمين عندهم علم العقل على ضوء الفطرة، فعندهم وحي الفطرة و من ثم العقل، بهما يعقلون حق القرآن، فأين- إذا- اختصاص الحجة بعلماء اهل الكتاب ام اي العلماء؟

ثم‏ «هُوَ الْحَقَّ» هنا يحصر الحق في القرآن كأنه لا حق سواه، أ فلا تكون كتابات الوحي بين يديه حقا يسندون إليها أهلوها بحق القرآن؟

أجل! و لكن الحق درجات من أدناها الى أعلاها، فالقرآن أعلاها، كما و لثباته درجات و القرآن اثبتها خلودا و أعلاها! و من ثم هو بين تحرف من المحرفين، و سليم عن ايدي الدس و التحريف و القرآن سليم في أعلاها.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). راجع كتابنا «رسول الإسلام في الكتب السماوية» تجد فيه زهاء ستين بشارة بحق القرآن و رسوله.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 233

إذا فذلك الحق الأخير هو الأعلى في مثلث الكمال و الخلود و سلامة الأصل، طالما الكتب السماوية الأخرى جامعة لسلبية جمعا بين النسخ و التحريف، و انها دون الكمال القمة! إذا ف- «هُوَ الْحَقَّ» لا سواه كما «وَ يَهْدِي إِلى‏ صِراطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ»: كتاب عزيز حميد: لا يغلب في معتركات الصدامات، و لا يذم في مذامّ بمختلف الجهات، ثم و هو يهدي الى صراط اللّه‏ «الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ»! هؤلاء هم الذين أوتوا العلم حين يستعملونه في الحصول على الحق، و لكن الذين كفروا:

وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلى‏ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (7) أَفْتَرى‏ عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذابِ وَ الضَّلالِ الْبَعِيدِ (8).

«الَّذِينَ كَفَرُوا» هنا هم المشركون، دون الكفار من اهل الكتاب، إذ ينكرون هنا المعاد و هو اصل من الأصول الكتابية، فهم أولاء الأغفال يقولون مستهزئين، لإخوانهم‏ «هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلى‏ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ» تمزقا لأرواحكم عن أجسادكم، و تمزقا لأجسادكم الى رفاتكم، و تمزقا لرفاتكم ام أجسادكم الى مختلف المكان من أبدان ام أيا كان.

«ينبئكم» ... «إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ» بعد مثلث من ذلك التمزق البعيد البعيد؟ و هذا باطل ليس صاحبه إلّا أن: «أَفْتَرى‏ عَلَى اللَّهِ كَذِباً» حين ينقله عن اللّه‏ «أَمْ بِهِ جِنَّةٌ» حين يقوله، فانه على أية حال محال لا ينسب الى اللّه، و لا الى العقل، خارج عن وحي الأرض و السماء، مارج من فرية و جنون! و لكنه لا! لا هنالك فرية و لا جنون‏ «بَلِ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ» تغاضيا عن براهينها الظاهرة، انهم عائشون‏ «فِي الْعَذابِ وَ الضَّلالِ الْبَعِيدِ»

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 234

يوم الدنيا قبل يوم الدين، ف- «العذاب» هو عذاب التغافل عن احكام الفطرة و العقل، تغاضيا عن ظاهر ادراكاتهم و باطن معرفياتهم، و ذلك هو «الضَّلالِ الْبَعِيدِ» حيث الضلال القريب هو المرجو زواله إذ ليس عن عناد ماكن، و اما الذين‏ «جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَ عُلُوًّا» فضلا لهم بعيد و حتى يموتوا ضلّالا، و من ثم العذاب القريب! أَ فَلَمْ يَرَوْا إِلى‏ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفاً مِنَ السَّماءِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (9).

أ ترى‏ «ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ» هو أفق السماء و الأرض؟ و صحيح التعبير عنه «ما تحت أرجلهم من الأرض و ما فوقهم من السماء»! ام «ما بين أيديهم و ما خلفهم» من كلّ من السماء و الأرض أماما و خلفا؟ و تبقى الجهتان الأخريان يمينا و شمالا، حيث الأربع هي الأفق المشهود من السماء و الأرض! ام لا هذا و لا ذاك، و انما هي تلميحة لطيفة عميقة الجذور، بطيئة الظهور لكروية الأرض و دورية السماء، ف- «ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ» من الأرض هو الأفق المشهود الدائري لكل شاهد في أكناف الأرض، ثم‏ «وَ ما خَلْفَهُمْ» هو الأفق و الآفاق غير المشهودة، فليس «خلفهم» إلا خلف الأرض، وراء الأفق الظاهر، إذا فليست الأرض مسطحة، بل هي مدورة مكورة لها من كل جانب منها ظهر و جاه خلف.

ثم و «ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ» من السماء هو الأفق الظاهر منها لكل ناظر إليها في آفاق الأرض، ف- «وَ ما خَلْفَهُمْ» هو الأفق غير الظاهر فليكن‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 235

خلف الأرض- أيا كان- ارض و سماء، أرض تحيط بها السماء من كافة مناكبها، فهي- إذا- في السماء معلقة كسائر نجومها و مصابيحها! و ترى كيف استفهام الإنكار التنديد بمن كانوا يعيشون الزمن الذي كانت كروية الأرض فيه كفرا و خلافا للاحساس و العلم‏ «1»؟! «أَ فَلَمْ يَرَوْا ..» اجل لم يروا، و أنى لهم أن يروا، و العلم قاصر، و الجهل قاهر، و الوحي عنهم به منقطع؟!.

عله لان وحي الكتاب كان يشير الى هذه الملحمة العلمية، و مهما كانوا هم مشركين و لكنما الاختلاط بالكتابيين يجعلهم يعرفون أمثال هذه الملاحم التي تهمهم علميا مهما لا تهمهم عقائديا، ثم و هذه تحريضة علمية

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). في زوايا التاريخ ليست الأرض كروية فقد كان أول تصور للإنسان في شكل الأرض انها بساط عظيم هائل لا نهاية لعمقه يعتمد عليها قبو السماء كالسقف المرفوع، و لما تقدم في الملاحة و قطع البحار الواسعة أخذ يتصور ان الأرض سابحة في اوقيانوس من الماء لا نهاية له و كان ذلك خطوة لتصور ان الأرض محوطة بدائرة و ترتكز على جذور طويلة مثل الشجرة، و ساد كذلك اعتقاد قديم بان الأرض بساط مستدير يقوم على اثنى عشر عمودا، و لكن على اي شي‏ء تقوم هذه العمد؟ فيجيب قساوسة في اوروبا في القرون الوسطى بأنها تقوم على الضحايا البريئة من اهل الفضيلة و التقوى الذين لولا وجودهم هنالك لدكت الأرض و ذهبت هباء في الفضاء، و قد كان (اناكسيماندر) الا غريقي في القرن السادس قبل الميلاد يرى ان الأرض كالاسطوانة و ان قطرها يساوي ثلاثة أميال ارتفاعها، و انها سابحة في مركز القبو السماوي و انه لم يسكن منها إلّا وجهها الأعلى، و توجد اوروبا في النصف الشمالي و ليبيا او افريقيا و آسيا الجنوبي، ثم جاء من بعده بقليل الفيلسوف أفلاطون و قال: ان الأرض مكعبة، لأنه كان يعتقد ان المكعب أكمل الاشكال الهندسية فيجب ان يكون موطنا لافضل الكائنات و هو الإنسان، و انه قبل ان يقول علماء الغرب بكروية الأرض سبقهم الى ذلك من عهد بعيد علماء الشرق حيث تخيلوا ان الأرض كروية و تنتهي شمالا و جنوبا بجبال عظيمة الارتفاع، و منذ 1500 سادت في الغرب نظرية تقول: ان الأرض بيضاوية و انها سابحة في الأثير.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 236

للأجيال ان يروا رؤية عينية او علمية «ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ» فمثلها كمثل قوله تعالى:

قُلِ انْظُرُوا ما ذا فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما تُغْنِي الْآياتُ وَ النُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ (10: 101).

ثم و كان لهم قبل وحيه او اكتشافه علميا ان يروه تاملا و تعملا للضرورة الملموسة لهم أن الأرض ليست مسطحة دون خلف كظهرها، لاختلاف الافاق ليلا و نهارا! و هناك آيات اخرى تؤشر الى دوران الأرض و كرويتها ناتي على تفسيراتها بطياتها، و آيتنا هذه‏ «أَ فَلَمْ يَرَوْا ..» هي الوحيدة بين رفاقها تدليلا كالصريح على كروية الأرض و قد تزاملتها آية التكوير «1».

و قال الادريسي و هو احد الجغرافيين من العرب في القرن الحادي عشر للميلاد: ان نصف هذه الأرض البيضاوية مغمور في الماء و ذلك ليحل مشكلة النصف المجهول، و كان بطلميوس في القرن الثاني للميلاد و هو من أشهر الفلكيين يرى ان الأرض مثل كرة مفرطحة من جانبيها كحبة القوطة، و جاء (ابيانوس) في 1520 فقال: انها تشبه القلب، و صادفت نظريته ميلا في قلوب قساوسة الدين في اوروبا فأيدوه قائلين انها قلب اللّه، و ان هذه الكرة القلبية تشبه ارض المكتشف العظيم (كولمبوس) حيث تصورها مثل الكمثرى، فالنصف الكروي هو الشرقي و النصف المستطيل هو الغربي، و التمدد الذي أوجده فيه هو (العلم الجديد) الذي اكتشفه، و اما (دانت) فقد تصورها قبل ذلك بقرن في مثل هذا الشكل جاعلا هذا التمدد لحجمه الذي صوره فكانت جبال المطهر تحت خط

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). و هي‏ «يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهارِ وَ يُكَوِّرُ النَّهارَ عَلَى اللَّيْلِ ..» راجع (39: 5).

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 237

الاستواء بثلاثين درجة، بينما جعل (أورشليم) او (ريون) في الجهة المقابلة ليحفظ التوازن.

و ظهر في 1819 في (سنت لويز) بالولايات المتحدة القبطان (جون كليفز سيمس) بنظرية عجيبة تعرف باسمه او بنظرية الكرات المتداخلة و هي أن الأرض او اي كوكب يتكون من عدة من الكرات المتلابسة و المشتركة في مركز واحد و بين كل كرة و التي تليها فاصل مملوء بالهواء، و عند القطبيين فتحة كبيرة في جميع هذه الكرات، و يرى ان الأرض تتركب من خمس طبقات او كرات متداخلة و ان فيها فتحتين كبيرتين عند القطبين يبلغ قطر الشمالية اربعة آلاف ميل و قطر الجنوبية ستة آلاف ميل و ان سطحي كل كرة او طبقة مسكونان فتوجد سكان في الأرض على السطوح المحدوبة و السطوح المقعرة، و طلب الى المجلس النيابي بالولايات المتحدة ان يجهزه بسفينتين ليسافر إلى احد القطبين و يدخل من الفتحة الموجودة هنالك ليدخل الى سكان السطح المقعر الذي نعيش فوقه، و طبع المارشال (جاردنر) في 1913 م كتابا في الولايات المتحدة عنوانه: سياحة الى داخل الأرض- ذهب فيه الى ان الأرض مجوفة و يبلغ سمك طبقتها التي نعيش عليها ثمانمائة ميل و انها مفتوحة عند القطبين و يوجد في داخلها شمس و يبلغ قطر كل فتحة قطبية ألفا و اربعمائة ميل.

و قال (مورية) في كتابه (علم الفلك اليوم) إن الأرض على شكل هرم، و هو يرى ان نظريته تبين اختلاف أنصاف أقطارها و تحل كثيرا من النقط المعضلة في هذا الصدد التي لا يمكن ان تفسرها اية نظرية اخرى، و هذه النظرية التي نشرها (تيوفيل‏موريه) العالم الطبيعي الفرنسي إن هي إلا شرح و تأييد لنظرية (لوثيان جرين) العالم الانكليزي التي كانت مثارا لجدال كبير في سنة 1875 و هو يذهب الى ان الأرض هرمية الشكل، و ان‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 238

البحار تشغل بطونا في سطوحه الاربعة بينما اركان هذا الهرم عبارة عن القارات الخمس، و قد بعث (موريه) هذه النظرية الهرمية للوجود بعد رفضها في ذاك العهد ليحللها العلماء من جديد في نور ما استكشف من العلم الحديث، و الجدال قائم الآن في كل مكان على قدم و ساق ..

(تفسير الجواهر 16: 137- 140).

و بعد ان يروا ما بين أيديهم و ما خلفهم من السماء و الأرض، لهم بطبيعة الحال ان تأخذهم روعة من خسف الأرض ام سقوط السماء، حيث الأرض المعلقة في جو السماء غير مأمونة من أية حادثة هائلة، خسفا في نفسها، ام سقوطا لها في اعماق السماء، ام سقوط السماء كسفا عليها لولا المسكة الإلهية الرحيمة و «... إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ» في نفسها ام عن مكانها «أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفاً مِنَ السَّماءِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ»! و لقد سبق على مدار الزمن هذه التجربة المرة وَ مِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنا بِهِ الْأَرْضَ وَ مِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنا ... (29: 40) أَ فَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ‏ (16: 45) أَ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّماءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذا هِيَ تَمُورُ (67: 16)؟! سبحان الخلاق العظيم.

[سورة سبإ (34): الآيات 10 الى 14]

وَ لَقَدْ آتَيْنا داوُدَ مِنَّا فَضْلاً يا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَ الطَّيْرَ وَ أَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (10) أَنِ اعْمَلْ سابِغاتٍ وَ قَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَ اعْمَلُوا صالِحاً إِنِّي بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (11) وَ لِسُلَيْمانَ الرِّيحَ غُدُوُّها شَهْرٌ وَ رَواحُها شَهْرٌ وَ أَسَلْنا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَ مِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَ مَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنا نُذِقْهُ مِنْ عَذابِ السَّعِيرِ (12) يَعْمَلُونَ لَهُ ما يَشاءُ مِنْ مَحارِيبَ وَ تَماثِيلَ وَ جِفانٍ كَالْجَوابِ وَ قُدُورٍ راسِياتٍ اعْمَلُوا آلَ داوُدَ شُكْراً وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ (13) فَلَمَّا قَضَيْنا عَلَيْهِ الْمَوْتَ ما دَلَّهُمْ عَلى‏ مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ ما لَبِثُوا فِي الْعَذابِ الْمُهِينِ (14)

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 239

مسرح من مسارح النبيين الملكين داود و سليمان (عليهما السلام) بما آتاهما من فضل يخرق العادة الجارية في الكون هنا لداود «مِنَّا فَضْلًا» تخصه بفضل له خاص، فالفضل كله منه و يكفيه: «آتَيْنا داوُدَ مِنَّا فَضْلًا» و لكن «منا» تصطفي له خاص الفضل، و علّه هنا النبوة و الملك و تأويب الجبال و الطير معه و تليين الحديد، و يا له من فضل جامع عقيم النظير اللهم الا للأخصين من السابقين و هم اهل بيت الرسالة المحمدية، ثم‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 240

الاربعة الآخرون من اولى العزم الذين دارت عليهم الرحى، و قد تشهد لمثلث الفضل هذا: وَ كُلًّا آتَيْنا حُكْماً وَ عِلْماً وَ سَخَّرْنا مَعَ داوُدَ الْجِبالَ‏ ..

وَ عَلَّمْناهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ ... (21: 80).

فقد بلغ فضل اللّه لداود مبلغا من التجرد و الشفافية في تسابيحه أن انزاحت الحجب بينه و بين الجبال و الطير وحدة الحديد، فداود الأواب تجاوبه في أوبته الجبال و الطير، و يلان له الحديد، و هكذا اللّه يعبّد الطريق للأوابين! هنا «معه» في‏ «أَوِّبِي مَعَهُ» لمحة لامعة انها تؤوب في عالمها و لا تسمع أحدا من العالمين، ثم «معه» تجعله يسمع أوبة الجبال و الطير.

و الاوبة ضرب من الرجوع. و هنا المقصود صوت الأوبة و صيغتها، إضافة الى حقيقتها، فواقع الأوبة لا محالة حاصل للكائنات كلها: «وَ إِنْ مِنْ شَيْ‏ءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ» (17: 44) و لكن داود المفضّل على من سواه فقّه تسبيحهم مع تسبيحه و على ضوئه كما تشير «معه» و كما في آخر له‏ «وَ اذْكُرْ عَبْدَنا داوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ‏ .. وَ الطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ» (38: 19) فها هي معية المصاحبة المتابعة، و قد تعم علمه بتسبيحهم و اصالته فيه حيث كان يؤمّ في محراب الأوبة و مصرحها جماعة الطيور و الجبال في ترنيمة المرجّع الرائع كما يؤم سائر المؤمنين في زمنه! الآئب هو الراجع و قد ينكث، و لكنما الأوّاب من التأويب الترجيع كثرة في عدّة الرجوع و عدّته، حيث يعيش الاوبة الرجعة الى اللّه دون نكثة و لا نكسة.

و من التأويب الترجيع ترجيع الصوت في التأويب و فيه تليين القلب و ترجيعه، فان للصوت الرائع الجميل موقعا فائقا في القارئ و المستمع،

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 241

و كما

عن النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم): تغنوا بالقرآن فانه من لم يتغن بالقرآن فليس منا»!

فلان كلام اللّه جميل فليكن بصوت جميل كما صيته جميل و لفظه جميل و معناه جميل، و اللّه تعالى جميل يحب الجمال! تذكر الروايات ان داود (عليه السلام) أوتي صوتا جميلا خارقة العادة في الجمال، كان يرتل به مزاميره و هي تسابيح دينية رائعة من زبوره في العهد العتيق»- فحينما كان ينطلق صوته في ترتيل المزامير تمجيدا لربه، كانت ترجّع معه الجبال و الطير، مردّدة تلك الترانيم السارية السارّة «1» لحظات فائقة التصور لا يتذوقها إلا كل أواب حفيظ: وَ سَخَّرْنا مَعَ داوُدَ الْجِبالَ يُسَبِّحْنَ وَ الطَّيْرَ وَ كُنَّا فاعِلِينَ (21: 79) إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَ الْإِشْراقِ. وَ الطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (38: 19) ثم و «يا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَ الطَّيْرَ» خطاب تكوين و تسخير يضرب الى عمق الكائن دون مكنة التخلف كما في اصل التسبيح، و كما في: يا نارُ كُونِي بَرْداً وَ سَلاماً عَلى‏ إِبْراهِيمَ (21: 69) و اضرابها من خطاب التسخير التكوين.

أ ترى ذلك الجبال‏ «يا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ» فما بال الطير و موقعه في تعريفها و نصبها، فعطفها الى «جبال» يقتضي «و طير» كما «جبال» قضية ضرورة الوفاق في العطف بين الرفاق أدبيا كما هو معنويا؟

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

في كمال الدين باسناده الى هشام بن سالم عن الصادق (عليه السلام) في حديث يذكر فيه قصة داود (عليه السلام) قال: إنه خرج يقرأ الزبور و كان إذا قرأ الزبور لا يبقى جبل و لا حجر و لا طائر إلّا أجابه.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 242

قد تكون «و الطير» عطفا بحساب المعنىّ من محل المعطوف عليه، ف- «اوبي» تعني «و سخرناها» كما في آيتي التسخير، ف- «و الطير» تعني ذلك التسخير، فقد يفسر نصب الطير امر الجبال انه تسخير و ليس امر التشريع! كما و «يسجن» هناك تفسر هنا «أوبي» أنه التسبيح الترجيع! هذا مسرح من مسارح تليين الجبال و الطير في مصارح التسبيح، ثم الى تليين الحديد:

«وَ أَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ»؟ أ تراه- فقط- تليينا لحده و صلابته بعد الحصول عليه من معدنه؟ و هذا أصعب منه واحدّ! ام و تليين معدنه و مصدره، و المقام مقام الفضل الرباني لعبد رباني و أفضله ذلك الجمع الرائع المكين من التليين! و لأن إلانة الحديد لا تحملها في القرآن كله إلا هذه اليتيمة المنقطعة النظير فلننظر فيها نظرة الناقد البصير.

يروى عن امير المؤمنين علي (عليه السلام) انه قال: اوحى اللّه الى داود انك نعم العبد لولا انك تأكل من بيت المال و لا تعمل بيدك قال:

فبكى داود (عليه السلام) أربعين صباحا فأوحى اللّه عز و جل الى الحديد ان لن لعبدي داود (عليه السلام) ..» «1».

«ألنا له» كما «يسجن معه- اوبي معه» تختص إلانة الحديد بداود!

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

تفسير البرهان 3: 344 عن الكافي باسناده عن احمد بن أبي عبد اللّه عن شريف ابن سابق عن الفضل بن أبي قرة عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) ان امير المؤمنين صلوات اللّه عليه قال: ... فألن اللّه عز و جل له الحديد فكان يعمل كل يوم درعا فيبيعها بألف درهم فعمل ثلاثمائة و ستين درعا فباعها بثلاثمائة و ستين ألفا و استغنى عن بيت المال.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 243

أ لقوة خارقة أوتيها من فضل اللّه؟ و تعبيره الصحيح الفصيح «قومناه»! ام إلانة لما يحتاجه من حديد لصنعة لبوس؟ و هذا هو ظاهر الإلانة، و قد تضمن إلانة العلم كما تعني إلانة الحدة: وَ عَلَّمْناهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ (21: 80) فلو لا ذلك التعليم لم تكن كثير فائدة في هذا التليين، فانما هو كذريعة لصنعة لبوس، لا- فقط- نفس التليين.

و هنا أيضا «أَنِ اعْمَلْ سابِغاتٍ» تفسير لمدى ذلك التليين، فلا تعني إلانة الحديد- فقط- عمل السابغات، إلّا أن تعني إلانة ذلك العمل بعد إلانة الحديد! إذا فهنالك مثلث من تليين الحديد، صدورا من معدنه، و تليينه عمليا و من ثم تليينه لصنعة لبوس عليما! فلم يكن التليين- إذا- بالتسخين، فانه لكل من يسخنه و هو هنا «له» باختصاص، بل هو خارقة للعادة تليينا بلا تسخين و لا أية وسيلة مألوفة اخرى، فجو السياق و ظلاله بكل تلميح و تصريح يعني هنا خارقة للعادة! من:

«وَ أَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ» و لا كمجرد آية خارقة تدل على وحى الرسالة، بل و:

أَنِ اعْمَلْ سابِغاتٍ وَ قَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَ اعْمَلُوا صالِحاً إِنِّي بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (11).

السابغات هي الدروع الواسعات، و السرد هو نسجها، و تقديره لها هو ان يعمل كلا على قدره السائغ للسابغ و قد يروى انها كانت تعمل قبل داود صفائح الدرع صفيحة واحدة فكانت تصلب الجسم و تثقله فالهم اللّه داود ان يصنعها رقائق متداخلة متموجة لينة يسهل تشكيلها و تحريكها بحركة الجسم و امر بتضييق تداخل هذه الرقائق لتكون محكمة لا تنفذ منها الرماح، و هو التقدير في السرد! هذا و لتكون السابغات سائغات‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 244

لائقات، و من ثم‏ «وَ اعْمَلُوا صالِحاً» في عمل الدروع و استعمالها في سبيل اللّه و اي عمل من اي عامل في فسيح الكون، ك- «إِنِّي بِما تَعْمَلُونَ» من صنع و من استعمال لمصنوع «خبير»! و علّ في «اعمل» بديل «اصنع» تلميح لما تلمحناه انه ثالث ثلاثة من أضلاع‏ «وَ أَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ» و كما في أخرى: «وَ عَلَّمْناهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شاكِرُونَ» (21: 80) إذا ف- «وَ اعْمَلُوا صالِحاً» شكرا لما أنعمت‏ «إِنِّي بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ»!.

فاللبوس مبالغة من اللباس، حيث السابغة الدرع تبالغ في الإحصان عن بأس الحرب، فقد كان ذلك خارقة إلهية تتخطى عائدة اثبات الرسالة و تحصيل المال للرسول، الى‏ «صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ» عائدة ثالثة لصالحكم، حيث الحروب آنذاك كانت تتطلب صنعة سريعة للبوس السابغة.

وَ لِسُلَيْمانَ الرِّيحَ غُدُوُّها شَهْرٌ وَ رَواحُها شَهْرٌ وَ أَسَلْنا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَ مِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَ مَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنا نُذِقْهُ مِنْ عَذابِ السَّعِيرِ (12).

«و» فضلا «لسليمان» كما فضلا لداود، كلّا حسبه و بحسابه، وفقا في سيرة الخارقة مهما اختلفت الصورة، فقد آتينا «لِسُلَيْمانَ الرِّيحَ» كما «آتَيْنا داوُدَ مِنَّا فَضْلًا ...» فضلا كفضل!.

«وَ لِسُلَيْمانَ الرِّيحَ» لا كما هي لسواه كعادة جارية المفعول في فاعلياتها، و انما تسخيرا له يتخطى العادة: فَسَخَّرْنا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخاءً حَيْثُ أَصابَ (38: 36)! فلقد كانت له الريح- بما سخرها اللّه- مركبة فضائية «غُدُوُّها شَهْرٌ

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 245

وَ رَواحُها شَهْرٌ»- «تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخاءً» كل يوم مسيرة شهرين‏ «حَيْثُ أَصابَ» من هذه المعمورة ام سواها بأجواءها!.

و ترى انها ريح كسائر الرياح، ام هي سائر الرياح دون اختصاص، كلّا! فالنص «الريح» دون «الرياح» فلتكن خاصة معروفة لديه، مجهولة لدى غيره، ام و إذا كانت معلومة لغيره فغير مسخرة إلّا له، و انها كانت ريحا عاصفة و كما في آية ثالثة: وَ لِسُلَيْمانَ الرِّيحَ عاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلى‏ الْأَرْضِ الَّتِي بارَكْنا فِيها وَ كُنَّا بِكُلِّ شَيْ‏ءٍ عالِمِينَ (21: 81).

ثم «غدوها» هو الغداة لحد الزوال ام هو ادنى، و الرواح هو الوقت الذي يراح فيه الإنسان من نصف النهار الى الغروب او هو ادنى، فلم يك سليمان يغدو و يروح في يوم واحد دون مكثة في‏ «الْأَرْضِ الَّتِي بارَكْنا فِيها» فليكن الغدو ردحا مما بين طلوع الشمس و زوالها، و كذلك الرواح ردحا بين زوالها و غروبها، مهما كانت السفرة في يوم واحد، ام بمكثه يوم أو أيام‏ «1».

مركبة فضائية ما اغداها و اروحها، و اريحها في غدوها و رواحها، حيث‏ «تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخاءً حَيْثُ أَصابَ» الى‏ «الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ» ام سواها، مهما كانت هي الأصل في سفراته، و لذلك خصت بالذكر في آية الأنبياء.

و قد تكاثرت الروايات حول تسخير الريح لسليمان، تبدو ظلال الاسرائيليات المختلفات و المختلفات فيها واضحة، فالتغاضي عنها الى بينات الآيات أحرى، و ترك الخوض فيها احجى! فانما هي ريح عاصفة مسخرة لسليمان غدوها شهر و رواحها شهر ...!.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). في تفسير القمي في آية الريح قال: كانت الريح تحمل كرسي سليمان فتسير به في الغداة سيره شهر و بالعشي مسيرة شهر.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 246

«... وَ أَسَلْنا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ» لا نجد القطر إلّا هنا عينا سائلة و في الكهف مفرغا بحامية النار على زبر الحديد بين الصدفين (18: 96) و هو الرصاص، و «عَيْنَ الْقِطْرِ» في أصلها غير سائلة و لا تسمى عينا إلّا معدنا، فبإسالتها بخارقة إلهية خرجت عن أصالتها الجامدة الى عين سائلة يستثمرها سليمان كما يشاء في محاويجه و محاويج شعبه دون سغب و لا تعب، و كما ألان اللّه الحديد لأبيه داود (عليه السلام)! «... وَ مِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ» أهم- فقط- شياطين الجن:

وَ مِنَ الشَّياطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَ يَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذلِكَ وَ كُنَّا لَهُمْ حافِظِينَ (21: 82)؟ «وَ مِنَ الْجِنِّ» «دون» الشياطين، تعميم دون اختصاص! ثم‏ وَ حُشِرَ لِسُلَيْمانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ وَ الطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ‏ (27: 18) قد تحيل الإختصاص، حيث الجن المؤمنون أحرى ان يكونوا من جنوده، و تجنيده الشياطين ليس الا تذليلا لهم و قضاء على شيطناتهم لردح الخدمة، و قالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقامِكَ (27: 39) هي كالنص انه كان من مؤمني الجن و اتقاهم فأقواهم على هذه الخارقة الإلهية!.

إذا ف- «من الجن» يعم قبيلي المؤمنين منهم و الشياطين، و كما جنوده الإنس دون اختصاص.

و «يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ» تعني في سلطته و على رعايته، لا في حضرته فحسب، إذ كان شياطين الجن يغوصون له و هو بعيد عن حضرته مهما كان في سلطته.

«... يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ» تسخيرا لهم لأمره، حيث الجن لا يسخرون دون ذلك، إلا سخرية لمن يسخرهم دون ذلك! و من خلفيات‏ «بِإِذْنِ رَبِّهِ»:

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 247

«... وَ مَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنا نُذِقْهُ مِنْ عَذابِ السَّعِيرِ» و ليس «أمرنا» إلا عملا لسليمان بين يديه بإذن ربه، فقد كان الاذن- إذا- اذن الأمر، لا- فقط- اذن السماح، حيث السماح لخدمة سليمان النبي حاصل بطبيعة الحال لكل بالغ مبلغ التكليف! و ترى ان‏ «عَذابِ السَّعِيرِ» هنا خاص بالأخرى؟ و هو كذلك فانها هي دار الجزاء دون الاولى! و لم يأت السعير في القرآن فيما أتت (18) مرة إلّا للأخرى! فلا يختص- إذا- بالأولى، و قد يعمها على هامشها دون تحتم فإن الآخرة هي دار الجزاء دون الاولى، اللهم إلّا لمن تخطى حدّ الطغوى، و قد تلمح «نذقه» دون «ندخله» لشموله عذاب الاولى، فكل عذاب في الدنيا او البرزخ يعبر عنه بذوق العذاب و ليس هو العذاب! و قد يدل عليه‏ «وَ آخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفادِ» (38: 38).

يَعْمَلُونَ لَهُ ما يَشاءُ مِنْ مَحارِيبَ وَ تَماثِيلَ وَ جِفانٍ كَالْجَوابِ وَ قُدُورٍ راسِياتٍ اعْمَلُوا آلَ داوُدَ شُكْراً وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ (13).

أعمال اربعة هنا تذكر كنماذج هامة مما يشاءه سليمان من الجن، ف «محاريب» جمع محراب من أماكن العبادة الخاصة كالمعروف المتداول عندنا، و «تماثيل» هي الصور المجسمة من شجر و سواها، و عموم اللفظ يشمل تماثيل ذوات الأرواح أيا كانوا، و كما النباتات و سواها، و لكنما المتعود طول التاريخ منها هي ذوات الأرواح‏ «1» و لان سليمان النبي كان‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

وسائل الشيعة 12: 219 في الصحيح عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) في قول اللّه عز و جل: يعملون له ما يشاء من محاريب و تماثيل .. فقال: و اللّه ما هي تماثيل الرجال و النساء و لكنها تماثيل الشجر و شبهه و الصحيح عن محمد بن مسلم قال سألت أبا عبد اللّه (عليه السلام) عن تماثيل الشجر و الشمس و القمر فقال: لا بأس ما لم يكن‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 248

يشاءها من الجن فهو إذا من المسموحات لا الممنوعات، و ما دام لم يرد نص في القرآن لنسخه ليس الحديث لينسخه حيث القرآن لا ينسخ إلّا بالقرآن لا سواه، إذا فعمل الصور المجسمة لا محظور فيه، بل و علّه محبور حيث يشاءه سليمان.

اجل ان التماثيل المعبودة، المعمولة لعكوف العبادة، هي محرمة بنص القرآن و ضرورة الأديان: «إِذْ قالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ ما هذِهِ التَّماثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَها عاكِفُونَ» (21: 52).

و على غرارها التماثيل التي تصنع لأجل تخليد أصحابها بعد موتهم احتراما زائدا عما يرام، فانها مكروهة على أشراف الحرمة، و لكن التماثيل ككل تمثال ليست محرمة، و لأن اصل الحرمة في اتخاذها ليس إلّا شائبة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

شيئا من الحيوان‏

و

عن الصادق عن آبائه (عليه السلام) في حديث المناهي قال: نهى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) عن التصاوير و قال: من صور صورة كلفه اللّه تعالى يوم القيامة ان ينفخ فيها و ليس بنافخ .. و نهى ان ينقش شي‏ء من الحيوان على الخاتم و عنه (عليه السلام) ثلاثة يعذبون يوم القيامة من صور صورة من الحيوان يعذب حتى ينفخ فيها و ليس بنافخ .. و رواه ابن عباس عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) مثله الا «من الحيوان»

و

عن موسى بن جعفر (عليه السلام) عن التماثيل هل يصلح ان يلعب بها قال: لا و في تحف العقول و صنعة صنوف لتصاوير ما لم يكن فيه مثال الروحاني فحلال تعلمه و تعليمه ...»

هذه و لكن التمثال لغويا هو الصورة المصورة او ما تصنعه و تصوره مشبها بخلق اللّه من ذوات الروح و الصورة، و لو كان المعنى من «تماثيل» في الآية غير ذوات الأرواح لكان حق التعبير الصحيح و الفصيح «نقوش» و لم يكن من المتعود ان يعمل الصور المجسمة من غير ذوات الأرواح إلا حديثا، فالآية ظاهرة كالنص في جواز عمل التماثيل لذوي الأرواح، و ليس الحديث لينسخ القرآن أيا كان، فالأحرى ما فصلناه في المتن من تفصيل لراجح منه و مرجوح و محرم و اللّه اعلم.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 249

العبادة ام آئبتها، فحكمها واحد عبر الشرائع دونما تناسخ فانه لزام التوحيد، و سليمان كان من أكمل الموحدين فكيف يبغى محرما او مكروها في حظيرة التوحيد و بحضره ربه الكريم المجيد! فحين تتخذ تماثيل من الطغاة عن حالتهم البئيسة التي قضت عليهم إنذارا للأخلاف، ام تتخذ تماثيل من التقاة عن حالتهم العزيزة تبشيرا لهم، فما هي- إذا- إلّا تماثيل التبشير و الإنذار، دون عكوف لها كاصنام.

ام حين تتخذ تماثيل للعبة الأطفال، بلا عكوف و لا تبشير او إنذار، فما هي محرمة محظورة، مهما لم تكن محبورة.

و هنا أحاديث تروى بحق تحريم عمل الصور المجسمة و التماثيل ذوات الأرواح خاصة نخصصها بموارد المحظور لظاهر كالنص من آية التماثيل‏ «1».

ثم‏ «وَ جِفانٍ كَالْجَوابِ» هي الجفان العظيمة كالحياض حيث الجابية هي حوض يرد فيه الماء فهي و ان عظيمة للأطعمة، و من اين تملأ؟

«وَ قُدُورٍ راسِياتٍ» ضخمة في ثقلها وسعتها، راسية ثابتة في محلها لصعوبة حملها.

.. اعْمَلُوا آلَ داوُدَ شُكْراً وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ.

«اعْمَلُوا آلَ داوُدَ شُكْراً» لا- فقط- ان تقولوا شكرا، فالشكر في أصله من مقولة الأعمال، و ليست الأقوال إلا حاكية عنها «وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ» عملا، في الكثير من القلة المؤمنة الشاكرة قولا، و الشكور مبالغة الشاكر فلتكن بالغ الشكر. ثم و هنا «الشكور» و ليس «شكور» حيث التعريف يعني شكرا عمليا، ف «الشكور» هنا مبتدأ مؤخر لتعريفه‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). مضت هذه الأحاديث.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 250

و «قليل» خبر مقدم لتنكيره، إذا ف- «الشكور» عملا «قَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ».

ام ان «الشكور» كمطلق الشكر و حتى قولا «قَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ» ثم من هذه القلة «الشكور» كشكر مطلق يعم العمل‏ «قَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ» فهم- إذا- قلة من قلة فمهما كان الشكور قوليا ثلة امام هذه القلة، و لكنهم قلة امام «عبادي» الثلة، فأين قلة من قلة و ثلة من ثلة؟! «1».

ثم «الشكور» أيا كان تلمح لكثرته عدة و عدّة، و لحد يبلغ الشاكر شكرا بكل أبعاده في حياته! و من ثم نرى ذلك العظيم العظيم، الكريم الكريم، القويم القويم، سليمان النبي الملك، الذي سخر له الانس و الجن و صلب الكون و لكنه على عظمه و ملكه الذي لا ينبغي لأحد (38:

35):

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

الدر المنثور 5: 229- قال داود (عليه السلام) يا رب هل بات احد من خلقك الليلة أطول ذكرا لك مني؟ فأوحى اللّه اليه نعم الضفدع و انزل اللّه تعالى على داود (عليه السلام): اعْمَلُوا آلَ داوُدَ شُكْراً وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ» فقال داود (عليه السلام): يا رب كيف أطيق شكرك و أنت الذي تنعم علي ثم ترزقني على النعمة الشكر فالنعمة منك و الشكر منك فكيف أطيق شكرك؟ قال: يا داود الآن عرفتني حق معرفتي‏

و

فيه اخرج ابن المنذر عن عطاء بن يسار قال قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و هو يخطب الناس على المنبر و قرأ هذه الآية قال: ثلاث من أوتيهن فقد اوتي ما اوتي آل داود قيل: و ما هن يا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قال:

رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) العدل في الغضب و الرضا و القصد في الفقر و الغنى و ذكر اللّه في السر و العلانية

و

فيه عن ابراهيم التيمي قال قال رجل عند عمر: اللهم اجعلني من القليل فقال عمر: ما هذا الدعاء الذي تدعو به؟ قال: اني سمعت اللّه يقول: و قليل من عبادي الشكور فانا ادعوا اللّه ان يجعلني من ذلك القليل فقال عمر: كل الناس اعلم من عمر!

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 251

فَلَمَّا قَضَيْنا عَلَيْهِ الْمَوْتَ ما دَلَّهُمْ عَلى‏ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ ما لَبِثُوا فِي الْعَذابِ الْمُهِينِ (14).

و تلك من هيبة سليمان و هيمنته ان لم يجرأ أحد من جنوده من الجن و الإنس ان يدنوه فيسألوه ما ذلك المكث الطائل، الذي تمضي فيه أوقات صلوات‏ «فَلَمَّا قَضَيْنا عَلَيْهِ الْمَوْتَ» فوقع الموت‏ «ما دَلَّهُمْ عَلى‏ مَوْتِهِ» سئوال خاطر ام اي خاطر سائل‏ «إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ» تلك الصغيرة الهزيلة التي تأكل الأخشاب‏ «تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ» التي كان متّكئا عليها و ترى كيف المنسأة- فقط- تجعله واقعا قائما كما هو، و ليست مسكتها إلّا جانبية و على شرط المسكة من صاحبها، حيث يمسكها سنادا فتمسكه عمادا؟.

علّه لأنه كان جالسا على عرشه، متكئا على منسأته، محفوفا بما يسنده من جوانبه، فلما أكلت منسأته و ارتخت- بطبيعة الحال- خر أمامه، إذ فقد سناده أمامه! داية الأرض- هنا- هي الأرضة التي تتغذى بالأخشاب، و هي تلتهم سقوف المنازل الخشبية و أبوابها و قوائمها بشراهة و شراسة خطيفة، فلا تبقي عليها قائمة و لا تذر.

.. فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ ما لَبِثُوا فِي الْعَذابِ الْمُهِينِ‏ إذا فالجن لا هم أبناء اللّه حتى يعبدوا حيث سخروا لسليمان، و لا هم يعلمون الغيب حتى يستعملوه، قصة تقص عنهم ما خيّل الى أوليائهم.

و ترى ذلك العمل بين يدي سليمان كان عذابا مهينا و هو خدمة تقدم‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 252

للنبي الملك؟ اجل كان عذابا مهينا لشياطين الجن جزاء بما كانوا يشيطنون، ذوقا قليلا من عذاب السعير، و اما مؤمنوا الجن و الانس المستخدمين فلم يكونوا ليكلفوا لديه تلك الأعمال الشاقة المبرهة، إلا قدر المستطاع، فلم يكن العذاب المهين الا لشياطينهم.

ثم‏ «ما لَبِثُوا فِي الْعَذابِ الْمُهِينِ» تلمح بطول مكوث سليمان ميتا متكئا على منسأته، فليست قضية سويعات، لا سيما و ان ارضة الأرض لا تسطع ان تأكل المنسأة ليوم واحد، إلّا أياما طائلة، ام سنة كما يروى و ان كانت بعيدة «1»

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

الدر المنثور 5: 230- اخرج جماعة عن ابن عباس عن النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قال: كان سليمان (عليه السلام) إذا صلى رأى شجرة ثابتة بين يديه فيقول لها ما اسمك فتقول: كذا و كذا، فان كانت لغرس غرست و ان كانت لدواء نبتت فصلى ذات يوم فإذا شجرة ثابته بين يديه فقال لها ما اسمك قالت::

الخرنوب، قال: لاي شي‏ء أنت قال لخراب هذا البيت فقال سليمان اللهم عم عن الجن موتي حتى يعلم الإنس ان الجن لا يعلمون الغيب فأخذ عصا فتوكأ عليها و قبضه اللّه و هو متكئ فمكث حينا ميتا و الجن تعمل فأكلتها الأرضة فسقطت فعلموا عند ذلك بموته فتبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولا في العذاب المهين‏

أقول تبين الانس انما حصل بما رأوا الجن طول هذه المدة في العذاب المهين فلم يكونوا ليعلموا الغيب.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 253

[سورة سبإ (34): الآيات 15 الى 21]

لَقَدْ كانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتانِ عَنْ يَمِينٍ وَ شِمالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَ اشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَ رَبٌّ غَفُورٌ (15) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَ بَدَّلْناهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَواتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَ أَثْلٍ وَ شَيْ‏ءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (16) ذلِكَ جَزَيْناهُمْ بِما كَفَرُوا وَ هَلْ نُجازِي إِلاَّ الْكَفُورَ (17) وَ جَعَلْنا بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بارَكْنا فِيها قُرىً ظاهِرَةً وَ قَدَّرْنا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيها لَيالِيَ وَ أَيَّاماً آمِنِينَ (18) فَقالُوا رَبَّنا باعِدْ بَيْنَ أَسْفارِنا وَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْناهُمْ أَحادِيثَ وَ مَزَّقْناهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (19)

وَ لَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (20) وَ ما كانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطانٍ إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْها فِي شَكٍّ وَ رَبُّكَ عَلى‏ كُلِّ شَيْ‏ءٍ حَفِيظٌ (21)

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 254

آيات سبع تعرض سبأ في مسرح من حياة الفرح و الترح، إعراضا عن الرب الغفور و طيبة البلدة، فابتلاء بسيل العرم، عرامة بعرامة «ذلِكَ جَزَيْناهُمْ بِما كَفَرُوا وَ هَلْ نُجازِي إِلَّا الْكَفُورَ».

و «سبأ» اسم رجل ولد عشرة من العرب فتيامن منهم ستة .. «1»

فهم آباء قوم كانوا يسكنون جنوبي اليمن بأرض خصبة و بلدة طيبة ما تزال الى اليوم. منها بقية، و قد ارتقوا في سلم الحضارة و نضارة الحياة المادية.

لحد لا قبل له، و قد تحكموا في مياه الأمطار الغزيرة التي كانت تأتيهم من البحر في الجنوب و الشرق، فأقاموا خزانا طبيعيا يتالف جانباه من جبلين، و جعلوا على فم الوادي بينهما سدا، فاختزنوا كميات هائلة من الماء وراء السد، سدا لحاجاتهم المرحة، و قد عرف باسم «سد مأرب» و «جَنَّتانِ عَنْ يَمِينٍ وَ شِمالٍ» قد تغيان ذلك الخصب و الوفرة جانبي ذلك السد، و هما آية من آيات النعمة الربانية كأنها خارقة العادة بين القرى المجاورة لها، او منقطعة النظير!.

«كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ» حيث رزقكم إياه‏ «وَ اشْكُرُوا لَهُ» قالا و حالا و اعمالا و لا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي- «بَلْدَةٌ- طَيِّبَةٌ» في وفر النعم‏ «وَ رَبٌّ غَفُورٌ». بوفر الغفر و الكرم، على ما أنتم عليه من تقصير.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

الدر المنثور 5: 231- اخرج جماعة عن فروة بن مسيك المرادي قال‏ أتيت رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ... فقال رجل يا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 255

«فاعرضوا» عن ربهم و شكره حيث اخذتهم العزة بالإثم، و بدلوا نعمة اللّه كفرا «فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ» عرما بعزم! يجرف و يعرم في طريقه كل صغيرة و كبيرة، و كل حجارة صخرة صلبة، فحطّم سدهم و انساحت مياههم سيلا على سيل فلم يعد الماء يخزن حيث جفت كما جفوا، و احترقت الجنتان كما أحرقوا، فتبدلت جناتهم ويلات، صحراء قاحلة تتناثر فيها الأشجار الخشنة البرية:

وَ بَدَّلْناهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَواتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَ أَثْلٍ وَ شَيْ‏ءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (16)! فالجنات التي كانت تأتيهم بكل نعمة غزيرة اشكالا و ألوانا، أصبحت لا تأتيهم إلّا خمطا: شجر الأراك ام كل ذي شوك، و أثلا يشبه الطرفاء، و شيئا قليلا من سدر، فليأكلوا شائكا، و طرفاء لا ثمر لها، و سدرا قليلا!.

فتلك اصابة لهم في مأكلهم و من هنا الى مسكنهم الطريف:

وَ جَعَلْنا بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بارَكْنا فِيها قُرىً ظاهِرَةً وَ قَدَّرْنا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيها لَيالِيَ وَ أَيَّاماً آمِنِينَ (18).

«.. قوم كانت لهم قرى متصلة ينظر بعضهم الى بعض، و انهار جارية و اموال ظاهرة فكفروا بأنعم الله عز و جل، و غيروا ما بأنفسهم من عافية الله، فغير الله ما بهم من نعمة و الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فأرسل الله عليهم سيل العرم فغرق قراهم و خرب ديارهم و ذهب‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

و سلم) و ما سبأ؟ ارض او امرأة- قال (صلى الله عليه و آله و سلم) ليس بأرض و لا امرأة و لكنه رجل ولد عشرة من العرب فتيامن منهم ستة و تشاءم منهم اربعة فاما الذين تشاءموا فلخم و جذم و غسان و عاملة و اما الذين تيامنوا فالأزد و الأشعريون و حمير و كندة و مدحج و أنمار فقال رجل يا رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و ما أنمار؟ قال:

الذين منهم خثعم و بجيلة.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 256

بأموالهم و ابدلهم مكان جنتيهم ..» «1»

«الْقُرَى الَّتِي بارَكْنا فِيها» هي القرى الشامية، و «قُرىً ظاهِرَةً» هي الباهرة في ممرهم، الزاهرة ببركاتها، قريبة المنازل، متقاربة المحطات، مقدرة السير، محدودة المسافات‏ «وَ قَدَّرْنا فِيهَا السَّيْرَ» تقديرا متناسبا متناسقا لا يخرج المسافر من قرية الا و يدخل في اخرى مثلها، فلا تختص امنة السير فيها بالنهار، بل‏ «سِيرُوا فِيها لَيالِيَ وَ أَيَّاماً آمِنِينَ»! و ما ألطفها مسافات في تلكم السفرات السافرات، قراها الظاهرة هي لصق بعض، لا يخلد بخلد المسافر انه ناء عن منزله الا نزهة و لذة.

و يبدو انها كانت لهم نعمة سابغة لاحقة للسابقة، و كان اللّه أبدلهم إياها بجنتيهم امتحان الامتهان فكفروا ثانية:

فَقالُوا رَبَّنا باعِدْ بَيْنَ أَسْفارِنا وَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْناهُمْ أَحادِيثَ وَ مَزَّقْناهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (19).

فقد غلبت عليهم الشقوة و لم ينتفعوا من النذارة الاولى، فانما دعوا اللّه دعوة حمقاء «فَقالُوا رَبَّنا باعِدْ بَيْنَ أَسْفارِنا» كأنهم يرفضون النعمة بعد النقمة، ام يستاءون من رحمة بعد رحمة، فما دائهم و ما دوائهم إلّا اجابة الدعوة «وَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ» في هذه الدعوة «وَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ» قبل هذه الدعوة بما بغوا و طغوا، فاستجيبت دعوتهم البتراء الخواء إذ كانت بطراء حمقاء «فَجَعَلْناهُمْ أَحادِيثَ» يتحدث عنهم في كل ناد كامثولات لكل حمق في عمق كيف يدعى الرب لازالة النعمة الى نقمة؟ «وَ مَزَّقْناهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ»

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). في الكافي باسناده عن سدير قال سأل رجل أبا عبد اللّه (عليه السلام) عن الآية ...

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 257

عن كل رباط و ملصق فلم يبق لهم وصل إلّا الى فصل، في أوطانهم و أسفارهم، حيث بطروا النعمة و لم يصبروا على المحنة.

لقد فرق سبأ و مزق ايادي سبا في أنحاء الجزيرة مبدّدي الشمل، و عادوا أحاديث الهزء على الألسنة بعد ان كانوا امة حضارية غالية المصدر، عالية المورد، ذات وجود في الحياة «إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ» صبرا في البأساء و شكرا في النعماء، بل و صبرا في النعماء و البأساء و شكرا في النعماء و البأساء!.

وَ لَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (20) وَ ما كانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْها فِي شَكٍّ وَ رَبُّكَ عَلى‏ كُلِّ شَيْ‏ءٍ حَفِيظٌ (21).

«لقد» تأكيدان اثنان أن‏ «صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ» في أبعاد بعاد، حيث أراهم ظنه صادق اليقين، ام وجده صادقا عليهم كأنهم لا يشكون في صدقه فيعاملونه عمل اليقين، بما صدّق قالته عند اللّه:

فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلَّا عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (38: 83) و قالته الاخرى‏ «أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ» حيث المتبوع خير من التابع، و من التابعين من هو اكفر من إبليس! فقد وقع العباد في مربع من فخ إبليس دون نجاة الا بصادق الايمان! و هم في «عليهم» كل العباد لمكان الاستثناء إذ لم يكن في سبأ فريق من المؤمنين، مهما كان المحور لذلك التصديق هم سبأ و اضرابهم فإنهم التجوالة العليا لرحلات الشيطان، ثم و «عليهم» تدلنا على ان مربع التصديق كان «عليهم». و من ثم لم ينج المؤمنون كلهم‏ «إِلَّا فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» و هم صادقوا الايمان، و اما البسطاء، و اما اتباع الشهوات، فهم سيقة الشيطان مهما كانوا مؤمنين: «وَ ما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَ هُمْ مُشْرِكُونَ» فالقلة القليلة من المؤمنين مخلصين و مخلصين هم الذين لا يتبعون إبليس في أحلك الظروف و أهلكها، و ليس‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 258

ذلك التصديق الكاذب اللعين بسلطان له عليهم: «إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطانِ كانَ ضَعِيفاً» و كما يصدقه هو إذ قضي الأمر: «وَ قالَ الشَّيْطانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَ ما كانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَ لُومُوا أَنْفُسَكُمْ ما أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَ ما أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِما أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ» (14: 22).

انه لا سلطان له على اي انس او جان، لا حجة تقبلها العقول، و لا قوة تسيّر ذوي العقول، و انما مكرا و خداعا و كذبا، و لماذا اللّه جعل له سلطان المكر و الخداع؟ «وَ ما كانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ ...»

و «نعلم» هذا كما في أشباهه هو من العلم العلامة السمة، لا العلم المعرفة، فلكي يسم اللّه‏ «مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ» بسمة الايمان، و يعم‏ «مِمَّنْ هُوَ مِنْها فِي شَكٍّ» بوصمة اللاايمان، لم يكن اللّه ليصد عنهم سبيل الشيطان.

هذا! و لكي يقضى على فوضى الادعاءات الجوفاء، و يقف و يوقف كلّ مدّع عند عمله في تجربة من سلطان الشيطان! «وَ رَبُّكَ عَلى‏ كُلِّ شَيْ‏ءٍ حَفِيظٌ» لا يفوت منه فائت و لا يفلت منه فالت، فليس اتباع الشيطان فلتة خارجة عن حيطة الحفيظ، فان حريته في تصديق ظنه حفيظ على صدق المؤمنين و كذب الكافرين، حفيظ على كافة الموازين في كل تقوى و طغوى! و انما يختص من بين شعب الايمان و اللاإيمان هنا الآخرة، لان الايمان بها هو الرادع الأصيل عن اتباع الشيطان، فرب مؤمن باللّه و برسله لا يؤمن بالآخرة لا يردعه ذلك الايمان كما تردعه الآخرة!

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 259

[سورة سبإ (34): الآيات 22 الى 29]

قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقالَ ذَرَّةٍ فِي السَّماواتِ وَ لا فِي الْأَرْضِ وَ ما لَهُمْ فِيهِما مِنْ شِرْكٍ وَ ما لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (22) وَ لا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ عِنْدَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قالُوا ما ذا قالَ رَبُّكُمْ قالُوا الْحَقَّ وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (23) قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَ إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلى‏ هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (24) قُلْ لا تُسْئَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنا وَ لا نُسْئَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (25) قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنا رَبُّنا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنا بِالْحَقِّ وَ هُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ (26)

قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكاءَ كَلاَّ بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (27) وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَ نَذِيراً وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (28) وَ يَقُولُونَ مَتى‏ هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (29)

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 260

«قُلِ ادْعُوا ..» امر تعجيز بصيغته، ناحية منحى ابلغ نهي و أكده، و هو بالنسبة للعاكفين على دروب الضلالة، المصرين فيها «قُلِ ادْعُوا ..»

ما لكم نفس او نفس، و لسوف تعلمون انهم‏ «لا يَمْلِكُونَ مِثْقالَ ذَرَّةٍ فِي السَّماواتِ وَ لا فِي الْأَرْضِ» من تحويل او تحوير في ملك اللّه كآلهة، إذ «ما لَهُمْ فِيهِما مِنْ شِرْكٍ» في شي‏ء منهما، ثم‏ «وَ ما لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ» يعاون اللّه في قطمير! فلا هم شركاء اللّه، و لا هم معاونوه! فاللّه ظهير لمن سواه على اية حال، اللهم إلّا في ظلمهم، و «ما لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ»! ثم الشفاعة فيما تجوز «لا تَنْفَعُ» مهما حاولوها «إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ» بشروطها للشافعين و المشفع لهم.

و علّ الشفاعة المنفية هنا هي ليوم الدنيا حيث هم ناكرون يوم الدين فضلا عن شفاعته، ثم و هي في تكوين و تشريع هنا كما يدعونها «هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللَّهِ» شفاعة التقريب الى اللّه زلفى: «ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 261

إِلَى اللَّهِ زُلْفى‏» و ليست الا باذنه و لم يأذن لهم، و اما شفاعة التشريع فلا اذن فيها حتى لا فضل النبيين، و قد تشمل الشفاعة لما بعد الموت، حيث المتكلم عنها هنا هو اللّه دونهم.

ثم و «فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ» دون «فزعت قلوبهم» دليل زوال الفزع عن قلوبهم بعد واقعه، و إذا كان «هم» هنا هم الشافعون باذنه ففيما- إذا- الفزع حتى يفزّع؟.

علّهم لأنهم قبل اذنه تعالى فزعون حيث يترصدون أمره، فان في انتظار الأمر فزع الدهشة لموقف المأمور و لمّا يؤمر، و فزع الخوف حيث‏ «يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ يَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ» (16: 50) و الفزع هو التأثر و الانقباض من الخوف‏ «حَتَّى إِذا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ» حين يأذن لهم بشفاعة في تكوين حيث هم عمال رب العالمين، ثم يفعلون ما يؤمرون، فهنالك‏ «فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ» لواقع الأمر و تطبيقه، و كما هم فيما بينهم يتساءلون مستبشرين‏ «قالُوا ما ذا قالَ رَبُّكُمْ قالُوا الْحَقَّ وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ»! ذلك! و لا نحتمل ان «هم» هم المشركون، حيث لا يفزع عن قلوبهم على أية حال، و هم فزعون في ضيق قلوبهم و يوم القيامة هم من المفضوحين.

فالشافعون بحق، الراصدون اذن ربهم، هم فزعون، فكيف إذا لم يؤذن لهم أم لم يكونوا بحق؟، فأين- إذا- «هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللَّهِ» و اين هم من «يقربونا إِلَى اللَّهِ زُلْفى‏» و ليس لهم من الأمر شي‏ء؟

ثم و بوجه عام كان ملائكة الوحي عمالا و غير عمال فزعين من انقطاع الوحي في الفترة بين المسيح (عليه السلام) و محمد (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، ناظرين وحي الشرعة بما سبقت لهم بشارة بذلك الوحي‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 262

الأصيل، و لم تكن لهم شفاعة و تدخّل فيها، فصبروا طويلا «حَتَّى إِذا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ» حين بزغ وحي القرآن على قلب نبي القرآن، فاستغرقوا فرحا مستبشرين متسائلين بعضهم البعض: «ما ذا قالَ رَبُّكُمْ» و بعد ذلك الردح العظيم، فما وحي العمالة عندنا امام وحي القرآن بشي‏ء «قالُوا الْحَقَّ» الذي لا حول عنه و لا تحويل و لا تجديل و لا تدجيل، حق تابت لا حول عنه، و لا تحريف و لا نسخ و لا تبديل‏ «وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ»!. ام ان ذلك هو طبيعة الوحي و ماهيته، حيث يفزع قبل حصوله انتظارا له، و يفزع حين حصوله قرعا على اهله، ثم يزول الفزع بعد استقرار .. «1».

«وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ» دون ان يعلى عليه و يستكبر، فهو اللّه لا سواه، و هو الرب ليس الا إياه، و هو الرزاق ذو القوة المتين دون شفاعة شفيع إلّا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

البرهان 3: 351 القمي في رواية أبي الجارود في الآية «و ذلك ان اهل السماوات لم يسمعوا وحيا فيما بين عيسى بن مريم (عليه السلام) الى ان بعث اللّه جبرئيل الى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فسمع اهل السماوات صوت وحي القرآن كوقع الحديد على الصفا فصفق اهل السماوات فلما فرغ من الوحي انحدر جبرئيل كلما مر باهل السماوات فزع عن قلوبهم يقول: كشف عن قلوبهم، فقال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم؟ قالوا الحق و هو العلي الكبير.

و

في الدر المنثور 5: 236- اخرج جماعة عن النّواس بن سمعان قال قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم): إذا أراد اللّه ان يوحي بأمر تكلم بالوحي فإذا تكلم بالوحي أخذت السماء رجفة شديدة من خوف اللّه تعالى فإذا سمع بذلك اهل السماوات صعقوا و خروا سجدا فيكون أول من يرفع رأسه جبرئيل (عليه السلام) الى ان بعث اللّه فيكلمه اللّه من وحيه بما أراد فيمضي به جبرئيل على الملائكة (عليهم السلام) كلما مرّ بسماء سماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبرئيل فيقول: قال الحق و هو العلي الكبير فيقولون كلهم مثل ما قال جبرئيل (عليه السلام) فينتهي جبرئيل بالوحي حيث امره اللّه من السماء و الأرض.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 263

من اذن له، إذا فهو هو الشفيع و الشافعون عمال لتحقيق الشفاعة حيث الدار دار الأسباب:

قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَ إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلى‏ هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (24).

«قل ... قل .. قل ..» ضربات كأنها مطارق تدفع بالحجة، و توضح المحجة، في جولات تلو بعض حول قضية الشرك و التوحيد، جولات تطوف بالقلوب في مختلف مجالات الوجود، بمواقف مرهوبة ترجف فيها الأوصال، و تتغير الأحوال بغيار الأهوال، كل ذلك في ايقاعات قوية و ادبية تصدع بقاطع البرهان في قوة و سلطان! «قل» لمن يدعون من دون اللّه شفعاء و آلهة «مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ»؟ روحيا او ماديا «قل اللّه» حيث يصدقون اللّه كإله الأصل و انما الاختلاف في الشبكات، فلانه رسول اللّه و هو لسان الناس عن فطرة و عقلية اصيلة فليكن هو المجيب «قل اللّه».

ثم و في نطاق الخلاف بينك و بينهم في اصول و فروع عقائدية و طقوس دينية فمجاملة في الحوار بإظهار الحق اليقين بمسرح الشك، و لكي تجذبهم من الشك الى اليقين دون مفاجئة بصراح القول الحق: «نحن على هدى و أنتم في ضلال مبين» بل‏ «وَ إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلى‏ هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ»:

لا تخلوا من بيننا هدى و ضلال مبين، و على الشاك في ضلاله و هداه أن يحاول الخروج عن ضلال الشك الى هدى اليقين! و انها غاية النصفة و الاعتدال في ادب الجدال ان ينبري رسول الحق بلا تحتم لضلالهم و لا هداه ليثير فيهم التفكير في هدوء دون إذلال لهم في طرح القول: انهم هم في ضلال، حيث الجدل بذلك الأسلوب المهذب الموحي الشهي أقرب الى لمس القلوب المقلوبة، لو ان لها منفذا الى النور!

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 264

و من ثم الى حلقة ثانية للحوار اعمق ادبيا و أعرق في اجتثاث جذور التعنت و الاستكبار:

قُلْ لا تُسْئَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنا وَ لا نُسْئَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (25).

حيث يسايرهم في تهمة الإجرام انه و من معه كأنهم المجرمون، فلستم أنتم- إذا- مسئولون، و انما المجرمون هم أنفسهم مسئولون، ثم لما ياتي دورهم في نسبة الاجرام لا يفصح عنه بما أفصح لنفسه، و إنما «وَ لا نُسْئَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ» اجراما و سواه، «كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ» «وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى‏».

و بهذه اللمسة اللامعة يخطئهم في خرافة الطائر، و لكي يفكر كل في نفسه لنفسه، دون محاولة لتخطئة الآخرين، و من حال الخاطئين تلطيخ المصلحين ليجعلوهم كما هم فيستريحوا منهم!.

و الى حلقة ثالثة لو اننا عيينا عن ان نفتح بيننا بالحق:

قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنا رَبُّنا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنا بِالْحَقِّ وَ هُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ (26) فذلك الجمع ليوم الجمع ضرورة لا محيد عنها، و لأقل تقدير فتحا بيننا بالحق، حيث العلم المحيط و العدالة و الحكمة تقتضي ذلك الفضل الحكيم من‏ «الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ»!: «وَ يَقُولُونَ مَتى‏ هذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ؟ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمانُهُمْ وَ لا هُمْ يُنْظَرُونَ» (32: 29).

ان الإقرار بوجود اللّه العلي القدير، الفتاح العليم، لزامه تقرير يوم للفتح بين المتخالفين في توحيد اللّه و الإشراك به، فإذا لم يفتح هنا فلا بد من فتح في الأخرى و هي هي يوم الحساب! فليس الفتاح العليم ليترك الأمور مختلطة إلّا إلى حين، ثم و هو لا يجمع بين المحقين و المبطلين إلّا ريثما يقوم الحق بدعوته و يبذل طاقته و يجرب تجربته ثم يمضي امره و يفصل‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 265

فصله و يفتح فتحه‏ «وَ هُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ»! قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (27).

«اروني» هؤلاء الشركاء الملحقين المقحمين، الذين هما مادة الخلاف- الاصيلة- بيننا، لكي نقدم فتحا هنا بيننا قبل الأخرى، «اروني» من ربوبياتهم مثقال ذرة، بل هم المربوبون كسائر الخلق أجمعين‏ «كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ» على‏ «الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكاءَ»- «الحكيم» في ربوبيته دون حاجة الى شركاء مقحمين! فعزته تعالى و حكمته هما حجتان قاطعتان كل شركة في ألوهيته، دامغتان كل شريك له، و لو ان عزته و حكمته غير كافية فباحرى شركائه الفروع هم أذل و اوهى! «كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»! «اروني» إياهم رأى البصر و البصيرة، لزى هل فيهم من ميزات الربوبية شي‏ء، فأصنامهم ميتة، و طواغيهم طاغية من حزب الشيطان، و كرمائهم كالملائكة و النبيين هم‏ «عِبادٌ مُكْرَمُونَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ» فأين الربوبية في سواه؟ «كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»! و في «أروني» لمحات من استنكارات و استخفافات: أرونيهم ما هم؟

من هم اين مكانهم و مكانتهم؟ و كيف استحقوا ذلك الإلحاق، و إذا هم آلهة كما اللّه فكيف ما ألحقهم هو بنفسه، ام ما لحقوا هم أنفسهم اليه، حتى كنتم أنتم عبدتهم تلحقونهم باللّه؟ «كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»! وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَ نَذِيراً وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (28).

آية منقطعة النظير بحق البشير النذير، عن رسالته الكافة للناس، دلالة صارمة على ان رسالته خاتمة الرسالات حيث تكف الناس كل الناس‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 266

عما يجب كفهم عنه من مختلف المحظورات و المحذورات.

فذلك الرسول هو كافة للناس مبالغة بالغة في الكف و الكفاف، مهما كانت الرسالات السابقة كفا دون كفاف، فإنما كانت رسالات تحضيرية تعبدّ الطريق لهذه الكافة للناس.

و الكافة من الكفّ العضو حيث يكف، و من الكف مصدرا، و هما المعنيان مبالغة فيهما هنا، فهو كف فيه الكفاية ليكف كل الناس عن كل المحاظير، فقد تشمل الدعوة كل الناس و لكنها لا تكفهم، و قد تكفهم كلهم و لكنها لا تشملهم، و هذه الدعوة الكافة تشملهم كلهم‏ «1» في كف واحدة و تكفهم، فيا ايها الناس‏ ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً (2: 208) دخولا للكل و كفا عن خطوات الشيطان بوحدة جامعة!.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

الدر المنثور 5: 237- اخرج ابن المنذر عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم): أعطيت خمسا لم يعطهن نبي قبلي بعثت الى الناس كافة الى كل ابيض و احمر ...

و

في تفسير البرهان 3: 351 القمي باسناده الى حفص الكناسي قال سمعت عبد اللّه بن بكر الدجاني قال: قال لي الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) اخبرني عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كان أرسل عامة للناس؟ أ ليس قد قال اللّه في محكم كتابه‏ «وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ» لأهل المشرق و المغرب و اهل السماء و الأرض من الجن و الأنس هل بلغ رسالته إليهم كلهم؟ قلت:

لا ادري قال يا بن بكير ان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) لم يخرج من المدينة فكيف ابلغ اهل المشرق و المغرب؟ قلت: لا ادري، قال: ان اللّه تعالى امر جبرئيل فاقتلع الأرض بريشة من جناحه و نصبها لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فكانت بين يديه مثل راحة في كفه ينظر الى اهل المشرق و المغرب و يخاطب كل قوم بألسنتهم و يدعوهم الى اللّه و الى نبوته بنفسه فما بقيت قرية و لا مدينة الا و دعاهم النبي بنفسه.

أقول «مثل راحة في كفه» استفادة لطيفة من‏ «كَافَّةً لِلنَّاسِ» و لكن الكافة لا تستلزم‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 267

انه‏ «كَافَّةً لِلنَّاسِ» ككل «و لو كان لربك شريك لأتتك رسله» و إذا لشريكه او شركائه رسل فارونيهم، فإذا لا رسل لمن ألحقتم به شركاء فأين الربوبية؟.

انه‏ «كَافَّةً لِلنَّاسِ» في رسالته المبشرة المنذرة، و حين يحصل الكفّ للناس كل الناس، عن كافة المخطورات طول الزمان و عرض المكان فليكف عن إرسال رسول بعده، فما ذا بعد الكافة إلّا تحصيلا لحاصل ام تضييعا؟ فهذه الآيات من آيات رسالته العالمية، الخاتمية، فلا يرسل بعده من رسول، كما لم يرسل معه، و الذين أتوا قبله كانوا رسلا لتعبيد الطريق لرسالته السامية الخالدة.

«وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ» رسالته و كافته و بشارته و نذارته، او «لا يعلمون» الرباط العريق بين رسالته الوحيدة و الربوبية الوحيدة. كما «لا يعلمون» ان الرسالة الكافة لا تسمح لرسالة اخرى معها او بعدها عن اللّه الواحد فضلا عمن‏ «أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكاءَ»!.

و «لا يعلمون» انه و هو رسول ليس له من الأمر شي‏ء إلّا «بَشِيراً وَ نَذِيراً» فهم يتطلبون إليه آيات إلهية خارقة العادة كأنه مخول فيها، ام موكل عليها، كما و يقترحون عليه علم الساعة:

وَ يَقُولُونَ مَتى‏ هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (29) ترى و ما هي الرباط

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

الدعوة بنفسه، فان لزم فهل دعاهم بعد موته؟ ايضا- بنفسه، و لو انه دعى كلا بلغته كانت فيها الكفاية عن الكتب التي بعث الى الملوك و الرؤساء، و كفاهم حجة قبل ان يسمعوا الى قرآنه و يروا سائر برهانه، و أظن تتمة الحديث من مقحمات الوضاعين!.

ثم المروي عن النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) تعارضه الآيات الدالة على عمومية الرسالة لاولى العزم و رواياتها، إلّا ان تعني الكافية في طول الزمن الى يوم القيامة مع المشاركة في عرض المكان لردح من الزمن.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 268

بين حق الوعد و العلم بمتاه؟ و حتى لو أخبرهم بمتاه و هم ناكروه في أصله فما هي- إذا- الفائدة، إلا نكرانا على نكران؟.

أ ترى أحدهم حين يسئل متى تموت و هو لا يدريه، هل له أو لك نكران موته و كل يعلم موته؟

ام حين يسأل متى ولدت و هو لا يدري؟ هل يحصل هنا شك في انه ولد لوقت مّا؟

ذلك السؤال، المتعنت الجاهل مكرور مدوّر على ألسنة الناكرين ليوم الدين، معتبرين جهله (صلى اللّه عليه و آله و سلم) بمتاه و يجهّل أصله في مداه، و لا رباط عقيديا و علميا بين مداه و متاه؟!.

سؤال ساقط ممن ينكر يوم الدين ام يقر، و ليس الا تعنتا و زورا و غرورا من سائل‏ «يَسْئَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ» ثم الجواب الحاسم المكبت:

قُلْ لَكُمْ مِيعادُ يَوْمٍ لا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ ساعَةً وَ لا تَسْتَقْدِمُونَ (30).

ان وعد اللّه واقع لا ريب فيه، علمتموه ام لم تعلموا متاه‏ «لَكُمْ مِيعادُ يَوْمٍ» موتا، او هلاكا، ام جمعا «يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَ فَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ»- «لا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ ساعَةً» لرغبة عنه‏ «وَ لا تَسْتَقْدِمُونَ» عنه ساعة لرغبة فيه، فليس وعد الميعاد فوضى جزاف، يؤخر لرغبة، او يقدم لأخرى، فكل شي‏ء مسيّر و مصيّر بقدر، و كل امر منه متصل بالآخر بحكمة مستورة لدى العزيز الحكيم.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 269

[سورة سبإ (34): الآيات 30 الى 45]

قُلْ لَكُمْ مِيعادُ يَوْمٍ لا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ ساعَةً وَ لا تَسْتَقْدِمُونَ (30) وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهذَا الْقُرْآنِ وَ لا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ لَوْ تَرى‏ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلى‏ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْ لا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (31) قالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَ نَحْنُ صَدَدْناكُمْ عَنِ الْهُدى‏ بَعْدَ إِذْ جاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ (32) وَ قالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ إِذْ تَأْمُرُونَنا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَ نَجْعَلَ لَهُ أَنْداداً وَ أَسَرُّوا النَّدامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذابَ وَ جَعَلْنَا الْأَغْلالَ فِي أَعْناقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (33) وَ ما أَرْسَلْنا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلاَّ قالَ مُتْرَفُوها إِنَّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافِرُونَ (34)

وَ قالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوالاً وَ أَوْلاداً وَ ما نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (35) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَ يَقْدِرُ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (36) وَ ما أَمْوالُكُمْ وَ لا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنا زُلْفى‏ إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً فَأُولئِكَ لَهُمْ جَزاءُ الضِّعْفِ بِما عَمِلُوا وَ هُمْ فِي الْغُرُفاتِ آمِنُونَ (37) وَ الَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آياتِنا مُعاجِزِينَ أُولئِكَ فِي الْعَذابِ مُحْضَرُونَ (38) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ يَقْدِرُ لَهُ وَ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْ‏ءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَ هُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (39)

وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَ هؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كانُوا يَعْبُدُونَ (40) قالُوا سُبْحانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (41) فَالْيَوْمَ لا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعاً وَ لا ضَرًّا وَ نَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِها تُكَذِّبُونَ (42) وَ إِذا تُتْلى‏ عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ قالُوا ما هذا إِلاَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كانَ يَعْبُدُ آباؤُكُمْ وَ قالُوا ما هذا إِلاَّ إِفْكٌ مُفْتَرىً وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جاءَهُمْ إِنْ هذا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ (43) وَ ما آتَيْناهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَها وَ ما أَرْسَلْنا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ (44)

وَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ ما بَلَغُوا مِعْشارَ ما آتَيْناهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ (45)

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 271

وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهذَا الْقُرْآنِ وَ لا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ لَوْ تَرى‏ ... (31).

قوله جاهلة قاحلة من‏ «الَّذِينَ كَفَرُوا» في استحالة الايمان بالقرآن و ما

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 272

بين يديه من كتاب! فحتى لو تاكدوا- فعلا- من بطلانه لكانت الاستحالة باطلة، حيث الحال لا تحكم على الاستقبال، فرب حال ترى انها من المحال لقصور في العلم او القدرة، ثم يتحول في الاستقبال من راجحة الأحوال.

اجل في الضروريات العقلية الثابتة لدى كل عاقل قد يصح القول الصامد «لن- او- حتما» مستحيلا ام واجبا، و اما غير الضروريات البدائية، فضلا عما تدل بنفسها على حقها كما القرآن، فكيف يصح القول‏ «لَنْ نُؤْمِنَ بِهذَا الْقُرْآنِ» أللّهم إلّا ان يخبروا بمدى لئامتهم و عنادهم للحق، دون قصور في القرآن، و لكنهم على عنادهم قد يتحولون الى حالة اخرى! ف- «لن» في مثل القرآن ليست لتصدق او تصدّق على أية حال، و هم يرفضون بها حاضر الايمان و مستقبله بالقرآن، عنادا.

فالقرآن بنفسه شاهد صدق يفرض على من يتدبره الايمان به، و يرجح لمن لم يتدبر، و اما إحالة الايمان فليست إلّا من إغلاق باب العقل و الفطرة لحدّ وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَ الْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ‏ (41: 26)! و «الَّذِينَ كَفَرُوا» هنا هم المشركون و اضرابهم من غير الكتابيين مهما كانوا موحدين، و «بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ» صيغة دائبة في سائر القرآن عن سائر كتابات السماء، إلّا فيما تقرن بقرينة تدل على الحياة الاخرى‏ «.. ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَ عَنْ أَيْمانِهِمْ ..» فانها الحياة الأخرى بعد مستقبل الاولى، و لكن‏ «بَيْنَ يَدَيْهِ» تخصه بضميرها المفرد و لا تخصه الاخرى، اضافة الى قرن‏ «بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ»- «بِهذَا الْقُرْآنِ» فما بين‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 273

يديه قرآن غير هذا من التورات و الإنجيل، مهما كان اطلاق القرآن منصرفا الى هذا القرآن! و لما وصل الحوار إلى هذه الحال من التعنّة النكراء، فلا تفيد بعدئذ مواصلة الحوار، من هنا يستعرض حوار اهل النار، كجواب لهم عما هنا:

... وَ لَوْ تَرى‏ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلى‏ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْ لا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (31).

ترى كيف‏ «لَوْ تَرى‏ ..» و «لو» تحيل مدخولها؟ علّها الرؤية يوم الدنيا، ف- «لو» تلوي للترجي: يا ليت ترى في الحال حوارهم البائس في الاستقبال؟ و كما في‏ «وَ لَوْ تَرى‏ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ ..» (6: 27) وَ لَوْ تَرى‏ إِذْ وُقِفُوا عَلى‏ رَبِّهِمْ (6: 30) وَ لَوْ تَرى‏ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَراتِ الْمَوْتِ (6: 93) وَ لَوْ تَرى‏ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ (8: 50).

ثم لمّا يحضر واقع المسرح للأخرى كأنه الحال‏ وَ تَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفادِ (14: 49) وَ تَرَى الْأَرْضَ بارِزَةً (18: 47) وَ وُضِعَ الْكِتابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ (18: 49).

«.. إِذِ الظَّالِمُونَ» في العقائد الرئيسية كالذين ذكروا «مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ» زجا في سجنه وقفة الحائرين الذعرين نظرة الحكم من رب العالمين‏ «يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلى‏ بَعْضٍ الْقَوْلَ» الظالم المستضعف الى الظالم المستكبر و عكسا، حيث يلوم بعضهم بعضا، و يؤنب بعضهم بعضا، إلقاء لتبعة ما هم فيه على بعض، و «القول» هو «يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا» مقصرين لا قاصرين للذين استكبروا «مقصرين لولا أنتم لكنا مؤمنين»! و ليست‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 274

التبعة إلّا عليكم، إذ كنا نحن قاصرين، و لو خلينا و أنفسنا لكنا مؤمنين.

قولة جاهرة اليوم و قد سقطت القيم الزائفة و واجهوا واقع العذاب، و هم قبل اليوم لم يكن يخلد بخلدهم ان يقولوها، حيث التخاذل، و الضعف القاصد، و الاستسلام المصلحي، و بيع الحرية و الكرامة بالأركس الأدنى، كانت تحول دون هذه القولة الجاهرة، و هنا الجواب الحاسم من الذين استكبروا.

أَ نَحْنُ صَدَدْناكُمْ عَنِ الْهُدى‏ بَعْدَ إِذْ جاءَكُمْ (32) و الهدى تحل محلها من قلوب صافية ضافية، فليست لتصد بعد إذ جاءت‏ «بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ» قبل ان نصدكم، فقد أجرمتم ثمرة الحياة تغاضيا عن فطركم و عقولكم، و تحكيما لحاضر شهواتكم، ثم نحن واصلنا في إضلالكم:

ظلمات بعضها فوق بعض، فنحن و إياكم صادون عن الهدى على سواء، فان كنا نحن مجرمين مستكبرين، فقد كنتم أنتم مجرمين مستضعفين، و كل إناء بما فيه يرشح! ثم يرجع المستضعفون بما يخفف عنهم في زعمهم عذابهم، و يثقل على المستكبرين:

قالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ إِذْ تَأْمُرُونَنا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَ نَجْعَلَ لَهُ أَنْداداً ... (33).

لو اننا بقينا على جرمنا دون مكر و أمر منكم لخف الوطء عنا و كنا اقل منكم عذابا «بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ» من ناحية و نحن ضعاف العقول، و «إِذْ تَأْمُرُونَنا ..» من اخرى و أنتم أقوياء، و لكن الذي جائته الهدى على بينة كيف يمكر، ام الذي يؤمن بها كيف يكفر حين يؤمر؟

و الكفر و الايمان من الأمور القلبية لا إكراه فيها ...

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 275

هناك يدرك الفريقان من الظالمين ان ليس الحوار ليثمر تخفيفا عن عذاب أم تأجيلا، فلكلّ جريمته و إثمه ما هو ظالم قدره، ثم على المستكبرين تبعة زائدة لإضلال الآخرين، و المستضعفون عليهم و زرهم باتباعهم مقصرين، لا يعفيهم انهم كانوا مستضعفين، كما لا يعفي المستكبرين ان هؤلاء كانوا مجرمين.

فهنالك تختم الحوار برؤية العذاب و حيث لا تفيد الحوار:

«... وَ أَسَرُّوا النَّدامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذابَ» كل من المستضعفين و المستكبرين‏ «وَ جَعَلْنَا الْأَغْلالَ فِي أَعْناقِ الَّذِينَ كَفَرُوا» و هي في الحق تلكم الأغلال التي غلوا بها أنفسهم، غل الاستضعاف و غل الاستكبار، و اين غل من غل؟ و اين عذاب من عذاب؟ «هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا ما كانُوا يَعْمَلُونَ» غلّا بغل: و «لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هذا فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ»! وَ ما أَرْسَلْنا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قالَ مُتْرَفُوها إِنَّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافِرُونَ (34).

فلان ماهية الرسالات الإلهية و طبيعتها هي الحفاظ على العدل بين الناس، و القضاء على تطاولات المستكبرين و الطغاة و المترفين في اللذات و الحيونات، لذلك كانت تعارض منذ بزوغها من قبل المترفين فلم تكن- إذا- خلاف ما يزعم- بجانب الرأسمالية و تخديرا للمستضعفين‏ «1» ف-

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

الدر المنثور 5: 238- اخرج ابن أبي شيبة و ابن المنذر و أبي حاتم عن ابن زيد قال‏ كان رجلان شريكان خرج أحدهما الى الساحل و بقي الآخر فلما بعث النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كتب الى صاحبه يسأله ما فعل فكتب اليه انه لم يتبعه أحد من قريش الا رذالة الناس و مساكينهم فترك تجارته و أتى صاحبه فقال له دلني عليه و كان‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 276

«إِنَّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافِرُونَ» دون تأمل و تحليل، و تغاضيا عن كل دليل، هي كلمة المترفين على مر الزمن الرسالية، معادة مكرورة في كل قرية، حيث الترف يغلظ القلوب و يفقدها كل حساسية عقلية و لمسة فطرية، لحد يحسبونهم هم الموضوع الرئيسي و المحور الأساسي في الحياة، و ان أموالهم و أولادهم هي مانعتهم من العذاب في الأخرى كما تمنعهم في الأولى!:

وَ قالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوالًا وَ أَوْلاداً وَ ما نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (35) و لو كان هنالك عذاب فانما هو للمستضعفين فلنا الترف في كل طرف من أطراف الحياة: «وَ لَئِنْ أَذَقْناهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هذا لِي وَ ما أَظُنُّ السَّاعَةَ قائِمَةً وَ لَئِنْ رُجِعْتُ إِلى‏ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنى‏» (41: 50).

وي! كأنما الأموال و الأولاد هي التي تقربهم الى اللّه زلفى فلا يعذبون، و ليست هي من حسن اعمالهم، و لا انها منهم حتى و لو كانت حسنة لهم:

قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَ يَقْدِرُ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (36).

إنهم يحسبونهم ان بأيديهم بسط الرزق و قدره، و هم يرون كثيرا ممن يسعى مجدا فلا يجد سعة إلّا قدرا، و آخرين لا يسعون كثيرا- ام- و لا قليلا و لهم بسط في الرزق، و هذا لا ينافي الضابطة المطردة: «وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلَّا ما سَعى‏» فانما بسط الرزق و قدره في أكثرية ساحقة خارجان عن مدى السعي و البطالة «وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ» حيث يزعمون‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

يقرأ الكتب فأتى النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فقال: إلى م تدعو قال (صلى اللّه عليه و آله و سلم): الى كذا و كذا قال: اشهد انك رسول اللّه قال ما علمك بذلك قال: انه لم يبعث نبي الا اتبعه رذالة الناس و مساكينهم فنزلت هذه الآيات .. فأرسل اليه النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ان اللّه قد انزل تصديق ما قلت.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 277

بسطه بما هم يبسطون و قدره بما هم يقدّرون و يقدرون! فمسألة بسط الرزق و قدره هي من أهم ما تحيك في صدور كثيرة، فحين تتفتح الدنيا بزخارفها على المبطلين، و يحرم بجنبهم الآخرون، يخيّل الى الجهال ان اللّه ليس ليغدق على احد إلّا و له عنده زلفى، و لا يغلق على أحد إلّا البعيدين عنها، و ذلك حين ما تختل الموازين و القيم، و تختلط القيم الروحية و المادية فتخلف فوضويات من الظنون الرديئة، و لكن:

وَ ما أَمْوالُكُمْ وَ لا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنا زُلْفى‏ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً فَأُولئِكَ لَهُمْ جَزاءُ الضِّعْفِ بِما عَمِلُوا وَ هُمْ فِي الْغُرُفاتِ آمِنُونَ (37) وَ الَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آياتِنا مُعاجِزِينَ أُولئِكَ فِي الْعَذابِ مُحْضَرُونَ (38).

ف- الْمالُ وَ الْبَنُونَ زِينَةُ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ الْباقِياتُ الصَّالِحاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَواباً وَ خَيْرٌ أَمَلًا (18: 46).

فانما تقربكم الى اللّه زلفى، «الْباقِياتُ الصَّالِحاتُ» الايمان و عمل الصالحات، فالأموال و الأولاد التي تستخدم لمرضات اللّه هي خير عند ربك ثوابا و خير املا «فَأُولئِكَ لَهُمْ جَزاءُ الضِّعْفِ بِما عَمِلُوا» عملا مضاعفا فاصل الايمان و عمل الصالحات عمل، و الأموال و الأولاد التي تستعملهم في صالحات عمل ثان‏ «1» فما بقيت صالحة خيرة فلك منها ثواب، و كما على الذين يعملون طالحات، و يستعملون أموالهم و أولادهم في طالحات،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

القمي‏ ذكر رجل عند أبي عبد اللّه (عليه السلام) الأغنياء و وقع فيهم فقال (عليه السلام) اسكت فان الغني إذا كان وصولا لرحمة بارا باخوانه أضعف اللّه له الأجر ضعفين لان اللّه يقول‏ «وَ ما أَمْوالُكُمْ‏ ... إِلَّا مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً فَأُولئِكَ لَهُمْ جَزاءُ الضِّعْفِ بِما عَمِلُوا ...».

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 278

أولئك لهم ضعف العذاب، فانما الجزاء خيرا و شرا على قياس العمل ضخامة و وخامة: «وَ الَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آياتِنا مُعاجِزِينَ» مستعملين أموالهم و أولادهم في سعيهم الفاسد الكاسد «أُولئِكَ فِي الْعَذابِ مُحْضَرُونَ» و كما كانوا في بواعث العذاب محضرين، حضورا بحضور، بل هو هو نفس الحضور ف- «إِنَّما تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ يَقْدِرُ لَهُ وَ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْ‏ءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَ هُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (39).

«ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْ‏ءٍ» في سبيل اللّه أموالا و أولادا، و اعمالا و أقوالا و أحوالا، «فَهُوَ يُخْلِفُهُ»: إبدالا بالحسنى و هو خير الرازقين في الاولى و في الاخرى، و ليس بسط الرزق لأهل الطغوى إلّا امتحان الامتهان‏ «.. إِنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْماً وَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ» (3: 178)!.

وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَ هؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كانُوا يَعْبُدُونَ (40) قالُوا سُبْحانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (41).

خطأ في خطأ لمن كانوا يزعمونهم يعبدون الملائكة، «بَلْ كانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ» و يحسبونهم ملائكة حيث أروهم أنفسهم ملائكة و لكي يعبدوا، و ليس الملائكة ليروا أنفسهم للموحدين، فضلا عن المشركين الذين يبغونهم ان يكونوا لهم عابدين. ام‏ «كانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ» حيث امروهم ان يعبدونا، فالمعبود الأصل لهم هم الجن دوننا، إذ لم تكن هناك صلة بيننا و بينهم حتى يعبدونا دون وسيط.

و على أية حال «سبحانك» ان يعبد من دونك‏ «أَنْتَ وَلِيُّنا مِنْ دُونِهِمْ» تلي كل أمورنا، و تعلم ما نخفي و ما نعلن، فتعلم اننا ما كنا نرضى هذه العبادة بوسيط و دون وسيط، فقد كانت عبادتهم الحمقاء هباء على هباء

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 279

و نحن- كما تعلم- منها براء! فانها عبادة فاضية فوضاء.

فَالْيَوْمَ لا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعاً وَ لا ضَرًّا وَ نَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِها تُكَذِّبُونَ (42).

«لا يملك» نفي استغراق في ذلك اليوم، فالنفع و الضر مسلوبان لكل احد عن كل احد عابدا و معبودا إلّا اللّه ثم‏ «لِلَّذِينَ ظَلَمُوا» ذوق العذاب ف- «إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ»! و هنا تختم الجولة في قضية المبدأ و المعاد، و الى جولة لما بين المبدء و المعاد:

وَ إِذا تُتْلى‏ عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ قالُوا ما هذا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كانَ يَعْبُدُ آباؤُكُمْ وَ قالُوا ما هذا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرىً وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جاءَهُمْ إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (43).

آيات بينات هي في دعواهم افك مفترى و سحر مبين، مقابلة الحق المبين برواسب غامضة من آثار مضت و تقاليد غيرت دون قوام متماسك على اي أساس! فآبائنا هم الأصلاء في هذا المسرح و سواه، و «ما هذا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كانَ يَعْبُدُ آباؤُكُمْ» و كفاه كذبا، ف «ما هذا إلا كذب مفترى» على اللّه إذ لا يرضى ان نترك آباءنا-.

و من ثم في مواجهة عامة لآيات اللّه البينات‏ «وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جاءَهُمْ إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ».

فثالوث القولة الفاتكة «ما هذا- ما هذا- ان هذا» تتبنى اصالة تقاليد الآباء لا لشي‏ء إلّا أنهم آباء! أو لم يكن الآباء الموحدون الإبراهيميون هم من آبائهم؟ فليشكوا على أقل تقدير في دعوة التوحيد فيتحروا و يتخذوا الأحرى في عقولهم!.

وليتهم أوتوا من قبل كتبا يدرسونها ام أرسل إليهم من قبلك من نذير،

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 280

حتى يرتكنوا في هذه السلبيات على ما أوتوا! و لكن:

وَ ما آتَيْناهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَها وَ ما أَرْسَلْنا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ (44) وَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ ما بَلَغُوا مِعْشارَ ما آتَيْناهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ (45) فلقد عاشوا فترة انقطاع الوحي و الرسالة، فلا كتب يتعاهدون و لا رسل، فان يكذبون هؤلاء فقد «كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» و هم أولاء «ما بَلَغُوا مِعْشارَ ما آتَيْناهُمْ» هؤلاء الغابرين من علم و مال و قوة «فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ» ي عليهم على قوتهم من إهلاك و تدمير، فما أنتم بشي‏ء تذكرون وجاههم! و قد كانت قريش تعرف بعض هذه المصارع الغابرة، و هنا التهديد بتلك الغابرة، و لكي تنتبه الأجيال الحاضرة «فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ»؟

كذلك‏ «وَ ما بَلَغُوا» ما أرسلنا من نذير من قبلك- «مِعْشارَ ما آتَيْناهُمْ» الحاضرين في مسرح الرسالة المحمدية (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فانه اوتى ما أتوا و زيادات خالدات‏ «1».

[سورة سبإ (34): الآيات 46 الى 54]

قُلْ إِنَّما أَعِظُكُمْ بِواحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنى‏ وَ فُرادى‏ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ما بِصاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيدٍ (46) قُلْ ما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَ هُوَ عَلى‏ كُلِّ شَيْ‏ءٍ شَهِيدٌ (47) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ (48) قُلْ جاءَ الْحَقُّ وَ ما يُبْدِئُ الْباطِلُ وَ ما يُعِيدُ (49) قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّما أَضِلُّ عَلى‏ نَفْسِي وَ إِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِما يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ (50)

وَ لَوْ تَرى‏ إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ وَ أُخِذُوا مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ (51) وَ قالُوا آمَنَّا بِهِ وَ أَنَّى لَهُمُ التَّناوُشُ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ (52) وَ قَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَ يَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ (53) وَ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ ما يَشْتَهُونَ كَما فُعِلَ بِأَشْياعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ (54)

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). البرهان 3: 353- القمي في الآية قال: كذب الذين من قبلهم رسلهم و ما بلغ ما آتينا رسلهم معشار ما آتينا محمدا و آل محمد (صلى اللّه عليه و آله و سلم).

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 282

قُلْ إِنَّما أَعِظُكُمْ بِواحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنى‏ وَ فُرادى‏ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ما بِصاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيدٍ (46).

«انما» دليل الحصر «أعظكم ب موعظة «واحدة» واحدة تتمثل في قومة واحدة متضمنة الأصول الثلاثة، تحلّلا عن أسر الآصار التقليدية للآباء القدامى و آثارها البئيسة التي تجعلكم كأنكم لا شي‏ء و هم أولاء كل شي‏ء. كما و هم كانوا يقتفون آثار آبائهم فتسلسلا للّاشي‏ء! فالى قومة صارمة تحلّلكم عن الكونية الجوفاء و النفسية الفارغة الخواء، و تجعلكم تفكرون و تديرون أموركم بأنفسكم، خروجا عن الحياة الهامشية كالماشية! «قل» للناكرين أولا و للمصدقين، فان التصديق بحاجة الى تقدّم على ضوء القيام الدائب و التفكير «حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ»! «انما» ليس إلّا كلمة واحدة و نصيحة واحدة، تضم كافة الكلمات، و تحلق على كافة الوحدات و الكثرات.

«أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ» قياما فطريا- عقليا- فكريا- علميا- فرديا- جماعيا، قيامة عن نومتكم و موتتكم المأسورة المحصورة في التقاليد الجاهلة العمياء، بعيدا عن الأهواء و المصلحيات و الملابسات الأرضية، و عن المواقف و الدوافع و العواطف التقليدية، التي تتشجر في القلب فتشجره و تفجره، بعيدا عن التيارات السائدة في البيئة الجاهلة القاحلة.

«أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ» في اللّه و الى اللّه بما منحكم اللّه من فطرة سليمة و عقلية عليمة، و كل موهبة إلهية حكيمة! «وَ قُومُوا لِلَّهِ قانِتِينَ» (2: 238) فان الحياة الانسانية و على ضوء شرعة اللّه هي حياة القيام للّه!.

«أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنى‏ وَ فُرادى‏»: اثنين اثنين متعاونين- و-» فردا فردا، فما ضم الثاني في ذلك القيام إلا ضما لقيام الى قيام. و لكي يكمل‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 283

السير الى اللّه بازدواجية القيام، فإذا لم يحصل الانضمام، أم اضرّ بالقيام ف «فرادى» متحللين عن كافة موانع القيام، عن ثنويات و ثانويات التقاليد الجاهلة العمياء!.

«أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ» هي فريضة لكل فرد فرد، قومة في قرارات النفوس، و قومة عن نومة الفطر و العقول في كافة الحقول، فليس «مثنى» الا ليراجع أحدهما الآخر فيأخذ كلّ ما عند الآخر، فتصبح اخذة رابية شورى، ثم تعاونا في تطبيق، دون تأثر بعقلية الجماهير الخاطئة، ام الأكثرية التي تتملى منها العيون الظاهرة، فإذا اضرتكم «مثنى» فقوموا- إذا- «فرادى».

«ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا» فانه في الأصل قيام فكرى على ضوء العقل و الفطرة، و الفكر حركة من المبادئ و من مبادئ الى المراد ف «تتفكروا» في ذلك القيام، إنما تتبنى آيات انفسية و اخرى آفاقية، مستخدمين لها للوصول الى الحق المرام. فطالما يرمى «صاحبكم» بالجنون، و الرامون كثيرون مترفون، فلا تغرنكم هذه الكثرة المتراكبة، بل:

«ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ما بِصاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ»: الذي بصاحبكم من جنة تدّعى، فما هي؟ و ما هي آثارها و تبعاتها؟ و قد صاحبكم ردحا بعيدا دون جنة فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ (10: 16).

أ فلا تكفى تلك المصاحبة منذ الولادة حتى الأربعين ان ليست به جنة؟ و أنتم تعتبرونه في هذه الفترة اعقل العقلاء؟ ثم إذا ما دعاكم الى ما تقبله الفطر و الفكر أصبح ذا جنة!.

«ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ما بِصاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ» ليس بصاحبكم من جنة، ذاتية ام خارجية، فلئن تغاضيتم عن انه اعقل العقلاء، فلأقل تقدير «ما بِصاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ» يصدر عن عقل و يرد الى عقل فتفكروا ...

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 284

«إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيدٍ» عذاب بين يديكم إذ يستقبلكم و يأتيكم، و كل آت قريب حاضر، و الحائطة في النذارة عقلية حائطة، و حتى عن نذارة مجنون، فكيف بعاقل فضلا عن أعقل العقلاء!.

و كيف بمن يملك من بينات آيات اللّه ما يبين انه رسول من اللّه، و ما اوتي الرسل قبله معشار ما أوتيه!

«ايها الناس أ تدرون ما مثلي و مثلكم؟ الله و رسوله اعلم! انما مثلي و مثلكم مثل قوم خافوا عدوا يأتيهم فبعثوا رجلا يتراءى لهم فبينما هو كذلك أبصر العدو فأقبل لينذرهم و خشي ان يدركه العدو قبل ان ينذر قومه فأهوى بثوبه ايها الناس أتيتم! ايها الناس أتيتم! ايها الناس أتيتم!» «1».

قُلْ ما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَ هُوَ عَلى‏ كُلِّ شَيْ‏ءٍ شَهِيدٌ (47).

لقد سبق انه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) سألكم المودة في قرباه بصيغة الأجر «قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى‏» (42:) 23) فخيّل الى بعض انه يسأل عليه من اجر، و هنا يوضح انه «لكم» حيث المودة في قربى الرسول تجركم من أبوابهم الى مدينة علمه، ثم الى اللّه‏ «قُلْ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلى‏ رَبِّهِ سَبِيلًا» (35: 57) فكانوا هم السبيل إليك و المسلك الى رضوانك.

فلست أسألكم أنتم من اجر، مهما كان صيغة الأجر «إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَ هُوَ عَلى‏ كُلِّ شَيْ‏ءٍ شَهِيدٌ» «2».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

مسند احمد بن حنبل حدثنا ابو نعيم بشير ابن المهاجر، حدثني عبد اللّه بن بريرة عن أبيه قال: خرج علينا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) يوما فنادى ثلاث مرات ايها الناس ...

(2) راجع آية الشورى في سؤال الأجر تجد تفصيل البحث في قول فصل.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 285

خذوا أنتم الأجر الذي سألتكم إياه، و اجعلوه زادا لتعرّف اكثر الى المبدء و المعاد، و صاحبكم الذي هو بين المبدء و المعاد، نذيرا لكم بين يدي عذاب شديد.

قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (48).

«إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِ‏ «عَلَى الْباطِلِ»! «بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْباطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذا هُوَ زاهِقٌ وَ لَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ» (21: 18) فليس الباطل يقذف الحق، «إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ» لأنه‏ «عَلَّامُ الْغُيُوبِ» و الحق يحمل الغيوب و الباطل لا يملك حتى الشهود، «ما يُبْدِئُ الْباطِلُ وَ ما يُعِيدُ»؟

و كذلك‏ «إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ» في قلوب اهليه و هم الذين يتحرون عنه و هم به مؤمنون! قُلْ جاءَ الْحَقُّ وَ ما يُبْدِئُ الْباطِلُ وَ ما يُعِيدُ (49).

لقد جاء حق تلو حق منذ بزوغ الرسالات، و لكن الحق كل الحق إنما جاء جديدا صارما عتيدا مهيمنا على سائر الحق، خالدا على مر الزمن بمر الحق! «وَ ما يُبْدِئُ الْباطِلُ»؟ إظهارا لأمر بدائي بديع لم يسبق؟ كلا «ما يبدئ»: و ليس ليبدئ!.

«وَ ما يُعِيدُ»؟ من غابر الباطل الدفين ليدحض به الحق‏ «وَ ما يُعِيدُ»: ليس بمعيد شيئا! «1».

فحين لم يجي‏ء كل الحق ما كان الباطل يبدئ شيئا او يعيد، فكيف إذا «جاءَ الْحَقُّ» () له). «ما يُبْدِئُ الْباطِلُ وَ ما يُعِيدُ؟! ثم‏ «وَ ما يُبْدِئُ الْباطِلُ» في الأولى‏ «وَ ما يُعِيدُ» في الاخرى، فانه زاهق في الأولى و في الاخرى!

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). ف- «ما» هنا استفهامية و نافية، تعنيهما مع بعض و تلو بعض و ما أفصحه و أبلغه!

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 286

أ تقولون بعد انني ضللت و أنتم المهتدون؟

قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّما أَضِلُّ عَلى‏ نَفْسِي وَ إِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِما يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ (50).

أ ترى حين يصح‏ «فَإِنَّما أَضِلُّ عَلى‏ نَفْسِي» فأين تذهب تبعة أتباع الضال و هو ظاهر بمظهر داعية الهدى؟

«عَلى‏ نَفْسِي» هنا لها واجهتان اثنتان: ان رأس الزاوية في الضلال هو الضال مهما ضل به غيره، و من ثم حين يتجرد الضال عن الدعوة الى ما هو فيه مسايرة في الحوار، فهو هو المختص بضلالة، «وَ إِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِما يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي» و يا له أدبا بارعا في الاعتراف بضلاله لولا هدي الوحي من ربه.

فلو كانت بي جنة فمن نفسي و عليها، و ان اهتديت دون زلة و لا ضلالة «فَبِما يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي» انه سميع» دعوة الداعين «قريب» إليهم، و قد تعني ضلال التوحيد دون ضلال في سائر جنبات الرسالة ان لو كنت ضالا في دعوة التوحيد رغم بيناته فلا ضير لكم ان تعبدوا إلها واحدا.

و ان اهتديت فهنا الضير كل الضير في تكذيبي فإنه تكذيب لربي! فلا عليكم- إذا- إن ضللت، و لكم إن اهتديت فلان آثار الهدى في باهرة فعليكم- إذا- اتباعي! وَ لَوْ تَرى‏ إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ وَ أُخِذُوا مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ (51).

«وَ لَوْ تَرى‏»: ليتك ترى الآن «إذ فزعوا» هؤلاء المشركون بأثلاث الافزاع: فزع الرجعة و الموت و «الفزع» الأكبر» (21: 103) و هو المحور و هو الآخر!؟.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 287

ثم‏ «وَ أُخِذُوا مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ» تشملها كلها، و حتى البعيد في قياسهم البعيد البعيد، هو في تلك الأخذة الشاملة قريب: «وَ اسْتَمِعْ يَوْمَ يُنادِ الْمُنادِ مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ» (50: 41).

و كيف لا يكون قريبا و ربك الآخذ منهم قريب قريب، و علمه قريب و قدرته قريبة و ما ذلك من اللّه ببعيد غريب! و حين الرجعة عند قيام القائم بالحق يؤخذ المشركون احياء و أمواتا من مكان قريب، فكما حيهم في هذه الأخذة قريب، كذلك ميتهم و ما ذلك على اللّه بعزيز «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

في تفسير القمي في الآية حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن منصور بن يونس عن أبي خالد الكابلي قال قال ابو جعفر (عليه السلام) و اللّه لكأني انظر الى القائم (عليه السلام) و قد أسند ظهره الى الحجر ثم ينشد اللّه حقه ثم يقول: يا ايها الناس من يحاجني في اللّه فانا اولى باللّه، ايها الناس من يحاجني بآدم فانا اولى بآدم، ايها الناس من يحاجني في نوح فانا اولى بنوح ايها الناس من يحاجني بإبراهيم فانا اولى بإبراهيم ايها الناس من يحاجني بعيسى فأنا اولى بعيسى، ايها الناس من يحاجني بمحمد (صلى اللّه عليه و آله و سلم) فانا اولى بمحمد، ايها الناس من يحاجني بكتاب اللّه فانا اولى بكتاب اللّه- ثم ينتهي الى المقام فيصلي ركعتين و ينشد اللّه حقه، ثم قال ابو جعفر (عليه السلام) هو و اللّه المضطر في كتاب اللّه في قوله: أمّن يجيب المضطر إذا دعاه و يكشف السوء و يجعلكم خلفاء الأرض- فيكون اوّل من يبايعه جبرئيل ثم الثلاث مائة و الثلاثة عشر، فمن كان ابتلي بالمسير وافى، و من لم يبتل بالمسير فقد عن فراشه و هو قول امير المؤمنين (عليه السلام) هم المفقودون عن فرشهم و ذلك قول اللّه: فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم اللّه جميعا- قال: الخيرات الولاية، و قال في موضع آخر: و لئن أخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة- و هم اصحاب القائم (عليه السلام) يجمعون اليه في ساعة واحدة- فإذا جاء الى البيداء يخرج اليه جيش السفياني فيأمر اللّه عز و جل الأرض فيأخذ بأقدامهم و هو قوله عز و جل: وَ لَوْ تَرى‏ إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ وَ أُخِذُوا مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 288

و انه لا فوت في هذه الأخذة القريبة الغريبة و لات حين مناص، إذ فات زمن الخلاص!.

وَ قالُوا آمَنَّا بِهِ وَ أَنَّى لَهُمُ التَّناوُشُ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ (52).

هم في الأخرى‏ «وَ أُخِذُوا مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ» إلينا، ثم لا تناوش لهم و لا تناول للأولى، و قد بعدوا بهذه الأخذة القريبة عنهما، «أَنَّى لَهُمُ التَّناوُشُ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ» هو دار الجزاء، لاستحالة النقلة الى دار العمل!.

وَ قَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَ يَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ (53).

أنى لهم‏ «آمَنَّا بِهِ‏ ... وَ قَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ» و «أَنَّى لَهُمُ التَّناوُشُ‏ .. وَ قَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ»؟! حال «و يقذفون» من قبل «بالغيب» قذف الإبطال و الاستنكار «مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ» هو الأولى عن الاخرى، و هو بعد العلم فيها عنها، و الاخرة غيب عن الدنيا، و هم غيّب عنها فكيف‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

وَ قالُوا آمَنَّا بِهِ‏ [يعني بالقائم من آل محمد (عليهم السلام)] وَ أَنَّى لَهُمُ التَّناوُشُ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ ... وَ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ ما يَشْتَهُونَ» يعني ان لا يعذبوا «كَما فُعِلَ بِأَشْياعِهِمْ» يعني من كان قبلهم من المكذبين هلكوا «مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ».

و الروايات مستفيضة من طرقنا و طرق إخواننا كما في الدر المنثور بطرق عدة عن ابن عباس و ابن مسعود و حذيفة و أبي هريرة و عمر و بن شعيب و ام سلمة و صفية و عائشة و حفصة و نفيرة امرأة القعقاع و سعيد بن جبير عن النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و من ألفاظه ما

أخرجه ابن أبي شيبة و الطبراني عن ام سلمة قال قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم): يبايع الرجل من امتي بين الركن و المقام كعدة اهل بدر فيأتيه عصب العراق و أبدال الشام فيأتيهم جيش من الشام حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم ثم يسير اليه رجل من قريش أخواله كلب فيهزمهم اللّه ..».

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 289

«يَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ»؟!.

انهم يقولون ما لا يعلمون و لا يتحققون، كالرامي غرضا و بينه و بينه مسافات متباعدة، فلا يكون سهمه ابدا إلا قاصرا عن الغرض عادلا عن السدد.

وَ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ ما يَشْتَهُونَ كَما فُعِلَ بِأَشْياعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ (54).

و علّ هنا «من قبل» يصدق الشمول ليوم الموت و الرجعة، فان فيهما (من قبل و من بعد) و اما الآخرة فهو يوم الجمع‏ «وَ كُلٌّ أَتَوْهُ داخِرِينَ» ثم «من قبل» في موقف القيامة علّه «قبل» رتبيّ، أم إن الحيلولة هي في موقف الحساب و العقاب و له من قبل و من بعد «كُلَّما دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَها»! و علي أية حال فالمحور الرئيسي هنا هو الآخرة، و الأوليان تلحقانها من باب الجري كما استفاضت به الرواية.

و «ما يشتهون» هنا تعم شهوة الضلالة التي كانوا يعيشونها، فحيل بينهم و بينها، و الهدى التي هنا يرجونها

«انهم طلبوا الهدى من حيث لا ينال و قد كان لهم مبذولا من حيث ينال» «1»

و هما في الأولى، كما «حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ ما يَشْتَهُونَ» ألّا يعذبوا في الاخرى: «وَ قالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوالًا وَ أَوْلاداً وَ ما نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ» (35)! الا و كل «ما يشتهون» عنهم منفية، و كل ما يكرهون لهم مقضية، فهم عائشون هناك الحيلولة بينهم و ما يشتهون، كما عاشوا هنا و ما

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). تفسير البرهان 3: 355- القمي بسند عن أبي حمزة قال سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قوله: و أنى لهم التناوش من مكان بعيد قال: انهم ..

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 290

يشتهون، جزاء بما كانوا يعملون‏ «إِنَّهُمْ كانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ» يريب الضعفاء كأنهم على بينة من شكهم فهم بذلك الشك المريب يتشككون!.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 291

سورة فاطر مكيّة و آياتها خمس و أربعون‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 293

[سورة فاطر (35): الآيات 1 الى 8]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ‏

الْحَمْدُ لِلَّهِ فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ جاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنى‏ وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ ما يَشاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلى‏ كُلِّ شَيْ‏ءٍ قَدِيرٌ (1) ما يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَها وَ ما يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (2) يا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (3) وَ إِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (4)

يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا وَ لا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (5) إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّما يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحابِ السَّعِيرِ (6) الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ كَبِيرٌ (7) أَ فَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِما يَصْنَعُونَ (8)

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 294

سورة تتسمى باسم من اسماء اللّه «الفاطر» فانها كسائر السور من «الفاطر» و هنا تبتدأ ب «فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ».

ثم و اسم لها آخر «سورة الملائكة» قضية البداية بها بعد الفاطر، فهي اسم لها بعد الفاطر، كما و انهم بعد الفاطر.

الْحَمْدُ لِلَّهِ فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ جاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنى‏ وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ ما يَشاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلى‏ كُلِّ شَيْ‏ءٍ قَدِيرٌ هنا «الْحَمْدُ لِلَّهِ» مبرهنا بالربوبية المطلقة رحمانية: «فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» تعبيرا عن الكون كله، و رحيمية: «جاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا ...»

و نجد الرحمتين مع‏ «فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» في خمسة اخرى بغيار يسير في صيغة التعبير «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). «قُلْ أَ غَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» (6: 14) «فاطِرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ» (12: 101) «قالَتْ رُسُلُهُمْ أَ فِي اللَّهِ شَكٌ‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 295

و لأن الفطر هو الشق، إذا فالسماوات و الأرض مشتقتان عن مادة مخلوقة قبلهما، المعبر عنها في هود ب «الماء» و كما فصلت فيها و في آيات من فصّلت و الأنبياء «1».

«... جاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا ..» و تذكر الملائكة بمختلف صيغها (88) في القرآن كله، مما يدلنا على مدى اهميتهم في رسالاتهم الروحية و سواها في ميزان اللّه.

و

قد وصفهم امير المؤمنين و قائد الغر المحجلين (عليه السلام) بقوله: «خلقتهم و أسكنتهم سماواتك، ليس فيهم فترة، و لا عندهم غفلة، و لا فيهم معصية، اعلم خلقك بك، و أخوف خلقك منك، و اقرب خلقك إليك، و أعملهم بطاعتك، لا يغشيهم نوم العيون، و لا سهو القلوب، و لا فترة الأبدان، لم يسكنوا الأصلاب، و لم تتضمنهم الأرحام، و لم تخلقهم من ماء مهين، أنشأتهم إنشاء فأسكنتهم سماواتك، و أكرمتهم بجوارك، و ائتمنتهم على وحيك، و جنبتهم الآفات، و وقيتهم البليات، و طهرتهم من الذنوب، و لولا قوتك لم يقووا، و لولا تثبيتك لم يثبتوا، و لولا رحمتك لم يطيعوا، و لولا أنت لم يكونوا.

أما إنهم على مكاناتهم منك، و طاعتهم إياك، و منزلتهم عندك، و قلة غفلتهم عن أمرك، لو عاينوا ما خفي عنهم لاحتقروا اعمالهم، و لأزرأوا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ..» (14: 10) «قُلِ اللَّهُمَّ فاطِرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ عالِمَ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبادِكَ فِي ما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» (39: 46) «فاطِرُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً ..» (42: 11).

(1). الآيات 9- 12 من فصلت و 29 من الأنبياء.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 296

على أنفسهم، و لعلموا انهم لم يعبدوك حق عبادتك، سبحانك خالقا و معبودا ما أحسن بلائك عند خلقك!» «1».

و هنا «لو عاينوا» إحالة لمعاينتهم هذه، و تلميحة انه (عليه السلام) عاين ما لن يعاينوه، و علم ما لم يعلموه!.

«جاعل» بالنسبة للملائكة بعد «فاطر» لسائر الكون، تغاض عن لمحة لخلقهم كيف هو و مم هو؟ فانما جعل الرسالة الملائكية، و قد يلمح لأنهم انما أنشئوا إنشاء من المادة الأم أماهيه، دون تطور بتطوير، و كما أشار اليه الامام (عليه السلام): ثم و «أُولِي أَجْنِحَةٍ ..» بيان لكيف هم بعد خلقهم؟ أن لهم اجنحة هي على الأكثر «مَثْنى‏ وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ» و قد يقل فيهم‏ «يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ ما يَشاءُ» خلقا لأجنحة لهم زائدة على «رباع» ام لسائر الخلق، و كما «السَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ وَ إِنَّا لَمُوسِعُونَ»: نظرية التوسعة.

فلا وقفة في اصل الخلق و طوره و كوره، مشيّة مطلقة واسعة شاسعة، في اصل الخلق و فرعه! .. و لان «الملائكة» جمع محلّى باللّام، مما يفيد استغراق العام، فهم- إذا- كلهم دونما استثناء، من ملائكة الوحي الى النبيين، و العمال في سائر التكوين، من رسل الإماتة: «حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا وَ هُمْ لا يُفَرِّطُونَ» (6: 61) و الكرام الكاتبين و المصورين في الأرحام و المهلكين: «و لما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا انا مهلكو اهل هذه القرية (30: 31) و سائر عمال رب العالمين.

و الأجنحة جمع الجناح آلة الطيران أيا كان، ريشا و سواه كأجنحة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). تفسير البرهان عن القمي و قال امير المؤمنين (3: 357).

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 297

الطائرات فلا تختص بريش و زغب، بل هي كما تناسب كيانهم، إن نورانيين أماهيه فأجنحة نورانية أماهيه؟.

و على أية حال فهم- على كونهم ملائكة- صنوف في أجنحتهم و وظائفهم و درجاتهم و كما

يقول سيد الساجدين و زين العابدين»: «1» و لا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

في الصحيفة السجادية و كان من دعائه على حملة العرش و كل ملك مقرب: اللهم و حملة عرشك الذين لا يفترون من تسبيحك، و لا يسأمون من تقديسك، و لا يستحسرون عن عبادتك، و لا يؤثرون التقصير على الجد في أمرك، و لا يغفلون عن الوله إليك، و إسرافيل صاحب الصور الشاخص، الذي ينتظر منك الإذن و حلول الأمر، فينبّه بالنفخة صرعى رهائن القبور، و ميكائيل ذو الجاه عندك و المكان الرفيع من طاعتك، و جبريل الأمين على وحيك، المطاع في سماواتك، المكين لديك، المقرب عندك، و الروح الذي هو على ملائكة الحجب و الروح الذي هو من أمرك- اللهم فصل عليهم و على الملائكة الذين من دونهم من سكان سماواتك، و اهل الامانة على رسالاتك، و الذين لا يدخلهم سأمة من دؤوب، و لا إعياء من لغوب و لا فتور، و لا تشغلهم عن تسبيحك الشهوات، و لا يقطعهم عن تعظيمك سهو الغفلات، الخشع الأبصار فلا يرومون النظر إليك، النواكس الأذقان الذين قد طالت رغبتهم فيما لديك. المستهترون بذكر آلائك، و المتواضعون دون عظمتك و جلال كبريائك، و الذين يقولون إذا نظروا الى جهنم تزفر على اهل معصيتك: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك!- فصل عليهم و على الروحانيين من ملائكتك، و اهل الزلفة عندك، و حمّال الغيب الى رسلك، و المؤتمنين على وحيك، و قبائل الملائكة الذين اختصصتهم لنفسك، و أغنيتهم عن الطعام و الشراب بتقديسك، و أسكنتهم بطون سماواتك، و الذين هم على أرجائها إذ انزل الأمر بتمام وعدك- و خزّان المطر و زواجر السحاب، و الذي بصوت زجرة يسمع زجل الرعود، و إذا سبحت به حفيفة السحاب التمعت صواعق البروق، و مشيّعي الثلج و البرد، و الهابطين مع قطر المطر إذا نزل، و القوام على خزائن الرياح، و الموكلين بالجبال فلا تزول، و الذين‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 298

نجد في القرآن مذكورا باسمه إلّا جبريل و ميكال ام و الروح ان كان من الملائكة، اللّهم إلّا بشغله كالكرام الكاتبين: «وَ ما مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ» (37: 164) مقاما في كيانه و مقاما في عمله.

و مهما يكن من شي‏ء في كونهم فليسوا إلّا انبثاقا لطيفا من المادة الام كسائر المواد، مهما كانوا من ألطفها، كما تدل على ذلك آيات خلق الكون ككل.

و مهما يكن من أمرهم، فهم بأجنحتهم عمال امر اللّه، دون استقلال لهم بجنب اللّه، او استغلال من امر اللّه، بل هم اداة لتحقيق امر اللّه، لا لحاجة له إليها، بل لان الكون مسرح الأسباب، و هو تعالى مسبب الأسباب.

انهم- بأمر اللّه- يجمعون كافة الخطوط بخيوطها في نظم بارع و نضد رائع، في قبضها و بسطها، و شدها و إرخائها، اللهم إلّا ما لكائن فيه اختيار، و لكنه- أيا كان- ليس اختيار تفويض كما لا إجبار.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

عرفتهم مثاقيل المياه، وكيل ما يحويه لواعج الأمطار و عوالجها، و رسلك من الملائكة الى اهل الأرض بمكروه من ينزل من البلاء، و محبوب الرخاء- و السفرة الكرام البررة، و الحفظة الكرام الكاتبين، و ملك الموت و أعوانه، و منكر و نكير، و مبشر و بشير، و رؤمان فتان القبور، و الطائفين بالبيت المعمور، و مالك و الخزنة، و رضوان و سدنة الجنان، و الذين لا يعصون اللّه ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون، و الذين يقولون: سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار، و الزبانية الذين إذا قيل لهم: خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه- ابتدروا سراعا و لم ينظروه، و من ألهمنا ذكره و لم نعلم مكانه منك، و بأي امر وكلته، و سكان الهواء و الأرض و الماء، و من منهم على الخلق- فصل عليهم يوم تأتي كل نفس معها سائق و شهيد، و صلّ عليهم صلاة تزيدهم كرامة على كرامتهم و طهارة على طهارتهم ...

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 299

ما يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَها وَ ما يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (2).

ان اللّه تعالى- بملائكته العمال- هو الفاتح لرحمة، و هو الممسك لها لا سواه، فلا تجعلوا للّه الأبدال الأمثال! و ليست خزائن رحمته إلّا ملكه في ملكه: «قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفاقِ» (17: 100) «أَمْ عِنْدَهُمْ خَزائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ» (38:) 9) إذا فلا فاتح لها إلّا هو، و لا ممسك لها بعد فتحها ام قبله إلّا هو! و «من رحمة» تستغرق كل رحمة مادية و روحية، تدفقا على من يشاء، أو إغاضة عمن يشاء، «وَ هُوَ الْعَزِيزُ» في فتحها و إمساكها، إذ لا ممسك لها و لا مرسل «من بعده» إرسالا و إمساكا «الحكيم» فيهما، فتحا بحكمة و إمساكا بحكمة دونما فوضى جزاف! هنالك تنقطع عن شبهة كل حول و كل قوة إلّا باللّه، حيث تغلق كل الأبواب إلّا باب اللّه، فلا تدق من الأبواب إلّا باب اللّه.

فكل نعمة يمسكها اللّه تنقلب نقمة، و كل نقمة تحفها رحمة اللّه تنقلب نعمة، فقد تنام على شوك برحمة اللّه فإذا هو مهاد، او تنام على حرير و قد أمسكت عنك رحمته فإذا هو شوك القتاد! ترى يوسف في غياهب السجن هو في رحمة اللّه حيث يبتعد هناك عن سخط اللّه: «رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ» و هناك العزيز و امرأته في نعمة البلاط و هما في نقمة اللّه، و كما ظهرت لهما بعد ردح من الزمن. هنالك رحمات و الطاف خفية إلهية لا يدركها إلّا أهلوها، خليطة باشواك، ظاهرة بمظهر الهلاك، و لكنها باطنها فيها الرحمة و ظاهرها من قبلها العذاب!

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 300

ليست هنالك- و في دار المحنة و تناسل الذرية- رحمة خالصة دون تعب و شغب، فحين تعيش مع اللّه، راضيا بمرضاة اللّه، ملتزما طاعة اللّه، فلا عليك أن يضيق سائر الرزق، و تخشن سائر الحياة، و يشوك المضجع، فانه حياة الرحمة و الراحة، حيث تعيش أصل الرحمة.

و حين يعكس الأمر حيث تفقد الزلفى الى اللّه، فكل رحمة سواه نقمة و زحمة، إذ ليست فيها طمأنينة: أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ‏! من الخليقة من يعيش الرحمتين: ظاهرة و باطنة، و منهم من يحرمهما فوا ويلاه! و منهم من يعيش الروحية و يحرم الظاهرية، و منهم عكسها، و قد يفضل الثالثة على الأولى حيث الأجر على قدر المشقة «وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلَّا ما سَعى‏» و كما نرى السابقين الأقربين من عباد اللّه محرومين- في الأكثر- عن النعم الظاهرية، و قليل من هم، المجموعة لهم ظاهرها الى باطنها «وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»! و إذ لا رحمة إلّا من اللّه فتحا و إمساكا، فمن ذا نرجو إلّا اللّه؟ و من ذا نخاف إلّا اللّه، «و من خاف الله أخاف الله منه كل شي‏ء و من لم يخف الله أخافه الله من كل شي‏ء»! ثم‏ «فَلا مُمْسِكَ لَها» كما «فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ» تعني من دون اللّه، و حين ان الرحمات كلها هي من اللّه و إرسالا و إمساكا، فباحرى ان تكون رحمة الهداية بشرعة سواها، منحصرة في اللّه، منحسرة عمن سوى اللّه! فما يفتح من هدى فلا ممسك لها إلّا هو، و ما يمسك فلا مرسل له الا هو، و قد أرسل رحمة الشرعة الاخيرة دون إمساك فهي باقية حتى القيامة الكبرى و يا لها من آية وحيدة ترسم للحياة صورة جديدة يسيرة مديدة، لو استقرت في قلب الإنسان لصمد للأحداث كالطود الوطيد و تضاءلت امامه الأشخاص‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 301

حيث تبيد، اللهم إلّا من يهدوننا الى اللّه زلفى باذنه‏ «وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»! و هكذا تصنع آية من القرآن العظيم من يتعاملون مع الحقيقة التي يمثلها، دون إخلاد الى جمال الألفاظ- فقط- ام كمال المعاني فحسب، طالما يتذرعون هذه و تلك الى تمثيل القرآن في واقع الحياة بكل جمال و كمال! و هذه الآية- و معها سائر القرآن- هي بنفسها تكفي رحمة لا تبقي على رحمة حيث تسكب في القلب رحيقها بحقيقتها المجردة، فها هي نموذج من رحمة اللّه لا ممسك لها، الّا عمن اتخذوا هذا القرآن مهجورا، إذا فهو فيهم و ليس فيهم، يموتون عطاشا و هم يعيشون شاطئ بحره، و خضم قعره، و «رب تال للقرآن و القرآن يلعنه»! «وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ».

و يا ليتنا نذكر نعمة اللّه المتواصلة، و رحمته المتآصلة غير المتعاضلة دون غفوة عنها و لا غفلة بوضمة عين و نبضة قلب:

يا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (3).

«الناس» هنا كل الناس من ناس و نسناس حسب مختلف الدرجات و الدركات «اذكروا» لا بلفظة لسان، بل بالأعمال و الجنان‏ «نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ» و منها انه منحنا بخطابه الكريم، و قرآنه العظيم، و فطرنا على توحيده، و رزقنا من آيات آفاقية و انفسية رخيّة ندية، نتذكر بها نعمة اللّه: «هَلْ مِنْ خالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ»؟ فان معرفة الخالق بالوحدانية أعظم نعمات اللّه و رحماته! ف «هل» سؤال من قرارات النفوس: عن فطرة ساذجة و عقلية

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 302

ناضجة غير مارجة و لا مازجة، فهنا الجواب: كلا يا اللّه! «هَلْ مِنْ خالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ» و «من» هنا لها موقعها المكين، و القول إنها زائدة قولة زائدة مايدة، حيث تجتث هنا كون اي خالق إلّا اللّه، حتى من قد يسمى خالقا في كلام اللّه: «وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيها فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي» فان «اذني» يخرجه عن حق الخالقية و حاقها، فانما هو خلق «باذني» و ليس دونه خلق حتى كهيئة الطير دون روح! و من شؤون الخالق ان يرزق الخليقة، «هَلْ مِنْ خالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ ..» و إذ ليس غيره خالق، و لا غيره رازق‏ «فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ» صرفا الى غير الخالق الرازق و هو مخلوق مثلكم مرزوق؟!.

... يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ:» رزقا للأرواح و الأجساد، فمن سماوات الوحي ترزق أرواحكم، و من الأرض و سماء الأرض ترزق أبدانكم! «لا إِلهَ إِلَّا هُوَ» خالقا و رازقا «فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ» تصرفون كذبا و خداعا، الى من لا يملك خلقا و هو يخلق، و من لا يملك رزقا و هو يرزق؟! «سُبْحانَهُ وَ تَعالى‏ عَمَّا يُشْرِكُونَ‏! وَ إِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (4):

لا تأسف على تكذيبهم، فقد كذبوا رفاقك من قبل، و ما أنت الّا رسول،: «فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَ لكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآياتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ» «وَ لَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلى‏ ما كُذِّبُوا وَ أُوذُوا حَتَّى أَتاهُمْ نَصْرُنا وَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِ اللَّهِ وَ لَقَدْ جاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ» (6: 34)!

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 303

ثم‏ «وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ» تصديقا و تكذيبا و جزاء وفاقا، دونك و الذين من قبلك! يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا وَ لا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (5).

«وَعْدَ اللَّهِ» ليوم الحساب، و الجزاء الوفاق «حق» ثابت لا حول عنه و لا تبديل، الا عجزا او نسيانا، ام ظلما و عدوانا «وَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ»! و ذلك الوعد الحق لا بد لكم ان تعيشوا ذكراه في حياة النسيان، و حذار حذار «فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا» عن الوعد الحق‏ «وَ لا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ» في توحيده و وعده الحق «الغرور» الذي يعيش غرورا و تلبيسا، و الشيطان هو رأس زاوية الغرور بذريعة الحياة الدنيا «الغرور» و النفس الأمارة بالسوء «الغرور» فحذار حذار من ثالوث الغرور، الحائر محور الحياة الدنيا، فانها هي دار الغرور و مجالة الغرور: «وَ مَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلَّا مَتاعُ الْغُرُورِ» (3: 185) و «... مَتاعُ الْغُرُورِ» (57: 20) و «إِنِ الْكافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ» (87: 20). و يا له من ثالوث منحوس يثلث ذكره في الذكر الحكيم (31: 33 و 57: 14) و انها لمسة وجدانية صادقة حين يستحضر الإنسان صورة المعركة الصاخبة الدائبة بينه و بين عدوه الشيطان:

إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّما يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحابِ السَّعِيرِ (6).

فحين ذكراه يتحفز بكل قواه للدفاع عن نفسه و نفيسه، دفعا عن كل غواية و إغراء، مستيقظا مداخل الشيطان الى نفسه، متوجسا من كل حادثة

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 304

و هاجسة ليعرضها على حجة اللّه، فعلّها خدعة مستسرة من عدوه القديم.

استعدادا دائبا لخوض هذه المعركة المصيرية «وَ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى‏ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ»! أمن العقل ان يتخذ العدو صديقا، اغترارا متواصلا متأصلا بغروره، و قد غر من قبل أبوينا الأولين‏ «فَدَلَّاهُما بِغُرُورٍ»! «إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُمْ عَدُوٌّ» كما أعلن منذ البداية، و وعد مواصلة العداء حتى النهاية: «قالَ أَنْظِرْنِي إِلى‏ يَوْمِ يُبْعَثُونَ» إذا «فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا» مبدئيا لا طارئا قد يصادق بعد ما يعادي «إنما» ليس إلّا «يَدْعُوا حِزْبَهُ» و هم كل من ينغر بغروره‏ «لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحابِ السَّعِيرِ».

فهنالك حزبان: حزب اللّه و حزب الشيطان، و بينهما عوان مذبذب هو ايضا من حزب الشيطان، حيث الذبذبة دعوته و كيانه، ماهيته و بيانه، اللّهم الا من يعيش حياة الايمان فهو من حزب الرحمن مهما نال منه الشيطان إذ لا يخلو منه انس و لا جان، إلّا المخلصين من عباد اللّه فليس له عليهم من سلطان‏ «فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ»:

الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ كَبِيرٌ (7) قاعدة مطردة عادلة صارمة للذين كفروا و ماتوا كافرين، و الذين آمنوا و ماتوا مؤمنين، إلّا أن العذاب الشديد لا يربو شد الكفر، أو قد ينقص، و مغفرة و اجر كبير يربوان شدّ الايمان، قضية العدل هناك و الفضل هنا «وَ ما رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ»! أَ فَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ، فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِما يَصْنَعُونَ (8).

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 305

أ ترى من ذا الذي يزين سوء العمل ليرى حسنا و هو إضلال؟ ام لا يزين فهو هدى؟ «فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُ‏ .. وَ يَهْدِي ..»! و ذلك التزيين إضلال هو في الأصل من الشيطان حين يرى له ظرفا قابلا من‏ «الَّذِينَ كَفَرُوا» و اضرابهم:

«.. وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَ كانُوا مُسْتَبْصِرِينَ» (29:) 38).

ثم اللّه لا يهديهم في هذه المعركة لأنهم هم السبب فيها مستبصرين، فيذرهم في غيّهم يتيهون جزاء بما كانوا يعملون.

إذا فللتزيين هنا نسبتان، نسبة الى الشيطان تعاملا مع الذين كفروا، و نسبة الى الرحمن حيث لا يحول دونه و إياهم‏ «إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمالَهُمْ» (27: 4).

فلكل من الخيرات و الشرور نسبة الى اللّه عدلا او فضلا، مهما تنسب الى فاعليها خيرا أو شرا «فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِما يَصْنَعُونَ».

و لعمر اللّه ان ذلك مفتاح الشر كله ان يزيّن للإنسان سوء عمله فيراه حسنا، معجبا بنفسه و كل صادر منه و وارد له، فلانه واثق من عمله فلا يفتش عنه و لا عن مصدره و مورده، فهو من الأخسرين أعمالا «الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً».

و انه باب فسيح للشر كله، و نافذة السوء كله، و مفتاح الضلالة كلها، نموذج الضال الهالك، البائر المائر، السائر الصائر الى شر مصير «جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَها فَبِئْسَ الْمَصِيرُ».

و رغم ان من كمال الإنسان التدرج الى كمال و أكمل، و ليس ذلك إلّا ان يعيش نقدا بكل يقظة في أموره، فالذي يرى كل اعماله‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 306

حسنة، ليس ليخلد الى خلده نقص و خطأ، فهو مكبّ على وجهه، مخلد إلى نفسه، واقف لحدّه السي‏ء البئيس، و هو يراه الحسن النفيس! فيا ويلاه حيث يهبط الإنسان الى ذلك الدرك المهين و الضلال المبين، و ذلك بما قدمت يداه و ان اللّه ليس بظلام للعبيد!.

[سورة فاطر (35): الآيات 9 الى 14]

وَ اللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحاباً فَسُقْناهُ إِلى‏ بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها كَذلِكَ النُّشُورُ (9) مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَ الَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئاتِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ وَ مَكْرُ أُولئِكَ هُوَ يَبُورُ (10) وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْواجاً وَ ما تَحْمِلُ مِنْ أُنْثى‏ وَ لا تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ وَ ما يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَ لا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كِتابٍ إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (11) وَ ما يَسْتَوِي الْبَحْرانِ هذا عَذْبٌ فُراتٌ سائِغٌ شَرابُهُ وَ هذا مِلْحٌ أُجاجٌ وَ مِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيًّا وَ تَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَها وَ تَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَواخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (12) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَ يُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ما يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (13)

إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعاءَكُمْ وَ لَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجابُوا لَكُمْ وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَ لا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (14)

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 307

جولات متتابعة في مسارح من الكون هي مصارح تعرض للبصائر بالأبصار، تدليلا لتوحيد المبدء، و توطيد المعاد.

ففي مشهد الحياة النابضة بعد الموت، الناهضة المتواترة المتقاطرة على ذوات الميتات الارضية حجة.:

وَ اللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحاباً فَسُقْناهُ إِلى‏ بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها كَذلِكَ النُّشُورُ (9).

«وَ هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذا أَقَلَّتْ سَحاباً ثِقالًا سُقْناهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنا بِهِ الْماءَ فَأَخْرَجْنا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ كَذلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتى‏ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» (7: 57)- «اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّماءِ كَيْفَ يَشاءُ وَ يَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ فَإِذا

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 308

أَصابَ بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ إِذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ. «فَانْظُرْ إِلى‏ آثارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها إِنَّ ذلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتى‏ وَ هُوَ عَلى‏ كُلِّ شَيْ‏ءٍ قَدِيرٌ» (30: 50).

هنا «أرسل» ماضيا، ضاربة الى اعماق الماضي منذ خلقت الأرض و السماء و عمّرتا، و قبل خلق الإنسان فهو الآن أحرى، و في الروم و الأعراف «يرسل» تدليلا لاستمرار ما مضى ما هما عامرتان، فذلك إرسال في مثلث الزمان!.

ثم الرياح منها مغيرة آية العذاب كريح صرصر في ايام نحسات سببا لموتات نحسات، و منها مثيرة تثير السحاب‏ «إِلى‏ بَلَدٍ مَيِّتٍ» و «لِبَلَدٍ مَيِّتٍ» لحياة و حياة! فالرياح المغيرة ترسل الى بلد حي للإغارة و الموت، و المثيرة «إِلى‏ بَلَدٍ مَيِّتٍ» لإثارة الحياة، ف «الى» هنا تهدف صالح البلد كما تلمح له «البلد» في الأعراف.

و السحاب هو المسحوب من ابخرة المياه الأرضية، تسحب الى جو السماء، ثم الرياح الساخنة تثيرها، ثم الباردة تقلها سحابا ثقالا حيث تثقلها و تكثفها، ثم بالتيارات الجوية في مختلف طبقاتها تساق لبلد ميت اليه‏ «فَأَحْيَيْنا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها كَذلِكَ النُّشُورُ»! دليل واقعي مكرور امام الأعين غير منكور، فكيف ينكر هؤلاء حياة النشور؟! فكما اللّه يعلم ميت البلاد فيحييها، كذلك يعلم ميت العباد فيحييهم و أحرى‏ «كَذلِكَ النُّشُورُ» فالعلم هو العلم و القدرة هي القدرة و إذا كان إحياء البلاد هنا فضلا يجوز تركه، فإحياء العباد عدل لا يجوز تركه‏ «كَذلِكَ النُّشُورُ»!.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 309

هذا! و الى نقلة من حياة الجسم الى حياة الروح و هي أنبل و أحرى‏ «1»:

مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَ الَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئاتِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ وَ مَكْرُ أُولئِكَ هُوَ يَبُورُ (10).

الحياة الدنيا بزهراتها و شهواتها هي حياة الغرور الممر الهزة، و الحياة العليا الزاهرة هي حياة المقر العزة، فخذوا من ممركم لمقركم، و من هزتكم لعزتكم! فالعزة بحق المعني من الكلمة هي للّه جميعا، إلّا من يعتز باللّه فعزيز باللّه على قدره: «وَ لِلَّهِ الْعِزَّةُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ».

و «مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ» في اعماق الزمان و المكان أيا كان و أيان، فان «كان» تستأصل كل آصله و حاصلة و مستقبلة، فارادة العزة أينما حصلت طول الزمان و عرض المكان‏ «فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً» فلتطلب منه العزة لا سواه، فالعقيدة الوثنية المتحللة عن التوحيد، المهلهلة، ليست لتحصل على أية عزة.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

الدر المنثور بسند عن أبي رزين العقيلي قال‏ قلت يا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كيف يحيى اللّه الموتى؟ قال اما مررت بأرض مجدبة ثم مررت بها مخصبة تهتز خضراء؟ قال: بلى قال: كذلك يحيى اللّه الموتى و كذلك النشور

و القمي في‏ «كَذلِكَ النُّشُورُ»

حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن جميل بن دراج عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) قال: إذا أراد اللّه ان يبعث الخلق أمطر السماء على الأرض أربعين صباحا فاجتمعت الأوصال و نبتت اللحوم.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 310

و ارادة العزة قد تعني ارادتها لنفس العزيز «فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً» إذ يعز من اعتز به! و أخرى تحرّيها لمن يعبد عزيزا «فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً» فله العبودية و الطاعة جميعا! و أما إرادة العزة الإلهية ان تحصل للعبد كما هي للّه فمستحيلة «فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً» لا تعطى لسواه!.

فان‏ «إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ» لا سواه‏ «وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ» لا سواه، فالعزة جميعا هي للّه لا سواه! و الكلم اسم جنس جمعيّ يذكّر مرة و يؤنث اخرى، و هكذا يكون كل جمع لا يختلف عن واحده إلّا بالتاء.

و لان اللّه تعالى ليس له مكان عل فلا يعني صعود الكلم الطيب اليه امّا هو، صعودا من سفال الى عل في المكان، فانما هي المكانة العالية له على كل من سواه و في ذاته المقدسة، فكل شي‏ء لديه سفل و هو- فقط- العال. إذا فصعود الكلم الطيب اليه هو صعود في المكانة سماع القبول، انه يبلغ رضاه على مداه و ينال زلفاه دون ضياع و لا إهمال و لا ذرة مثقال.

صعودا إليه يوم الدنيا هكذا، مهما يملك فيه سواه ما يملكه، و صعودا إليه في الأخرى إذ لا يملك الحكم فيه إلّا اللّه! فعبثا يحاولون من يعبدون إلّا اللّه في كلماتهم و اعمالهم و نواياهم، زعم انها واصلة الى معبوديهم لأنهم لديهم فإنهم: «إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعاءَكُمْ وَ لَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجابُوا لَكُمْ وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَ لا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ» (14)! إذا ف «إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ» دون سواه، فعلينا الّا ندعو إلّا إياه و لا نرجو الّا إياه:

هنا كلم و نية و معرفة و تصديق و عمل و تعامل مع الواقع، هي لزام بعض البعض في تبنّي الطيب، فما هو- إذا- الكلم الطيب؟ الطيب هو ما يستطاب في ميزان الحق، فالكلم المستطاب للّه، و هو طبعا مستطاب لقائليه و سامعيه الطيبين، انه في مثلث من الطيب و هو كماله و تمامه، مهما

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 311

كان رأس الزاوية- و هو تمام الزوايا- هو اللّه. و لا يستطاب الكلم في الحق تماما، الّا بنية صادقة، و معرفة فائقة، و تصديق لائق و عمل مصدّق، و تعامل مع الواقع، و آخر المطاف في طيب الكلم هو العمل و فقه.

صحيح ان الكلم الطيب دون العمل تخطى منازله إلا العمل، و لكن الذي يرفعه هو العمل الصالح: «وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ» و فاعل الرفع للكلم الطيب هو العمل الصالح، و مهما كان حق الفاعل هو اللّه، فلا يرفعه اللّه الا بالعمل الصالح.

فالكلم ما لم يزود بزاده هو خبيث مهما اختلفت دركات خبثه حسب الدرجات، فان العمل الصالح هو الذي يرفعه فالعمل الطالح يضعه‏ «1» و الحالة العوان، لا إليه و لا الى ضده عوان بين رفعه و وضعه. و كلما زاد صلاح العمل زاد الكلم ارتفاعا، كما كلما زاد طيب الكلم زاد صلوحا للارتفاع: «يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ ..» (58: 11).

و من طبع الكلمة الطيبة ان ترتفع ثابتة دون زوال، حتى يتلوها العمل الصالح فارتفاعا فوق ارتفاع: «أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُها ثابِتٌ وَ فَرْعُها فِي السَّماءِ تُؤْتِي أُكُلَها كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّها.» (14: 24).

و كلما كان الكلم الطيب أسعد، فهو بطبيعة الحال اصعد ثم ارفع،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

في تفسير القمي عن أبي جعفر (عليه السلام) قال، قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم): ان لكل قول مصداقا من عمل يصدّقه او يكذّبه فإذا قال ابن آدم و صدق قوله بعمله رفع قوله بعمله الى اللّه و إذا قال و خالف عمله قوله رد قوله على عمله الخبيث و هوى به الى النار.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 312

فالكلم الطيب الذي يطيب الجماهير المحتشدة، دون اختصاص بمكلّمه، صعودها و ارتفاعها هما بميزانية آثارها قضية الجزاء الوفاق و عند اللّه مزيد.

و رأس الزاوية في‏ «الْكَلِمُ الطَّيِّبُ» هو «لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ» «1» ثم يتلوها «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ» و من ثم تتمة الولاية التوحيدية و هي الزاوية الثالثة ولاية علي (عليه السلام) و الأئمة من ولده الطاهرين (عليهم السلام) «2» فالكلم الطيب هو «الولاية» بصورة مطلقة، الشاملة لهذه الثلاث، و كل كلم طيب يتبنى التوحيد كأصل، و من ثم المعاد و هو لزام التوحيد، كما النبوة، ثم الولاية الرسالية المتمثلة فيمن يحملونها كما هي. إذا فالكلمة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

تفسير البرهان 3: 358- الطبرسي في الاحتجاج عن الأصبغ بن نباتة عن امير المؤمنين (عليه السلام) و قد سأله ابن الكوا قال: يا امير المؤمنين كم بين موضع قدمك الى عرش ربك؟ قال: ثكلتك أمك يا ابن الكوا اسأل متعلما و لا تسأل متعنتا، من موضع قدمي الى عرش ربي ان يقول قائل مخلصا «لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ»! قال: يا امير المؤمنين (عليه السلام) فما ثواب من قال: لا اله إلا اللّه؟ قال: من قال: لا اله إلّا اللّه مخلصا طمست ذنوبه كما يطمس الحرف الأسود من الرق الأبيض، فإذا قال ثانية: لا اله إلّا اللّه مخلصا خرق أبواب السماوات و صفوف الملائكة حتى تقول الملائكة بعضها لبعض: اخشعوا لعظمة اللّه، فإذا قال ثالثة مخلصا لم تنته دون العرش فيقول الجليل اسكني و عزتي و جلالي لأغفرن لقائلك بما كان فيه ثم تلا هذه الآية «إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ» يعني إذا كان عمله خالصا ارتفع قوله و كلامه.

(2)

المصدر عن الكافي بسند عن الامام الرضا (عليه السلام) في الآية قال: الكلم الطيب هو قول المؤمن لا اله الا اللّه محمد رسول اللّه علي ولي اللّه و خليفته حقا و خلفاءه خلفاء اللّه و العمل الصالح يرفعه فهو دليله و عمله و اعتقاده الذي في قلبه بان الكلام صحيح كما قلته بلساني.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 313

الطيبة «لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ» هي الكلم، حيث تجمع في حقها و حاقها كل الكلم الطيب.

«مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ» فها هي في الكلم الطيب و العمل الصالح يرفعه، عزة الحظوة المعنوية، و عزة الزلفى الى مبدء العزة و منشئها.

و العرش بمكانه و مكانته هو مصعد الكلم الطيب كما هو مصعد الملائكة:

«و لو لا إقرارهن له بالربوبية و إذعانهن له بالطواعية لما جعلهن موضعا لعرشه و لا مسكنا لملائكته و لا مصعدا للكلم الطيب و العمل الصالح من خلقه» «1».

فليست العزة عنادا جامحا على الحق، جانحا غارقا في انانية الشهوات، ضاربا في كل عتو و تجبر و استكبار، فانها تنازلات عن صراط الانسانية الى حمأة الحيوانية النكراء! انما العزة هي الاتصال بمعدن العزة غير المحدودة، بالتقرب اليه و الزلفى لديه، في سلب مطلق «لا اله» سلبا لكل عبادة و خشوع و خنوع آفاقية و أنفسية، ثم إيجاب مطلق «الا اللّه» فلا يعبد إلّا إياه، و لا يطيع الا إياه، هنالك ترتفع الجباه صامدة في سجودها للّه، متعالية عن الخنوع لغير اللّه!.

هذه هي العزة و هؤلاء هم الاعزة! لكن:

... وَ الَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئاتِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ وَ مَكْرُ أُولئِكَ هُوَ يَبُورُ (10).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). في نهج البلاغة عن الامام علي (عليه السلام) و ضمير الجمع في إقرارهن راجع الى السماوات.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 314

هنا «يَمْكُرُونَ السَّيِّئاتِ» و هناك‏ «يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ» دون مكر، و هنالك حسنات هي- بطبيعة الحال- خالية عن كل مكر، حيث المرائي في حسنات ليست حسناته حسنات.

«يَمْكُرُونَ السَّيِّئاتِ» ابتغاء العزة منها و هي- في الحق- من اسباب الذلة، و «يَمْكُرُونَ السَّيِّئاتِ» إراءة للضعفاء و المستضعفين انها هي اسباب العزة، ذلك المكر الماكر يجعل من سيئاتهم عقبات متعديات ان يضل بها من لا يعقلون، و يغتر بها من لا يشعرون و هنالك الطامة الكبرى! لفاعل السيئات غفران ام عذاب غير شديد، و لكن ماكر السيئات له عذاب شديد «وَ مَكْرُ أُولئِكَ هُوَ يَبُورُ» بائر غير سائر إلّا ردحا من زمن الامتحان‏ «إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً»! وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْواجاً وَ ما تَحْمِلُ مِنْ أُنْثى‏ وَ لا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَ ما يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَ لا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتابٍ إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (11).

«خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ» هل تعني خلق الإنسان الاوّل و زوجه فاننا خلقنا بخلقهما و «ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ» تعني خلق سائر الإنسان إلا أبوينا الأولين؟ و قد يبعده‏ «ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْواجاً» حيث الزوجة ابتدأت منذ الأولين المخلوقين من تراب! او تعني «خلقكم» كل الخلق أولا و أخيرا «ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ» إلّا الأولين، و لكن‏ «ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْواجاً» توخر الزواج عن الخلق من نطفة، فتخرج الزواج الاوّل! «ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْواجاً» بعد «ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ» تختص الزواج بغير الأولين كما النطفة، و لكنهما لا تخصصان‏ «خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ» بالأولين، حيث‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 315

النطفة ايضا مخلوقة من تراب، مهما اختلف تراب عن تراب، و تؤيده آيات خلق الإنسان- ككل- من تراب او طين‏ «1»:

«خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ» عنصر ميت في أصله، حي في نسله منذ النطفة حتى الجنين حيث تتم الحياة الانسانية، فمن اين أتت هذه الحياة و كيف و أنى‏ «فَتَبارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ»! فالنقلة من حياة الى حياة ارقى هي قريبة، و لكنها من موت الى حياة بعيدة غريبة، إلا أننا نعيشها على مر الزمن، «أَ فَعَيِينا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ»! ثم هذه النطفة في صورتها الوحيدة، وهيدة لانقسامها الى ذكر و أنثى‏ «ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْواجاً»- سبحان الخلاق العظيم! و من ثم حمل الأزواج بكمه و كيفه ليس إلّا بعلمه‏ «وَ ما تَحْمِلُ مِنْ أُنْثى‏ وَ لا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ» و النص في إطلاقه العام يتخطى أنثى الناس الى كل أنثى، و «من» هنا تأكيد مستغرق للنفي و هو العام المستغرق لكل أنثى:

من حيوان البر و البحر و الجو، و من الزواحف و الحشرات ما تلد و ما تبيض، فالبيضة حمل من نوع خاص إذ لا يتم نموه داخل الجسم، بل ينزل بيضة ثم يتابع نموه خارج جسم الام بحضانتها ام حضانة صناعية اما هيه؟ حتى يصبح جنينا كاملا ثم قفسا و متابعة لسائر نموه الحيوي! فكل حمل و كل وضع هو بعلمه كما هو بقدرته ثم:

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). «أَ كَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا» (18: 37)؟ «وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ إِذا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ» (30: 20) «هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ..» (40: 67) «يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ تُرابٍ ..» (22: 5)

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 316

«وَ ما يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَ لا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتابٍ ..» و هو اللوح المحفوظ، دون كتاب المحو و الإثبات، حيث الآية تنحو منحى العلم الثابت، ان يعمر معمر عمره حتى الأجل المحتوم، او ينقص من عمره لأجل معلق، و «عمره» هو المحتوم لا يزيد عليه و قد ينقص.

«ان ذلك» البعيد البعيد، العسير العسير هو «عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» و أنتم تعيشونه طول الحياة و عرضها، فباحرى «ان ذلك» الرجع في الاخرى‏ «عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» بل هو أهون عليه.

وَ ما يَسْتَوِي الْبَحْرانِ هذا عَذْبٌ فُراتٌ سائِغٌ شَرابُهُ وَ هذا مِلْحٌ أُجاجٌ وَ مِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيًّا وَ تَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَها وَ تَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَواخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (12).

كما البحران مختلفان في الصورة، متفقان في سيرة الرحمة النافعة المترعرعة اليافعة، فهما معنيان لوحدة الفائدة، كذلك الموت و الحياة، ففي كلّ عائدة، مهما كانت بعد الموت زائدة خلاف ما يزعم من صورته.

فالبحر العذب: المستطاب، الفرات: الذي يروّي العطشى بساهل انحداره في الحلوق، و بارد طبعه و عذوبته، و البحر الملح: غير المستطاب للشراب، الأجاج الحارق الحلوق لملوحته المرة، هما على حالتهما المتضادة- مع بعض- من نعم اللّه حيث يلتقيان بتسخير المنان في خدمة الإنسان: «وَ هُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيًّا وَ تَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَها وَ تَرَى الْفُلْكَ مَواخِرَ فِيهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» (16: 14).

و البحران قد يعنيان- ضمن ما يعنيان- مثل المؤمن و الكافر، حيث العناية في بقاء الكافر رغم كفره قد تكون لما يخرج منه المؤمن‏ «يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ» و «كَذلِكَ النُّشُورُ» إذ يخرج اللّه الاحياء من الأموات كما اخرج الأموات من الاحياء!

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 317

ارادة التنويع في خلق الماء بواقعها ظاهرة، و وراءها حكمة ظاهرة في العذب الفرات، باطنة في الملح الأجاج، فمهما كان العذب الفرات سائغا شرابه، و لكن الملح الأجاج سائغ فائق لحمه و حليه، و ان كان‏ «مِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيًّا وَ تَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَها» و اين حلية من حلية و لحم من لحم؟

و «لَحْماً طَرِيًّا» هو الأسماك المحللة دون لحوم البحر كلها حتى الكلاب و الخنازير، فانها حرمت بالسنة القطعية، و «حِلْيَةً تَلْبَسُونَها» هي اللؤلؤ و المرجان: «مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ. بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ. فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ. يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجانُ» (55: 22) «1».

«وَ تَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَواخِرَ»- «وَ تَرَى الْفُلْكَ مَواخِرَ فِيهِ» (16:) 17) و المواخر هي المشاق حيث الفلك تشق البحر و كأنها أصبحت «فيه مواخر فيه» حيث الأمواج الهائجة تجعل الفلك في خضمّها و هي غائبة غارقة فيها، و كل ذلك‏ «لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ».

يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَ يُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ما يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (13).

«يولج» ايلاجا واقعيا حيث يلج من أفق الليل في أفق النهار شتويا، و عكسه صيفيا، و آخر في المنظر حيث يلتقيان فجرا و مغربا، ففي مشهد

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). راجع تفسير «الرحمن» في الفرقان 27: 28، تجد فيه تفصيل خروجهما من البحرين باختلاف الكم و الكيف، و ان البحرين يشتركان في وجود اللؤلؤ و المرجان فيهما كما و يصدقه العلم الباحث عنه الكاشف له.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 318

و لوج الليل في النهار و عكسه و كأنما هناك عراك بين عسكر الليل و النهار، و الفتح و الفلح لعسكر الليل أحيانا و لعسكر النهار أخرى.

و في الولوجين منظرا و واقعا آية لكروية الأرض، و إلّا فليكن ليلا كله او نهارا كله! «وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ» ادارة لهما و سيرا كما سخر لادارة الكون قدر ما قدّر.

«ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ» دون من تدعون‏ «وَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ما يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ» و هو اثر على رأس النواة، مثلا للصغر.

إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعاءَكُمْ وَ لَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجابُوا لَكُمْ وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَ لا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (14).

لا سماع لدعاء ممن لا سمع له كالأوثان، و الذي يسمع كالطواغيت ليس ليسمع اجابة، و لو سمع ليس بامكانه اجابة، ثم‏ «وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ» «و» هنا «لا ينبئك» بهذه الحقيقة المرة «مثل» القرآن و نبيه «خبير» بواقع الأمور و عواقبها.

[سورة فاطر (35): الآيات 15 الى 26]

يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللَّهِ وَ اللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (15) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَ يَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (16) وَ ما ذلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (17) وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى‏ وَ إِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلى‏ حِمْلِها لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْ‏ءٌ وَ لَوْ كانَ ذا قُرْبى‏ إِنَّما تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَ أَقامُوا الصَّلاةَ وَ مَنْ تَزَكَّى فَإِنَّما يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (18) وَ ما يَسْتَوِي الْأَعْمى‏ وَ الْبَصِيرُ (19)

وَ لا الظُّلُماتُ وَ لا النُّورُ (20) وَ لا الظِّلُّ وَ لا الْحَرُورُ (21) وَ ما يَسْتَوِي الْأَحْياءُ وَ لا الْأَمْواتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشاءُ وَ ما أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ (22) إِنْ أَنْتَ إِلاَّ نَذِيرٌ (23) إِنَّا أَرْسَلْناكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَ نَذِيراً وَ إِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيها نَذِيرٌ (24)

وَ إِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ وَ بِالزُّبُرِ وَ بِالْكِتابِ الْمُنِيرِ (25) ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ (26)

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 320

يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللَّهِ وَ اللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (15) تعريف الخبر «الفقراء» هنا يعني كونه معروفا فلا يخبر به إلّا للتنبيه، و من ثم القصر كأنهم هم الفقراء لا سواهم كما «اللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ» يحصر الغنى في اللّه. بيان ناصح ناصع لكيان الناس و هم في احسن تقويم- إذا- فما هو كيان من دونه في سائر التقويم؟ فهو حجة قارعة لفقر الكون كله، و ليس إلا الى اللّه الغني الحميد، تقريرا لكلمة «لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ» نفيا لاي غنى عن سائر الكون، ثم اثباتا لكل غني لخالق الكون! و ترى لماذا الحصر «أَنْتُمُ الْفُقَراءُ» كأن سواكم من الخلق أغنياء، ام ليسوا بفقراء الى اللّه؟ علّه لما كان المشركون يزعمونهم أغنياء في أنفسهم بآلهتهم، و اللّه هو الفقير إليهم إذ يدعوهم إلى عبادته: «لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِياءُ ...» (3: 181) «وَ قالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَ لُعِنُوا بِما قالُوا بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشاءُ» (5: 64).!

لذلك يرد عليهم بمعاكسة «أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللَّهِ» لا «إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِياءُ»! فأنتم محصورون في الفقر لا ان الفقر محصور فيكم.

ثم ذلك الفقر الفاقر ضارب الى الأعماق لحد كأن ليس كيان الإنسان إلّا فقرا: «الْفُقَراءُ إِلَى اللَّهِ» لا ان هناك انسان ام أيا كان له الفقر الى اللّه، بل هو بذاته الفقر الى اللّه بذاته الغني، دون امكانية التحول من‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 321

ذاتية الفقر الى ذاتية الغنى و بأحرى المعاكسة، فانما «أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللَّهِ وَ اللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ»! و الفقر و الغنى و صفان للكائن، فلا يقال للمعدوم المطلق فقير، و آية الفقر تقرر اصل الفقر للإنسان، و تعلقه في فقره باللّه و الى اللّه، فالفقير الذات و في الأفعال و الصفات بحاجة ضرورية الى غني في كافة الجهات و الحيثيات، فلولا ان هناك كائنا غني الذات، لما كان للفقير كون، ام لو لم يكن حميدا لم يكن للفقير ما يكفيه به و يغنيه، و لولا انه حميد لم يقرر مصير الحساب يوم الحساب، فهو غني حميد في غناه في النشأتين. إذا ففي فقر الكائنات من حيث الذات دليل لا مرد له على وجود كائن غني الذات، و إلا فأين وجودات الممكنات، حيث الافتقار في اصل الذات و حاقها دليل الحدوث، فمن ذا الذي أحدثها إلّا ازلي الذات و غنيها؟.

و تجد في آية الذاريات (49) اعمق البراهين للفقر الذاتي في الكائنات كلها، حيث الزوجية هي كيان كل كائن سوى اللّه: «وَ مِنْ كُلِّ شَيْ‏ءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ» «1»!.

و مهما كان في الكون غنى نسبية لكائن امام الآخر، فهما في الفقر الى اللّه سواء، كما و هما في اصل الفقر سواء، فأنت الغني في المال بحاجة الى فقير العمال كما الفقير المال بحاجة إليك في المال، فلكلّ فقر من جهة و غنى نسبية من اخرى، و هما في غناهما فقيران الى اللّه الذي اغناهما! أنت ساكن فقير صغير من سكان هذه الأرض، و هي تابعة صغيرة من‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). راجع الفرقان لتفسير الآية بقول فصل كاعمق البراهين لاثبات وجود اللّه.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 322

توابع الشمس، و هي نجم صغير من مليارات الشموس و النجوم في مليارات المجرات و الجزائر السماوية، أ فأنت الغني و اللّه فقير؟! أ تزعم ان في بعث الرسل إليك، و تواترهم في دعوتك بكتابات السماء، ان في تلك الدعاية الفخمة المتواصلة، و الداعية الفخمة الدائبة، حاجة من اللّه إليك، فحين تستجيب الداعية فللّه فيها حظوة و عزة، و حين تردها فعلى اللّه هزّه و ذلة؟

لا! يا أيتها الحشرة الصغيرة الهزيلة، بل‏ «أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللَّهِ وَ اللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ».

غني إذ يدرّ عليكم رحمة دون ضنّة، حميد إذ لا يحملكم على إنفاقه، ما يعود بنفعه اليه، فالكل عائد إليك في تقواك، و ما يد عليك في طغواك.

أنت الفقير ان يهديك اللّه اليه‏ «وَ اللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ» إذ لا يذرك في ضلالك، و لا يهدرك في كلالك.

سبحانك يا رب، فانا الفقير في غناي إليك فكيف لا أكون فقيرا في فقري إليك! انا الفقر كله، انا اللاشي‏ء كله، و أنت الغنى كلها، و أنت مشيّئ الأشياء كلها، لا لحاجة منك إليها فهي المحتاجة إليك:

إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَ يَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (16) وَ ما ذلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (17).

«أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَ يَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ، وَ ما ذلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ» (14: 20) «إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَ يَأْتِ بِآخَرِينَ» (4: 133) «إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَ يَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ ما يَشاءُ» (6: 133) «وَ ما ذلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ»!

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 323

أ فتزعمون انكم أنتم- فقط- الخلق العزيز، و اللّه لا يسطع ان يخلق بعدكم عزيزا، فان ذهبتم او أذهبكم فلا بديل عنكم؟ كلا ايها الاغفال، و قد اذهب قبلكم قرونا مضت، قبل آدم الاوّل حيث انقرضوا ثم استخلفكم من بعدهم.

وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى‏ «1» وَ إِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلى‏ حِمْلِها لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْ‏ءٌ وَ لَوْ كانَ ذا قُرْبى‏ إِنَّما تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَ أَقامُوا الصَّلاةَ وَ مَنْ تَزَكَّى فَإِنَّما يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (18).

«و لا تزر» نفس «وازرة وزر» نفس «اخرى» فان‏ «كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ» ضابطة لا تستثنى لفردية التبعات‏ «وَ كُلَّ إِنسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ..» لا سواه.

«لا تزر ..» حتى إذا وعدت، و لا يسمح لها بالوفاء حتى إذا أرادت‏ «وَ إِنْ تَدْعُ» نفس «مثقلة» مثقلة اخرى ام اية نفس اخرى‏ «إِلى‏ حِمْلِها» لتحملها عنها «لا يُحْمَلْ مِنْهُ» من ثقله «شي‏ء».

فلا ان نفسا وازرة تزر وزر اخرى، و لا انها إذا دعيت الى حملها يحمل منه شي‏ء حتى‏ «وَ لَوْ كانَ ذا قُرْبى‏» ضابطة صارمة في «لا تزر» فردية التبعة، و عدت ام سئلت و اصرت! حيث القرابات هناك ليست لتنفع شيئا، فانه‏ «يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ، وَ أُمِّهِ وَ أَبِيهِ وَ صاحِبَتِهِ وَ بَنِيهِ. لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ» و انه‏ «يَوْمُ الْفَصْلِ» فلا ينفعهم هناك اي وصل: «يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَ لا بَنُونَ. إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ»

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). تجد البحث الفصل حول آية الوازرة في النجم فراجع الفرقان ج 26- 27.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 324

فالنفس المثقلة من اعباء الذنوب و الأوزار تستغيث و لا تغاث، طلبا في تلك الحالة البئيسة ممن يشاطرها في حملها، فلا تهم كل نفس إلّا نفسها، و لا تعنيها إلّا أمرها بإمرها و لا تعين أحدا كما لا تعان مهما عنت، و عانت من حملها، و لو كانت اولى الناس بأمرها و أقربهم التياطا به و ارتباطا برفاقه، و انتياطا بنسبه! قافلة غافلة تمضي هناك حتى تقف اما الوزان و الميزان، اللهم إلّا اهل التقوى فلهم هنالك الشفاعة الكبرى، و ليست هي حملا لوزر، بل سماحا عنه بمؤهلاته المسرودة في الذكر الحكيم.

أنت يا رسول الهدى لست منذرا لمن لا يخشون ربهم بالغيب و هم معاندون، إذ لا يؤثر فيهم إنذارك مهما كان إنذارك واجبا فيه اعذارك‏ «إِنَّما تُنْذِرُ» مؤثرا فائقا «الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ» يخشونه بالغيب عن المشاهد، و يخشونه و هو غيب عن المشاهد، و خشية بغيب قلوبهم، الظاهرة الزاهرة في المشاهد! «وَ أَقامُوا الصَّلاةَ ..» كأظهر المظاهر من‏ «يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ»- «وَ مَنْ تَزَكَّى فَإِنَّما يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ» ف: «مَنِ اهْتَدى‏ فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى‏ ..» (17: 15)

«وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ» لأهل التقوى و الطغوى «و هو احكم الحاكمين».

ثم الكفر و الايمان لا يستويان في اي ميزان كما الأعمى و البصير، و الظلمات و النور، و الظل و الحرور، و الأحياء و الأموات:

وَ ما يَسْتَوِي الْأَعْمى‏ وَ الْبَصِيرُ (19) وَ لَا الظُّلُماتُ وَ لَا النُّورُ (20) وَ لَا الظِّلُّ وَ لَا الْحَرُورُ (21) وَ ما يَسْتَوِي الْأَحْياءُ وَ لَا الْأَمْواتُ (22).

و حين‏ «ما يَسْتَوِي الْأَعْمى‏» عن بصره «و البصير» فباحرى لا يستوي الأعمى في قلبه عن البصير!

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 325

و حين لا يستوي ظلمات الجو و النور فباحرى ظلمات القلب و نوره، و كذلك الظل و الحرور و الاحياء و الأموات و مثلث «لا» بين الثلاث الاخرى هي تأكيدات النفي باولية قطعية، فالظلمات لا تستوي في أقسامها و لا النور في اقسامه، فهل تستوي الظلمات و النور، و الظل لا يستوي في اقسامه و لا الحرور فهل يستوي الظل و الحرور، و الاحياء لا تستوي في أقسامها و لا الأموات، فهل تستوي الاحياء و الأموات.

و لماذا تركت «لا» بين الأعمى و البصير؟ لأن الاعمين على سواء انهم لا يبصرون مهما البصيرون ليسوا على سواء! فالبصير يبصر الحق المقبل اليه فيقبل، و من في الظلمات لا يبصر الحق فلا يقبل، و الميت لا يسمع صوت الحق فيقبل! «إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشاءُ» حقه بحقه دونما فوضى جزاف‏ «وَ ما أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ» من قبور الشهوات و الحيونات و سائر الإنيات! لست أنت مسمعا و هاديا من أحببت: «وَ ما أَنْتَ بِهادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآياتِنا فَهُمْ مُسْلِمُونَ» (27: 81) ان الإيمان بصر و بصيرة و ظل و نور و حياة، و الكفر عمى و ظلمات و حرور و موت، فهل يستويان؟ بصر يرى الحقيقة ناصعة صادقة دون اية هزازة و لا خلخلة، و ظل عن حرور الشهوات، و رياضة للنفس و رياحة للقلب، و ظل عن هاجرة الشك و حاضرة التيه في الظلام، و حياة في المشاعر و القلوب دون خمود و لا ركود و لا جمود، فهل يستويان مثلا الحمد للّه رب العالمين؟.

لست أنت يا رسول الهدى مسمعا و هاديا لمن في قبور الظلمات و العمايات و المينات:

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 326

إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ (23) إِنَّا أَرْسَلْناكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَ نَذِيراً وَ إِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيها نَذِيرٌ (24).

«إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ» و هذا قصر دون حصر بالنسبة لمن في القبور، ثم هو للعالمين بشير و نذير، حيث البشارة لا تأتي إلّا بعد النذارة لمن يتأثر بالإنذار و بينهما عموم مطلق‏ «1»، ثم و لست- فقط- أنت النذير:.

وَ إِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيها نَذِيرٌ (24).

و تراها في هذه النذارة العامة لكل امة، تتنافى و سلبها ككل عن كل قرية: «وَ لَوْ شِئْنا لَبَعَثْنا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيراً» (25: 51)؟ ..

كلّا فان‏ «كُلِّ قَرْيَةٍ» هي أعم من كل امة، فرب امة تسكن في قرى عدّة، و النذير مبعوث في أمها: «وَ ما كانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرى‏ حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّها رَسُولًا» (28: 59) و كلما كانت الرسالة أعم و أتم، فالأم التي يبعث فيها رسولها أهم و أطم! و كما ام القرى مكة المكرمة هي أهم عاصمة من عواصم الرسالات الإلهية.

فلا تخلو امة من العالمين من الجنة و الناس أجمعين و سائر المكلفين، لا تخلو من نذير، إما بشخصه العائش فيهم، ام بدعوته الواصلة إليهم بمن حمّلوا رسالاتهم، فان حملوها و بلّغوها فحجة بالغة، و ان قصروا في حملها ام لم يبلغوها فتقصير من الحملة عن الرسل دون المرسلين، و قصور للمستضعفين.

و هل ان «نذير هو كل منذر عن اللّه، برسالة او سواها؟ و ليس‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). فكل من يبشر فقد انذر قبلها، و ليس كل من ينذر يبشر بعدها حيث البشارة تخص المؤمنين.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 327

في نذارة دون رسالة حجة بالغة إلا تبينا و مناصرة لحجة الرسالة كما «جاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعى‏ قالَ يا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ..» و الظاهر من‏ «إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ» هو نذارة الرسالة بالوحي، دون النذير الوسيط! و لم يأت النذير في سائر القرآن إلّا للرسل، بل و قد يسلب عن سائر النذر: «لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أَتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ» (32: 3) و قد كان في الفترة الرسالية بين المسيح (عليه السلام) و محمد (صلى اللّه عليه و آله و سلم) نذر من غير الرسل!.

ثم و «إِنْ مِنْ أُمَّةٍ» دون كل شخص، تنفي ضرورة النذارة الواصلة الى كل احد، إلّا حاصلة فيهم كاملة، واصلة الى اشخاص و غير واصلة! و من جهة اخرى‏ «إِنْ مِنْ أُمَّةٍ» توسيع لساحة الرسالات طول المكان و عرض الزمان، فما أنت بدعا من الرسل! ليطمئن خاطره الشريف و ينبه مكذبيه انه نذير من النذر الاولى.

وَ إِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ وَ بِالزُّبُرِ وَ بِالْكِتابِ الْمُنِيرِ (25) ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ؟ (26).

تسلية لخاطر النبي الأقدس ان التكذيب من قبل المكذبين سائد في تاريخ الرسالات، و كذلك أخذ ربك للمكذبين، «فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ‏ وَ لا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ»!

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 328

[سورة فاطر (35): الآيات 27 الى 38]

أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ ثَمَراتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوانُها وَ مِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَ حُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها وَ غَرابِيبُ سُودٌ (27) وَ مِنَ النَّاسِ وَ الدَّوَابِّ وَ الْأَنْعامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ كَذلِكَ إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (28) إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتابَ اللَّهِ وَ أَقامُوا الصَّلاةَ وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَ عَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجارَةً لَنْ تَبُورَ (29) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (30) وَ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ (31)

ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَيْراتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (32) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَ لُؤْلُؤاً وَ لِباسُهُمْ فِيها حَرِيرٌ (33) وَ قالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (34) الَّذِي أَحَلَّنا دارَ الْمُقامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لا يَمَسُّنا فِيها نَصَبٌ وَ لا يَمَسُّنا فِيها لُغُوبٌ (35) وَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضى‏ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَ لا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذابِها كَذلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (36)

وَ هُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيها رَبَّنا أَخْرِجْنا نَعْمَلْ صالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَ وَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَ جاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (37) إِنَّ اللَّهَ عالِمُ غَيْبِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ (38)

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 330

تعديد لعديد من النعم البارزة لكل عين ناظرة و بصيرة حاضرة من سماوية و ارضية، قراءة يراعة في كتابي التكوين و التدوين، ابتداء بكتاب التكوين، ثم ما يصدقه من كتاب التدوين، لتعم القراءة كل كتاب نازل من العزيز الحكيم:

أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ ثَمَراتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوانُها وَ مِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَ حُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها وَ غَرابِيبُ سُودٌ (27).

«انزل» بمضيها تضرب الى اعماق الماضي حين كانت الأرض محترقة عطشانة فروّاها ربها من ماء السماء، و كما تشمل مستقبل الإنزال، حيث الغني الحميد ليس ليقطع رحمة شاملة تحتاجها الاحياء في عالم الحياة.

ثم «انزل» مفردا لفردية الذات و النعمة المنزلة، و اما «فأخرجنا» فهي لمحة الى جمعية الصفات في إخراج مختلف الثمرات، فالإخراج قاصد دون فوضى، فالماء الواحد و الأرض الواحدة لا يخرجان- لولا مختلف التصميم- إلا ثمرة واحدة كما المكائن الخاصة! و من‏ «ثَمَراتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوانُها» ثمرة واحدة في ألوان، كما الكثرة في ألوان، ألوان الطعوم و الاشكال و ألوان الألوان: سبحان العزيز المنان! و ليست الثمرات- فقط- ألوان، بل‏ «وَ مِنَ الْجِبالِ» ايضا مختلف الألوان: «جُدَدٌ بِيضٌ وَ حُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها» في بياضها و احمرارها «وَ غَرابِيبُ سُودٌ».

و الجدد هي الطرائق و الشعاب، بيضا و حمرا و غرابيب سود: حالكة شديدة السواد.

فما تراه من مختلف الألوان في الثمرة تراه في الصخرة، مما يزيدك تدليلا على ارادة قاصدة، و انها لفتة راصدة تهز القلوب، و توقظ حاسة

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 331

الذوق و خاصته في نظرة ناضرة تجريدية الى جمال الكون، فالى جمال المكون حيث يبرز كونه الوحيد من مصارح في مسارح صفاته.

ثم نتخطى الثمرات و الجبال الى مختلف الناس و الدواب و الأنعام:

وَ مِنَ النَّاسِ وَ الدَّوَابِّ وَ الْأَنْعامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ كَذلِكَ إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (28).

اختلاف سائد في كمّ الكائنات و كيفها في مختلف ألوانها. و لئن قلت:

إن ذلك الاختلاف هو قضية اختلاف العناصر و خصوصيات التأليف، تجد الاجابة في المادة الأمّ الساذجة المركبة- فقط- من زوجين اثنين، فلا بد- إذا- من تصميم قاصد في كل فصل و وصل، متفرع عن هذا الأصل:

«وَ مِنْ كُلِّ شَيْ‏ءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ، فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ».

«وَ مِنَ‏ ... كَذلِكَ» الذي ذكرناه من مختلف الألوان، و في ذلك المسرح الجميل، باختلاف الألوان، من ألوان الذرات و الجزئيات و العناصر و سائر المخلّفات المخلّفات هذه الاختلافات.

في ذلك المسرح‏ «إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ» فالعلم باللّه عبر آيات اللّه هو سبب الخشية، و الجهل باللّه نتيجة الغفلة و التجاهل عن آيات اللّه، هو سبب الغفوة الباغية.

ليس الجهل بالأسباب الكونية هو الموجب للاعتقاد بسبب غائب كما يهرفه الماديون، و انما العلم بالأسباب هو الذي يدلنا الى سبب الأسباب! «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). راجع كتابنا «حوار بين الإلهيين و الماديين» ص 20: 30- العلم و العلماء في فكرة الإله.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 332

لذلك نرى القرآن يحرض العالمين الى توسع العلم و التعقل في الكون، و لكي‏ «يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ».

فالقصد من «العلماء» هنا هم العلماء باللّه، الذين يستخدمون فلسفاتهم العقلية و كشوفهم العلمية لمعرفة اللّه، فكلما زادوا معرفة باللّه زادوا خشية من اللّه، انقلابا في قلوبهم الى اللّه، و انقلابا عما يصرفهم عن اللّه!.

أ ترى «انما» حين تحصر خشية اللّه في «العلماء» فما ذنب الجهال إذ لم يؤتوا من العلم ما يخشون به اللّه؟ العلم هنا ليس ليعني- فقط- علم الصلاحات في بحوث فلسفية ام تجريبية إمّا هيه، مهما تساعد على المعرفة ان حفظت فيها امانة التدليل على وجود خالق المدلول و الدليل.

بل هو علم الايمان مهما كان صاحبه أميا لم يدرس اية صلاحات، كما القرآن يربط الخشية أحيانا بالايمان: «فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» (9: 13) و اخرى بعمل الايمان: «وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَخْشَ اللَّهَ وَ يَتَّقْهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْفائِزُونَ» (24: 52).

لذلك ترى ان الآيات هنا و هناك هي الآفاقية و الانفسية لكل ذي بصر و بصيرة، لا تكلف دراسات عقلية او علمية، مهما كانت تساعد قضية المعرفة مع الحفاظ على الأمانة.

فرب عالم قتله جهله، علما بالصلاحات و تجاهلا عن التبصر بها في المعرفيات و العلم هنا هو الحجاب الأكبر! ..

و رب جاهل أحياه علمه، حيث يستخدم كافة الوسائل بمختلف الاساليب لمزيد المعرفة الإلهية، و العلم هنا يزيل الحجاب الأكبر!.

فيا ويلاه من جهل على جهل، ظلمات بعضها فوق بعض، و يا علياه من علم على علم نور على نور؟.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 333

«... كَذلِكَ إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ» «عزيز» يخشى «غفور» لمن لا يخشى مغبة ان يخشى!.

و الخشية- و هي خوف يشوبه تعظيم عن علم بما يخشى منه- لزامها العلم قدرها، و هي حالة في القلب تجعل الخاشي خاشعا لربه خاضعا، في رقابة دائبة على أقواله و أفعاله و أحواله قدر معرفته بربه. يخشاه لعدله تعالى على ظلمه هو و عظمه تعالى.

فمن لا يخشى اللّه ليس من العلماء مهما كان أعلمهم في الصلاحات، حتى الإلهية عقلية و علمية، و من يخشى اللّه فهو من العلماء مهما كان أميا لا يقرأ و لا يكتب، فميزانية العلم هي حسب ميزانية الخشية في ميزان اللّه! و كما

يروي عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم): «العلم علمان علم في القلب فذاك العلم النافع و علم على اللسان فتلك حجة الله على خلقه» «1»

حيث يحتج به على عالمه و على من يسمعه من عالمه!

اما علمتم ان للّه عبادا أسكنتهم خشيته من غير عي و لا بكم، انهم لهم الفصحاء النطقاء النبلاء العلماء بأيام اللّه غير انهم إذا ذكروا عظمة اللّه طاشت عقولهم من ذلك، و انكسرت قلوبهم، و انقطعت ألسنتهم، حتى إذا استقاموا من ذلك سارعوا الى اللّه بالأعمال الزاكية، فأين أنتم منهم؟ ..» «2».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). الدر المنثور 5: 150- اخرج ابن أبي شيبة و الترمذي و الحاكم عن الحسن قال قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم): ..

(2) الدر المنثور 5: 150- اخرج الخطيب في المتفق و المفترق عن وهب بن منبه قال: أقبلت مع عكرمة اقود ابن عباس بعد ما ذهب بصره حتى دخل المسجد الحرام فإذا قوم يمترون في حلقة لهم عند باب بني شيبة فقال: أمل بي الى حلقة المراء فانطلقت به حتى أتاهم فسلم عليهم فأرادوه على الجلوس فأبى عليهم و قال انتسبوا اليّ أعرفكم‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 334

و

قد سئل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) عن العالم و العابد فقال: فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ثم تلا هذه الآية «1»

فليتزود المؤمن على ضوء فطرته و عقله و شرعته بسائر العلم، تذرعا الى معرفة اكثر باللّه.

اجل‏

«و ما العلم بالله و العمل الا إلفان مؤتلفان فمن عرف الله خافه و حثه الخوف على العمل بطاعة الله. و ان ارباب العلم و اتباعهم الذين عرفوا الله فعملوا له و رغبوا اليه ..» «2».

إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتابَ اللَّهِ وَ أَقامُوا الصَّلاةَ وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَ عَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجارَةً لَنْ تَبُورَ (29) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (30).

هؤلاء هم من العلماء باللّه الذين يخشون اللّه، دون الجهال الاغفال الذين لا يتلون كتاب اللّه، مهما أقاموا الصلاة و أنفقوا، و دون من لا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

فانتسبوا اليه فقال: اما علمتم ...». أقول لعله رواية عن رسول اللّه لم يذكر انها عنه (صلى اللّه عليه و آله و سلم).

(1).

المصدر اخرج عبد بن حميد عن مكحول قال‏ سئل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) ... ثم قال: ان اللّه و ملائكته و اهل السماء و اهل الأرض و النون في البحر ليصلون على معلمي الخير.

و

في المجمع في الآية روي عن الصادق (عليه السلام) انه قال: يعني بالعلماء من صدق قوله فعله و من ثم يصدق فعله قوله فليس بعالم،

و

في الحديث: أعلمكم باللّه أخوفكم للّه.

(2) تفسير البرهان عن الكافي بسند عن أبي حمزة الثمالي عن زين العابدين (عليه السلام) قال: ... قال اللّه: انما يخشى اللّه من عباده العلماء.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 335

يصلون و لا ينفقون مهما تلوا كتاب اللّه، فانما هو الايمان و عمل الصالحات عن علم الكتاب تفصيلا باجتهاد، ام اجمالا بتقليد عن اجتهاد.

و التلاوة في حق المعني منها هي المتابعة: «وَ الشَّمْسِ وَ ضُحاها. وَ الْقَمَرِ إِذا تَلاها» (91: 2) فهي أعم من متابعة القراءة و الاستماع، فالتدبر، فالتصديق و الايمان، فالتطبيق بعمل الايمان، إذا «أَقامُوا الصَّلاةَ وَ أَنْفَقُوا ..» هي من خلفيات التلاوة حقها، أفردت بالذكر لأنها هي القاعدة الاصيلة التي تتبناها التلاوة، و إلا فرب تال القرآن و القرآن يلعنه! ثم الإنفاق هو الإفناء ألا يطالبوا به تجارة تبور، فيطلبوا به جزاء أو شكورا، فانما «تِجارَةً لَنْ تَبُورَ» افناء في ظاهر الحال و إبقاء بزيادة في باطن الحال: «لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ».

و «مِمَّا رَزَقْناهُمْ» يعم كافة الأرزاق و لا سيما الروخية، من علم و أخلاق اما هيه: «سرا» عن الناس «و علانية» فان لكلّ مجالا يناسبه:

«إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَ إِنْ تُخْفُوها وَ تُؤْتُوهَا الْفُقَراءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ» (2: 271).

«فنعما هي» في نفسه حيث يقتدى به فهو- إذا- من شعائر الله‏ وَ إِنْ تُخْفُوها ... فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ» أنفسكم ابتغاء عن رئاء و سمعة.

.. «إِنْ تُبْدُوا ... فَنِعِمَّا هِيَ» في نفسه حيث يقتدى به فهو- إذا- من شعائر الله» «وَ إِنْ تُخْفُوها ..» فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ» أنفسكم ابتعادا عن رئاء و سمعة.

«إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ» لهولاء الأكارم، أي لمم طارى‏ء في سبيل اللّه.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 336

وَ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ (31).

«هو الحق» كله، ثابتا ما بقي الدهر دون نسخ و لا تحريف، مهما كان ما بين يديه حقا لردح من الزمن، و لكنه بطل أولا بتحريف و من ثم بنسخ، فهو الترجمة الصحيحة النهائية لحقيقة الكون، و الصحيفة المقروة من كتاب الكون و هو الصفحة الصامتة! «وَ الَّذِي أَوْحَيْنا .. مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ» من وحي، دون خليطه بغير وحي، «إِنَّ اللَّهَ بِعِبادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ» انهم بحاجة الى حق لا ينسخ و لا يحرف، و انهم حرفوا كتابات السماء من قبل، لذلك اوحى إليك «الحق» كله هدى للناس.

ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَيْراتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (32).

«الكتاب» هنا هو القرآن لسابق ذكره‏ «وَ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتابِ هُوَ الْحَقُّ» «ف «ثم» بعد «أَوْحَيْنا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتابِ» «أَوْرَثْنَا الْكِتابَ ..».

فمن هو الوارث للكتاب القرآن بعد من اوحي اليه؟ أهم كل المسلمين و كما في بني إسرائيل‏ «لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْهُدى‏ وَ أَوْرَثْنا بَنِي إِسْرائِيلَ الْكِتابَ هُدىً وَ ذِكْرى‏ لِأُولِي الْأَلْبابِ» (40: 54) و قد تشمل الوارث الشاك!: «وَ إِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ‏ (42: 14) كما يشمل حملة وحي الكتاب الآخرين: «إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْراةَ فِيها هُدىً وَ نُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هادُوا وَ الرَّبَّانِيُّونَ‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 337

وَ الْأَحْبارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتابِ اللَّهِ وَ كانُوا عَلَيْهِ شُهَداءَ» (5: 44).

و هنا «أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا» دون من هو في شك مريب، و لا المتوسطين في الايمان، بل المصطفين، فميراث الكتاب هنا ميراث خاص لمن يحمله كما حمّله من انزل عليه، و هناك عام يعم كل من حمّله!. صحيح ان «عبادنا» هنا يعم كافة المسلمين من اهل الجنة كما تشهد التالية: «جَنَّاتُ عَدْنٍ ...» (23) مقابلة لهم باهل النار:

«وَ الَّذِينَ كَفَرُوا ...».

و لكن وارث الكتاب هنا ليس «عبادنا» ليعم المسلمين، بل‏ «الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا» إذا فهم المصطفون من المسلمين منذ ايراثه الى يوم الدين، لا كلهم.

و لان الاصطفاء في مصطلح القرآن ليس إلّا للمعصومين، أنبياء و سواهم من المخلصين‏ «1» «الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا» لا تعني الا المعصومين بعد الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) من أمته، أورثوا القرآن ليحملوه كما حمله من اوحي اليه كميراث خاص.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). فآيات الاصطفاء بين نبي مصطفى‏ «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى‏ آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِيمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ (3: 33).

ام و ملك مصطفى: اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا وَ مِنَ النَّاسِ» (22: 75).

و معصوم غير نبي‏ «يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاكِ ..» (3: 42) و ملك عادل مصطفى» قالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاهُ عَلَيْكُمْ وَ زادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ» (2: 247) ام دين مصطفى: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى‏ لَكُمُ الدِّينَ» (3: 132).

فأقل المصطفين في قرينة خاصة هم اعدل العدول!

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 338

ثم التقسيم الثلاثي ل «عبادنا» الى ظالم و مقتصد و سابق بالخيرات، ... دليل قاصد قاطع لا مرد له ان ليسوا داخلين في ذلك الايراث، إلّا ان يسوّى بين «ظالم لنفسه و مقتصد و سابق بالخيرات» في انهم من‏ «الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا» «1» و تلك إذا تسوية ضيزى! فحتى و لو عمت «اصطفينا» غير المعصوم، ليست لتعم المأثوم في تلك المقابلة الثلاثية الواضحة.

ثم من هذا الذي اصطفي عليه‏ «ظالِمٌ لِنَفْسِهِ» و ليس للظالم صفاء حتى يفضل في صفائه على سائر الأصفياء و سواهم!.

هنا اللّه تعالى يقتسم عباده الى هؤلاء الثلاث ليوضح من هم‏ «الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا» و على من اصطفاهم؟

فالمسلمون بين ظالم لنفسه و مقتصد و سابق بالخيرات و الظالم لغيره هو خارج من «عبادنا» و المصطفى بينهم- بطبيعة الحال- ليس إلّا السابق بالخيرات، فهم مفضلون على اصحاب اليمين المقتصدين، فضلا عن الظالمين: «وَ كُنْتُمْ أَزْواجاً ثَلاثَةً. فَأَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ ما أَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ (8)

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

الدر المنثور 5: 251- اخرج الطيالسي و احمد و عبد بن حميد و الترمذي و حسنه و ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبي حاتم و ابن مردويه و البيهقي عن أبي سعيد الخدري عن النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) في هذه الآية قال: هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة و كلهم في الجنة

و

فيه اخرج الطبراني و البيهقي في البعث عن اسامة بن زيد في الآية قال قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) كلهم من هذه الامة و كلهم في الجنة.

أقول: صحيح ان كلهم من هذه الامة كما تلمحناه من الآيات، و كلهم من اهل الجنة على شروط الاهلية، و لكن كيف يكون هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة؟ تنزيلا للمصطفين الى منزلة الظالمين و ترفيعا للظالمين الى منزلة المصطفين؟.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 339

وَ أَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ ما أَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ (9) وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (10) أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (11) (56).

إذا فورثة القرآن بعد نبي القرآن هم المصطفون السابقون المقربون، دون اصحاب اليمين المقتصدين، فضلا عن الظالمين المسلمين و ان لم يكونوا من اصحاب المشأمة و الداخلين في الجحيم! ذلك المثلث البارع الرائع من مواصفات ورثة القرآن لا نجده في سائر القرآن اللّهم إلّا لنبي القرآن ثم من أورثوا القرآن من بعده.

و هنا قيد «ظالم» ب «لنفسه» لإخراج الظالمين من المسلمين لغيرهم، فالمعتدون منهم الطغاة على الإسلام و المسلمين ليسوا من اهل الجنة و السلام.

و «مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ» لا ظالم لنفسه» كأصل في حياته، و لا سابق بالخيرات، بل هم عوان بين ذلك، فهم المعتدلون من امة الإسلام عدولا و سواهم‏ «ظالِمٌ لِنَفْسِهِ» هم غير العدول الذين قد تنالهم الشفاعة و هم مصيرهم الى الجنة، من اصحاب الكبائر الصالحة للشفاعة، فاما أمثال يزيد و معاوية الطاغية و اضرابهم من طغاة هذه الامة، فخارجون عن هذا التقسيم، داخلون مع الذين كفروا في الجحيم،

«الظالم يحوم حوم نفسه، و المقتصد يحوم حوم قلبه، و السابق بالخيرات يحوم حوم ربه» «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1). في معاني الاخبار مسندا عن الصادق (عليه السلام) قال: .. و

في الدر المنثور 5: 251- اخرج جماعة عن أبي الدرداء سمعت رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قال اللّه تعالى: «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ ..» فاما الذين سبقوا فأولئك يدخلون الجنة بغير حساب و اما الذين اقتصدوا فأولئك يحاسبون حسابا يسيرا و اما الذين ظلموا أنفسهم‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 340

فورثة القرآن العظيم علما و عملا و تطبيقا هم المصطفون السابقون المقربون، فوق المقتصدين العدول فضلا عن الظالمين! و من ذا الذي يدعي ذلك الاصطفاء العاصم، المعصوم اهله من كل رين و شين! أهم الخلفاء الثلاث، المعترف بكثير اخطاءهم و خلافاتهم و تخلفاتهم بين اتباعهم؟

ام هم الأئمة الاربعة و من يحذو محذاهم، المختلفين- في اقل تقدير- في تفهم الكتاب و السنة، و المتخلفين أحيانا عن نص الكتاب و السنة.

ام هم الأئمة الإثني عشر الذين لم يختلفوا فيما بينهم، و لم يتخلفوا قيد شعرة عن الكتاب و السنة، و هم الثقل الأصغر بعد الكتاب- الأكبر؟! و هنا نجد تجاوبا فيهم بين الكتاب و السنة القدسية المحمدية (صلى اللّه عليه و آله و سلم) «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

فأولئك يحبسون في طول المحشر ثم هم الذين تلقاهم اللّه برحمته فهم الذين يقولون:

الحمد للّه الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور ...

أقول و قد تظافر مثله في نفس المصدر عن الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و هو المستفاد من الآية كما بيناه.

و

فيه عن ابن مردوية عن النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) في‏ «فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ» قال:

الكافر

و هو خلاف ظاهر الآية كما بيناه.

(1).

في تفسير البرهان 3: 363 عن ابن بابويه القمي بسند عن الريان بن الصلت قال: حضر الرضا (عليه السلام) مجلس المأمون بمرو و قد اجتمع اليه في مجلسه جماعة من اهل العراق و خراسان فقال المأمون اخبرني عن معنى هذه الآية «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ ..»؟ فقال العلماء أراد اللّه عز و جل الامة، فقال المأمون: ما تقول يا أبا

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 341

و هنا «بِإِذْنِ اللَّهِ» يخص‏ «سابِقٌ بِالْخَيْراتِ» إذا تكوينيا و شرعيا لسبقهم سائر الخيرين في الخيرات و هو العصمة القمة المتعالية، دون‏ «ظالِمٌ لِنَفْسِهِ» حيث الظلم غير مأذون في تشريع و لا تكوين، و كذلك «مقتصد» فان اللّه لا يقتصر من عباده بالاقتصاد في معرفته و طاعته! فإذنه تعالى للسابق بالخيرات هو ارادة التطهير و كما في آية التطهير:

إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» (33: 33).

هنا «باذنه» و كما في الدعوة الرسالية: «وَ داعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَ سِراجاً مُنِيراً» (33: 46) «أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ ما يَشاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ» (42: 51) كما و «ما مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ» (10: 3) «وَ يُمْسِكُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ» (22: 65).

فهنالك للمصطفين السابقين إذن يخصهم، تكوينا في عصمة و تشريعا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

الحسن (عليه السلام) فقال الرضا (عليه السلام) لا أقول كما قالوا و لكن أقول: أراد العترة الطاهرة، فقال المأمون: و كيف أراد العترة الطاهرة؟ فقال له الرضا (عليه السلام) لو أراد الأمة لكانت بأجمعها في الجنة لقول اللّه تبارك و تعالى‏ «فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَيْراتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ» ثم جمعهم كلهم في الجنة فقال‏ «جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها ..» فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم، فقال المأمون، من العترة الطاهرة؟ فقال الرضا (عليه السلام): الذين وصفهم في كتابه فقال عز و جل: «إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» و هم الذين قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم): اني مخلف فيكم الثقلين كتاب اللّه و عترتي اهل بيتي و انهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض انظروا كيف تخلفوني فيهما، ايها الناس لا تعلموهم فإنهم اعلم منكم.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 342

في ولاية شرعية، لا يعم سواهم فكما «النَّبِيُّ أَوْلى‏ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ» كذلك ورثة الكتاب طاعتهم مفروضة على من سواهم: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» (4: 59) الذين ولّوا وراثة الكتاب بعد وحيه الى الرسول، فولوا ازمّة امور المسلمين كما ولّي! و لان «سابق» مطلق غير محدد، فسبقهم- إذا- مطلق غير محدد، فهم السابقون على كافة المصطفين على مر الزمن في الاصطفاءات، اللهم إلّا من اوحي اليه القرآن!.

و لأن «الخيرات» جمعا محلّى باللام تعم كافة الخيرات عدّة و عدّة، فهي الخيرات المعرفية و العقائدية و العملية. أما هيه، المعنية من‏ «وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» المسبوقة ب «انما» الحاصرة فيهم قمة العصمة الإلهية.

و ليس السبق هنا زمنيا- إذ ليس له فضل على اللّاحق الأفضل، بل هو سبق في الرتبة، كما الرسول في كونه‏ «أَوَّلُ الْعابِدِينَ» مهما سبق في علم اللّه و تقديره سبقهم هذا!.

فهؤلاء الأكارم الذين أورثوا الكتاب بعد الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) سبقوا بعده كافة السابقين في ميادين الخيرات و مسارحها، فلذلك يفضّلون على سائر النبيين في سابق الخيرات طول الزمان و عرض المكان!.

ترى و لماذا يتقدم في هذا العرض العريض ظالم لنفسه على مقتصد و هما على سابق بالخيرات، و الأخير متقدم في ناصية الآية «الَّذِينَ اصْطَفَيْنا ..»؟

انه بيان لطرف الاصطفاء، تقديما للاكثر افرادا «ظالِمٌ لِنَفْسِهِ» حيث تربو سيئاته لنفسه على حسناته ثم «مقتصد» قد تتعادل سيئاته و حسناته، ثم‏ «سابِقٌ بِالْخَيْراتِ» المصطفين من بينهم إذ ليست لهم سيئات!

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 343

و «ذلك» الوحي للرسول، ثم «ذلك» الايراث لأهل بيت الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) «هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ» إذ لا يساوى و لا يسامى في تاريخ الوحي و الرسالات و الوراثات.

فحصالة البحث عن آية الوراثة ان «عبادنا» هنا هم اصحاب الجنة من المسلمين في درجاتهم الثلاث أدناها «ظالِمٌ لِنَفْسِهِ» دون من يظلم دين اللّه و يظلم عباد اللّه، فهم هنا غير موعودين بالجنة، مهما دخلوها بعد حسابات و عقابات ام لم يدخلوها، كما «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ» يلمح بمدى ظلم الظالم لنفسه، و خروج الظالم لغيره، حيث العفو عنه ظلم بغيره.!

فليس «عبادنا» هنا كافة المكلفين، و لا كل المسلمين، و انما المسلمون الذين مصيرهم الى الجنة.

و المقتصد هو المعتدل المتعادل في حياته، لا ظالم لنفسه حيث يتبنى حياة العدل مهما ابتلى بلمم، و السابق بالخيرات هم الرعيل الأعلى من المقربين المعصومين من امة محمد (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و هم الأئمة الاثنى عشر سلام اللّه عليهم أجمعين.

فهم ورثة الكتاب روحيا في ولاية مطلقة شرعية، و آخرهم القائم منهم يرث الكتاب زمنيا و روحيا: «وَ لَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ. إِنَّ فِي هذا لَبَلاغاً لِقَوْمٍ عابِدِينَ وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ» (21: 106)! جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَ لُؤْلُؤاً وَ لِباسُهُمْ فِيها حَرِيرٌ (33) وَ قالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (34) الَّذِي أَحَلَّنا دارَ الْمُقامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لا يَمَسُّنا فِيها نَصَبٌ وَ لا يَمَسُّنا فِيها لُغُوبٌ (35).

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 344

علّ حق الفاعل في‏ «يَدْخُلُونَها يُحَلَّوْنَ» هم الوارثون للكتاب المصطفون، فإنهم سابق الكلام و محوره و انهم‏ «سابِقٌ بِالْخَيْراتِ»! ثم المقتصد الحزين بما قصر او قصّر: «وَ قالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ» ثم «ظالم لنفسه: إِنَّ رَبَّنا لَغَفُورٌ شَكُورٌ».

«قالُوا- الى- شَكُورٌ» لا تناسب ساحة السابقين بالخيرات فلا ذنب لهم حتى يغفر، و لا حزن حتى يذهب فإنهم من أفضل من «لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ»! ثم‏ «الَّذِي أَحَلَّنا ..» يناسب الطوائف الثلاث اجمع، حيث الجنة- فقط- هي من فضل اللّه كما النار هي من عدل اللّه.

و يحلّون من التحلية: التزيين، «من أساور» اعجمية من دستواره و هي زينة الايدي، و اللؤلؤ معروف كما الحرير و «دارَ الْمُقامَةِ» هي دار الخلود التي لا حول عنها و لا خروج، و النصب: التعب في جوها، و اللغوب هي التعب في طلب الحاجة فيها، خلاف الحياة الدنيا التي هي تعب على تعب، و لغب على نصب.

و يا له من مشهد حنون، فالجو كله يسر و راحة، حتى الجو الموسيقي لجرس الألفاظ كله هادئ ناعم رتيب حتى الحزن بدل الحزن، فضلا عن‏ «دارَ الْمُقامَةِ» .. و الى صفحة اخرى من مسرح الحساب:

وَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضى‏ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَ لا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذابِها كَذلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (36) وَ هُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيها رَبَّنا أَخْرِجْنا نَعْمَلْ صالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَ وَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَ جاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (37).

«وَ الَّذِينَ كَفَرُوا» هنا هم الخالدون المؤبدون في النار إذ «لا يُخَفَّفُ‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 345

عَنْهُمْ» و الخروج عن النار من التخفيف فأين الظالمون لغيرهم مسلمين ام كفارا غير مؤبّدين؟ لا نجد لهم هنا ذكرا و لا هناك قضية التفصيل في موارده و هنا موقع الإجمال! «لَهُمْ نارُ جَهَنَّمَ» تحصر حظهم فيها، فلا خروج لهم عنها، إذا فهم اصول الكفر متبوعين و اتباعا كما يلمح له «كل كفور»: غليظ الكفر و حضيضه، دون المزيج الكفر بإيمان، فان له نصيبا من الرحمة.

«لا يُقْضى‏ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا» في النار، دون اصل الموت و لو مع النار، فان قضية العدل نهاية العذاب كنهاية الاستحقاق، و أنهى النهاية للعذاب ان يموت المؤبدون مع النار، فلا نار- إذا- و لا اهل نار!: «وَ نادَوْا يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ قالَ إِنَّكُمْ ماكِثُونَ» (43: 77) في النار- و طبعا- ما دامت النار.

«وَ لا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذابِها» تخفيفا في زمن العذاب ان يموتوا قبل تمامة ام يخرجوا، ام تخفيفا في قدره و هم في النار، ان يتعودوا العذاب، فانه أشكال متلاحقة فلا تعوّد فيه يخفف به، و «كَذلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ» بالغ في الكفر نهايته، فهو بالغ في العذاب نهايته جزاء وفاقا.

«وَ هُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيها» بصوت غليظ مختلط الأصداء، متناوح من شتى الدركات‏ «رَبَّنا أَخْرِجْنا نَعْمَلْ صالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ» و ترى ان «صالحا» لا يصلح تصريحا ل «غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ»؟ اجل! فلكي يزيحوا كل شبهة عن أمرهم يفسرون «صالحا» ب «غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ» لكي لا يفسر صالحهم هذا بما كانوا يرونه صالحا «وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً»! لا! و انما صالحا في الحق، يختلف عن كل صالح في زعمنا و كل طالح في واقعنا فنصبح من الصالحين حقا!

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 346

«رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها وَ مِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلى‏ يَوْمِ يُبْعَثُونَ» (23: 100) و هنا الجواب الحاسم يحمل تنديدا صارما صارخا بالمصطرخين في الجحيم‏ «أَ وَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ ..»؟

و هنا الواو تقتضي معطوفا عليه محذوفا مثل «ا لم نذكركم بكل حجة صارحة و بينة صارخة» أَ وَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ ..»؟ فقاطع العذر ليس إلا أمران اثنان: «نُعَمِّرْكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ- وَ جاءَكُمُ النَّذِيرُ» فان جاء النذير و لم يفسح مجال للتفكير كمن عاش حين النذارة ساعات او أياما لا تكفي للتذكير، فقد اعذر.

ام عاش حياة الذكر و لم يأته نذير فقد اعذر فضلا عمن فقد النذير و فسحة التذكير فهو اعذر و اعذر!.

و على هذا الأساس فكلما كانت النذارة أقوى و فرصة التذكر اكثر و اندى، فالعذاب أوفر و اشجى، و كلما كان قاطع العذر أضعف فالعذاب أخف ام يعفى عنه كما في‏ «الْمُسْتَضْعَفِينَ. .. لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَ لا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا».

فمن عاش جو الغفلة و التغافل، بمظاهر الشهوات و جواذب النزوات يخفف عنه حسب خفة الحجة، و من عاش جو الذكرى بمديد العمر و لم يتذكر فلا يخفف عنه العذاب.

«أَ وَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ» المكلف العاقل ك «من تذكر» من المؤمنين‏ «وَ جاءَكُمُ النَّذِيرُ» زيادة للتذكير «فذوقوا» عذاب السعير «فما للظالمين بحق الله و خلقه «من نصير» «1».

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

تفسير البرهان 3: 366- ابن بابويه عن أبيه عن سعد بن عبد اللّه عن احمد بن أبي عبد اللّه البرقي باسناده رفعه الى أبي عبد اللّه (عليه السلام) في قول اللّه عز و جل «او لم‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 347

هناك «عبادنا» في اقسامهم الثلاثة، و هنا «الَّذِينَ كَفَرُوا» بنا و بعبادتنا لحد «الكفور» و بينهما عوان لم يذكروا، و انهما صورتان متقابلتان، فهناك مسرح لكل عناية و تبجيل، و هنا كل نكاية و تخجيل، و كل ذلك بعلم الملك الجليل:

إِنَّ اللَّهَ عالِمُ غَيْبِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ (38).

«يَعْلَمُ خائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَ ما تُخْفِي الصُّدُورُ» علم شامل دقيق لطيف، يحيط بكتابي التكوين و التدوين و ما في الصدور و تحتاجه الصدور، و بذلك العلم الشامل يجري كل الأمور.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

نعمركم ..» توبيخ لابن ثماني عشر سنة

أقول و علّه اوّل توبيخ قارع حيث مضت عليه سنون ثلاث، و ليس هذا القدر كضابطة، فقد لا يوجد ظرف الذكرى في ثلاثين و قد يوجد في يوم واحد، و هذا الحديث ناظر الى الحالة الاكثرية في جو الذكرى.

و

فيه بسند له عن أبي بصير قال قال الصادق (عليه السلام) ان العبد لفي فسحة من امره ما بينه و بين أربعين سنة و إذا بلغ أربعين سنة اوحى اللّه الى ملكية اني قد عمرت عبدي عمرا فغلظا و شددا و تحفظا عليه قليل عمله و كثيره و صغيره و كبيره».

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 348

[سورة فاطر (35): الآيات 39 الى 45]

هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَ لا يَزِيدُ الْكافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلاَّ مَقْتاً وَ لا يَزِيدُ الْكافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلاَّ خَساراً (39) قُلْ أَ رَأَيْتُمْ شُرَكاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي ما ذا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّماواتِ أَمْ آتَيْناهُمْ كِتاباً فَهُمْ عَلى‏ بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً إِلاَّ غُرُوراً (40) إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَ لَئِنْ زالَتا إِنْ أَمْسَكَهُما مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً (41) وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لَئِنْ جاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدى‏ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جاءَهُمْ نَذِيرٌ ما زادَهُمْ إِلاَّ نُفُوراً (42) اسْتِكْباراً فِي الْأَرْضِ وَ مَكْرَ السَّيِّئِ وَ لا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً (43)

أَ وَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ كانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْ‏ءٍ فِي السَّماواتِ وَ لا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كانَ عَلِيماً قَدِيراً (44) وَ لَوْ يُؤاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِما كَسَبُوا ما تَرَكَ عَلى‏ ظَهْرِها مِنْ دَابَّةٍ وَ لكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلى‏ أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِعِبادِهِ بَصِيراً (45)

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 349

هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَ لا يَزِيدُ الْكافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتاً وَ لا يَزِيدُ الْكافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَساراً (39).

هذه اشمل آية في خلافة الأرض للإنسان، تعم خلافة هذا النسل بأجمعه عمن سلفه و انقرض، حيث تعني «كم» هذا النسل كله، خطابا على وجه القضية الحقيقية، دون الخارجية الخاصة بالموجودين زمن‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 350

الخطاب، و كما تلمحناه من آية الخلافة الاولى: «وَ إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» (2: 30).

كما و تعني- فما تعنيه- خلافة كل قرن من هذا النسل قرونا مضت، و هنا تخص الخطاب ما سوى القرن الأول البادي لهذا النسل- و هو داخل في الخطاب الاول.

و كما للخلافة الاولى دلالة من آية البقرة كنص، و اخرى من هذه كمطلق ظاهر و في الانعام‏ «وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الْأَرْضِ» (165) كذلك للثانية آيات عدة «1».

ثم و هامة هذه الخلافات هي الاخيرة، المحلقة على كافة بني الإنسان طول الزمان و عرض المكان، زمن القائم المهدي من آل محمد (صلى اللّه عليه و آله و سلم): «أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ وَ يَكْشِفُ السُّوءَ وَ يَجْعَلُكُمْ خُلَفاءَ الْأَرْضِ» (27: 62)! و انها خلافة عامة اسلامية سليمة تختلف عن كافة الخلافات، حيث تطبق شرعة اللّه على ارض اللّه، اللّهم عجل فرجه و سهل مخرجه و اجعلنا من أنصاره و أعوانه.

و ان في تتابع الأجيال تلو بعض، بانتهاء جيل و ابتداء آخر، و انتهاء دولة و قيام اخرى، بانطفاء شعلة و اتقاد اخرى، ان في ذلك لآية لمن‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

ثُمَّ جَعَلْناكُمْ خَلائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ» (10: 14) «وَ جَعَلْناهُمْ خَلائِفَ وَ أَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا» (10: 73) «وَ اذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ» (7: 69) «وَ اذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ عادٍ وَ بَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ» (17: 74) ).(1)

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 351

القى السمع و هو شهيد، ان لكل بداية نهاية، فليستعد عاقل لكي يخلّد نفسه بعد النهاية، «وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ»! و من شأن السائح في هذه الرحلة المتعاقبة المتخالفة ان يحسن ثواءه القليل و يترك وراءه الذكر الجميل. و ان عجلة القرون المتتابعة سارعة متصارعة، دون ان يحمل أهلوها إلّا التبعية الفردية «فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ» في أولاه و عقباه‏ «وَ لا يَزِيدُ الْكافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتاً» مهما يزيدهم عند أنفسهم في الشهوات خبطا.

«وَ لا يَزِيدُ الْكافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَساراً» عن ذلك المقت الناتج عن ذلك الكفر! ان مقت ربهم في نفسه خسارة عليهم، فلانهم ليسوا- هنا- ليشعروا مدى خساره، فليثنّ بصراح الخسار.

قُلْ أَ رَأَيْتُمْ شُرَكاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي ما ذا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّماواتِ أَمْ آتَيْناهُمْ كِتاباً فَهُمْ عَلى‏ بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً إِلَّا غُرُوراً (40).

«.. أَرُونِي ما ذا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ» فضلا عن شرك في السماء، فكيف- إذا- هم آلهة و ليس لهم شرك في خلق لا في الأرض و لا في السماء، فإنهم‏ «لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً وَ لَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَ إِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَ الْمَطْلُوبُ»! الهم شرك.؟ فاروني‏ «أَمْ آتَيْناهُمْ» أولاء المشركين «كتابا» فيه سماح للاشراك‏ «فَهُمْ عَلى‏ بَيِّنَةٍ مِنْهُ» فأروني؟ كلا! فلا واقع للشرك لا ملموسا برؤية، و لا واردا برواية من كتاب وحي‏ «بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 352

بَعْضُهُمْ بَعْضاً» فيما يشركون «إلّا غرورا» إذ لا يملكون حجة فيما يعدون «إلا غرورا»! و إذ ليس هنالك كتاب من اللّه يسمح بذلك الإشراك، و لا كتاب من الشركاء لرسلهم، فيه دعوة إليهم، فهذه الوهة فاضحة فاضية، و ليست الا غرورا! كلّا! ليس هنا او هناك شرك و لا من قطمير في سماء ام في ارض، بل:

إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَ لَئِنْ زالَتا إِنْ أَمْسَكَهُما مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً (41).

هذه! و لا ثانية لها إلا في الحج: «.. وَ يُمْسِكُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ» (65).

و إمساك السماوات و الأرض ان تزولا، يعم زوال الفناء، و زوال السماوات وقوعا على الأرض، و زوال الأرض سقوطا الى عمق السماء، و زوال كلّ وقوعا لاكنافها بعضا الى بعض أما ذا من زوال؟

«ان اللّه» لا سواه‏ «يُمْسِكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ» عن كل زوال عن حالتهما العامرة «وَ لَئِنْ زالَتا» ألا يمسكهما اللّه و كفى‏ «إِنْ أَمْسَكَهُما مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ» مسكة بعد الوقوع ام اشرافه، فهو الممسك لهما و هو المزيل، كما هو الخالق لهما دون اي بديل.

و صحيح ان ذلك الإمساك في كافة جنباته ليس إلّا بقدرته الخلاقة، و لكنه عالم الأسباب، يتطلب منه سببا في ذلك الإمساك، و علّه عمد لا ترونها: «رَفَعَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها» (13: 2)

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 353

إذا فثمّ عمد و لكن لا ترونها، من عمد القوة الجاذبية أمّاهيه؟

إنه ليست السماوات و الأرض- و هما الكون كله- كبناء يبنى فيبقى متماسكا ما له مسكة في أجزاءه، إذ لا مسكة ذاتيا في أجزاء الكون، لا في كونه و لا كيانه، إذ ليس إلّا فقرا إلى اللّه، فبمجرد تركه تعالى إمساكا لكائن في أية جهة، فهو زائل من تلك الجهة دونما حاجة إلى إزالة.

فكما لا يملك أي كائن قبل تكونه شيئا من كونه و كيانه، فهو الآن- بعد خلقه- كما كان، دون أية غنى و استقلالية عن خالقه و لا قيد شعرة في آن من الأوان! سبحان الملك المنان!.

فالإمساك عن الزوال هو عبارة أخرى عن الإيجاد بعد الإيجاد، استمرارية للكائن بعد تكوينه الاوّل، كونا أو كيانا، فما كان إمساكه للكون فالكون كائن، فإذا زال زال، زوالا على قدر زوال!.

فنظرة ناظرة إلى ناضرة السماوات و الأرض، أنهما لا تقومان- في ظاهر الحال- بعمد، و لا تشدان بأمراس، جديرة بأن تفتح البصيرة على اليد الخفية الحفية، القاهرة القادرة، التي تمسكها عن أي زوال! وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لَئِنْ جاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدى‏ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جاءَهُمْ نَذِيرٌ ما زادَهُمْ إِلَّا نُفُوراً (42).

يروى أنه يبلغ قريشا قبل جيئة هذا الرسول (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أن اهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا: لعن اللّه اليهود و النصارى أتتهم رسلهم فكذبوهم فواللّه لئن أتانا رسول لنكونن أهدى‏

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 354

من إحدى الأمم‏ «فَلَمَّا جاءَهُمْ نَذِيرٌ ما زادَهُمْ إِلَّا نُفُوراً»! و هذا الوجه قد يقرّب لسابق ذكر المشركين، و قد يبعّد لأن قريشا كانوا قوما ليست لهم سابقة الإنذار حتى يستقبلوا منذرا برحابة صدر، و قسما باللّه و هم مشركون! إذا فهم أهل الكتاب: «وَ لَمَّا جاءَهُمْ كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ وَ كانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكافِرِينَ» (2: 88) و بطبيعة الحال كفر الكتابي- و لا سيما في زيادة النفور- إنه أضل و أنكى.

«جَهْدَ أَيْمانِهِمْ» هو مدى الطاقة و المشقة منها أن بالغوا و غلظوا في مختلف أيمانهم‏ «لَئِنْ جاءَهُمْ نَذِيرٌ» من النذر و قد «كانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ» فهم له منتظرون‏ «لَيَكُونُنَّ أَهْدى‏» لسابق الأنس بوحي الكتاب، و سابغ البشارات بهذا النذير «.. أَهْدى‏ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ» و لماذا إحداهم؟ لا «كل الأمم» لأنهم أنفسهم الأمم الكتابية، و المشركون هم أحدى الأمم، إذا فهم المشركون، دون اليهود و النصارى، إذ ليسوا هم بإحدى الأمم.

«فَلَمَّا جاءَهُمْ نَذِيرٌ ما زادَهُمْ» مجيئه‏ «إِلَّا نُفُوراً» و تباعدا و هروبا، و لماذا ذلك النفور بعد جهد الأيمان و ذلك الاستفتاح؟.

و قد تعني‏ «وَ أَقْسَمُوا» كليهما، مهما كان أهل الكتاب أصلاء في ذلك المكر السي‏ء و المشركون فروعهم!.

اسْتِكْباراً فِي الْأَرْضِ وَ مَكْرَ السَّيِّئِ وَ لا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 355

بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (43).

و إنه لقبيح ما أقبحه، و مكر سيّئ ما أمكره، أنهم بعد ما استفتحوا على المشركين و أقسموا باللّه جهد أيمانهم: «ما زادَهُمْ إِلَّا نُفُوراً» فإنه مادة أصيلة لضلال المشركين، أن لو كان خيرا لسبقونا إليه لسابق الوحي الكتابي لهم، و سابغ إيمانهم! و لم يكن ذلك النفور الزائد إلّا «اسْتِكْباراً فِي الْأَرْضِ» كيف يأتيهم نبيّ إسماعيلي و يهدم صرح النبوة الإسرائيلية، «مَكْرَ السَّيِّئِ» فالسيئ قد يسي‏ء دون مكر فيجتنبه المتحري عن الحق، و لكنه إذا مكر فوا ويلاه للبعيدين عن الحق، حيث يتخذون ذلك المكر حجة على الحق، فهو- إذا- المكر السيّ‏ء من ماكر سيّئ، و هل يحيق المكر السي‏ء بغير أهله، من اللّه أو الرسول أو المؤمنين اليقظين؟ كلّا!

«وَ لا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ»

: ماكرا و ممكورا، فمن لا يمكر و لا يمكر لا يحيق به المكر السيّ‏ء، فإن المؤمن هو الكيس الفطن، لا يحار و لا يغار مهما كان المكر محيرا مغيرا! «1».

«فَهَلْ يَنْظُرُونَ» انتظارا، بعد ذلك المكر السي‏ء «إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ» من مكذبي النبيين، سنة اللّه في إهلاكهم و استئصالهم؟

«فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا» أن يجريها في الغابرين، و يستثنيها عن الحاضرين، فلا قرابة و لا نسبة لهم إلى ربهم يفقدها الأولون!

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

الدر المنثور عن النبي (صلى اللّه عليه و آله و سلم) قال: إياكم و المكر السي‏ء فانه لا يحيق المكر السي‏ء الا باهله و لهم من اللّه طالب.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 356

فالنواميس الإلهية و السنن الربانية مطردة ماضية، مستقبلة و حاضرة و ماضية، دون تبديل بغيرها، و لا تحويل لها إلى غير أهلها «لا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ»! «سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبادِهِ وَ خَسِرَ هُنالِكَ الْكافِرُونَ» (40: 85).

لقد سن اللّه سنة تكوينية لكل من الحسن و السوء، و الحسن و السيّ‏ء في النشأتين، كضابطة سارية المفعول‏ «فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا» إلى غيرها، ثوابا إلى عقاب أم عقابا إلى ثواب‏ «وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا» من أهلها إلى غير أهلها «وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلَّا ما سَعى‏»!.

إن القرآن يقرر هذه الحقيقة حقها جهارا و تكرارا لكي لا ينظروا إلى الأحداث فرادى ام هي فوضى، عائشين الصّدف و الفوضويات، و إنما هناك سنن ثابتة مطردة و «ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ»! أَ وَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ كانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْ‏ءٍ فِي السَّماواتِ وَ لا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كانَ عَلِيماً قَدِيراً (44).

و إذا لم يذكروا بما جاءهم من نذير فكذبوهم بكل نفير «أَ وَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ» في تاريخها الجغرافي و جغرافيا التاريخي «فينظروا» بصرا و بصيرة أحوال الماضين‏ «كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» في تكذيبهم رسلهم «و» قد «كانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً» في أموال و أولاد و مادية الأحوال‏ «وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْ‏ءٍ» حتى و لو كانوا- هم- أقوى من الذين من قبلهم و هم أضعف منهم‏ «.. مِنْ شَيْ‏ءٍ فِي السَّماواتِ وَ لا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كانَ عَلِيماً» كيف يعاملهم «قديرا» بما ينتقم منهم.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 357

فالأرض بأكنافها الواقعية و التاريخية كتاب مفتوح ... لكل سائر فيها، و هي من الآيات الآفاقية القريبة إلينا فلما ذا التغافل عنها؟ ثم و أرض القرآن أصدق عرض لتأريخ الغابرين‏ «1» تجاوبا رائعا بين أرضي التدوين و التكوين في ذلك العرض المتين! وَ لَوْ يُؤاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِما كَسَبُوا ما تَرَكَ عَلى‏ ظَهْرِها مِنْ دَابَّةٍ وَ لكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلى‏ أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِعِبادِهِ بَصِيراً (45).

«وَ لَوْ يُؤاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ ما تَرَكَ عَلَيْها مِنْ دَابَّةٍ وَ لكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلى‏ أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَ لا يَسْتَقْدِمُونَ» (16: 61).

«و لو» عرض لواقع استحقاق عذاب الظالمين و مداه، «يُؤاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِما كَسَبُوا- بظلمهم» مؤاخذ العقاب، لا- فقط- العقاب، فانه ملئ الكتاب، فلو جعل اللّه دار العمل هي دار الجزاء «ما تَرَكَ ..».

و ترى هؤلاء الظالمون يؤاخذون فما بال غير الظالمين من الناس و ما بال سائر الدواب على ظهر الأرض؟! إنه بالنسبة لغير الظالمين فتنة غير عذاب، و لهم عذاب فوق‏

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1).

تفسير البرهان 3: 367- القمي عن الكليني بسند عن أبي الربيع الشامي قال: سألت أبا عبد اللّه (عليه السلام) عن قول اللّه عز و جل‏ «قُلْ سِيرُوا ..» فقال: عنى بذلك انظروا في القرآن فاعلموا كيف كان عاقبة الذين من قبلكم و ما أخبركم.

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 358

عذاب: «وَ اتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً (8: 25).

ثم هو بالنسبة للدواب على ظهرها لا فتنة لها و لا عذاب، و إنما عذاب للظالمين حيث يفقدون منافع لهم منها كما يفقدون أنفسهم، حيث الأرض بما فيها مخلوق لهم: «هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً» (2: 29) ففي آيتي الفاطر و البقرة تجاوب لطيف حفيف، عرضا للأرض بما فيها لاستثمار إنسان الأرض كما يرضاه اللّه و يصلح حيوية إنسانية تضم سائر مصالح الإنسان دنيوية و أخروية.

ثم و آية الفاطر و النحل تتجاوبان في ضخامة الظلم و الطغيان للإنسان، أن لو يؤاخذهم اللّه بظلمهم و ما كسبوا لما ترك على ظهرها من دابة، فإنه عذاب شديد يعم الأرض و يطمّها، و يقلّبها ظهر بطن، و ذلك هو طبيعة العذاب و الدار واحدة، و لكن أرض الجنة و النار متباعدتان! و لكنه‏ «يُؤَخِّرُهُمْ إِلى‏ أَجَلٍ مُسَمًّى» حيث الدنيا دار عمل و لا جزاء، و أنّ في استئصال غير الظالمين و سائر الدواب ظلما و ما اللّه يريد ظلما للعباد! لذلك تراه يبدأ ب «و لو» تأشيرا بشيرا بالامتناع، ثم نذيرا بمستقبل العذاب‏ «وَ لكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلى‏ أَجَلٍ مُسَمًّى» و هو القيامة الكبرى‏ «فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِعِبادِهِ بَصِيراً» الظالم منهم و المظلوم، ثم يجزون بما كانوا يعملون! و هذا هو الإيقاع الأخير، البشير النذير، في هذه السورة بنهاية

الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج‏24، ص: 359

الحياة و الحياة النهاية، و كما بدء ب «الْحَمْدُ لِلَّهِ فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ جاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا ..» حيث يحملون رسالات السماء تذكيرا لسكنة الأرض، و بين المبدء و الختام تلك المسارح المصارح من حوار و حجاج، و سير في الآفاق و الأنفس و لكي يعرفوا المبدء و الختام.